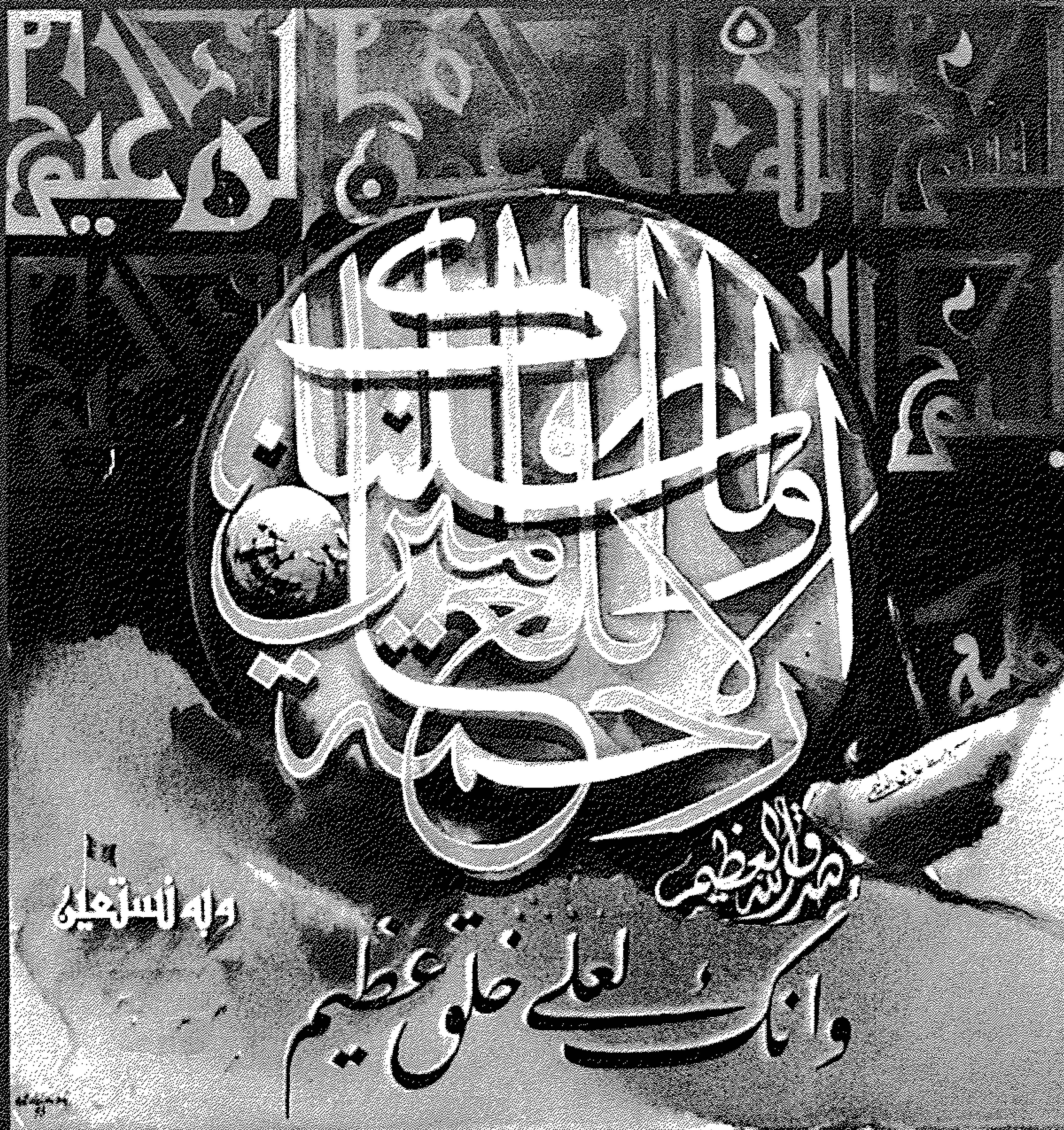
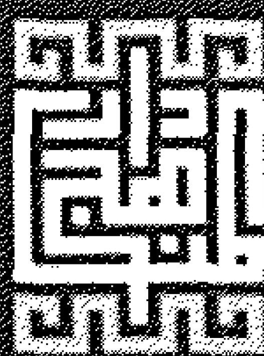
الثقافة الإسلامية

مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها

د. عزمي طه السيد ◆ د. كايد قرعوش ◆ د. محمد الشلبي ◆ د. إبراهيم الدبو
د. وليد السعد ◆ د. نصر البنا ◆ د. خالد القضاة



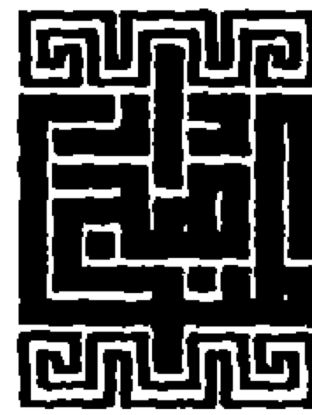


اهداءات ٢٠٠٢
دار المناهج للنشر والتوزيع
سلطنة عمان

الثقافة الإسلامية

مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها

بسم الله الرحمن الرحيم



دار المناهج
للنشر والتوزيع

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ - فاكس ٤٦٥٠٦٢٤ (٦ ٩٦٢)

ص.ب ٢١٥٣٠٨ عمّان ١١١٢٢ الأردن

الطبعة الثالثة

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الايداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية
(١١٠٩ / ١٠ / ١٩٩٥)
رقم الإجازة المتسلسل
(٨٤٦ / ١٠ / ١٩٩٥)

الثقافة الإسلامية

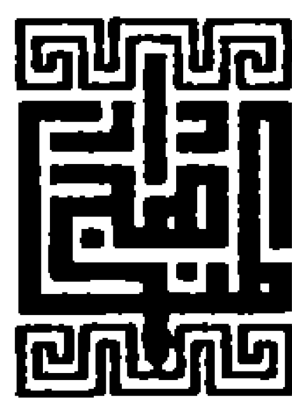
مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها

◆ د. عزمي طه السيد ◆ د. كايد قرعوش

◆ د. محمد الشلبي ◆ د. إبراهيم الدبو

◆ د. وليد السعد ◆ د. نصر البنا

◆ د. خالد القضاة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، خالق الانسان في أحسن تقويم ، وهاديه الى سواء السبيل ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين صاحب الخلق العظيم ، وعلى صحابته وآل بيته ومن اتبع رسالته وهداه الى يوم الدين ، وبعد ؛

فان الاهتمام بالثقافة الاسلامية قد أصبح في عصرنا الحاضر مطلبا حضاريا ، فالشخصية الاسلامية باتت تتعرض لهجمات شرسة من الشرق والغرب ، تلبس لبوسات براقة وجذابة تخفي تحتها حقيقة هذه الشراسة ، كلباس حقوق الانسان والديمقراطية والمؤتمرات الدولية ، وغير ذلك من الأشكال التي ظاهرها الرحمة بالمسلمين وباطنها العمل على محو هويتهم الاسلامية ، ولقد بدأنا نلاحظ تلاشي بعض معالم هذه الهوية من نفوس وشخصيات الأجيال الجديدة ، وبخاصة بعد ثورة الاتصالات والمحطات الفضائية .

والحق أنه لا تبرز شخصية الأمة الاسلامية ، ولا تترسخ هويتها الثقافية الا بمعرفة الثقافة الاسلامية ومعرفة خصائصها وتميزها الحقيقي على غيرها من الثقافات معرفة واعية ، ثم تهيأة الفرصة بعد ذلك لتجسيد هذه الثقافة في كل جوانب السلوك ، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة .

من هنا كثرت التآليف في موضوع الثقافة الاسلامية ، تمتح كلها من معين الاسلام الحنيف وشريعته السمحاء ، وهو معين لا ينضب عطاؤه ، ولا يحاط بأبعاده وأغواره ، فاغترف كل مؤلف من ناحيته على قدر طاقته ، فتفاوت ما كتبوا وتباينت مآخذهم ، وكلهم من معين الهداية السماوية يصدرون .

وبالنظر في هذه التآليف وجدنا في معظمها - بصورة عامة - قصورا عن تحقيق بعض شروط العلم والتأليف العلمي الرئيسة التي حددها العلماء في أن يكون للكتابة العلمية - في الثقافة الاسلامية أو غيرها - موضوع محدد واضح المعالم ، وأن يكون فيه مباحث ومطالب واضحة ومحددة تشكل في جملتها نسقا مترابطا ، وأن يكون أمام الباحث وفي ذهنه منهج ملائم لموضوع البحث ، فضلا عما يستدعيه العلم من وضع المصطلحات الخاصة به وتحديدها تحديدا دقيقا وفق الشروط الموضوعية لذلك ؛ فتحركت في نفوسنا دواعي النهوض بالواجب لسد هذه الثغرات ، واجتهدنا في ذلك اجتهادا خالص النية إن شاء الله ، لكي نجعل من الثقافة الاسلامية مادة علمية ، لها موضوعها ومباحثها المتميزة ، وأن نجعل منها نسقا علميا يقوم على مفهوم واضح متميز للثقافة بوجه عام والثقافة الاسلامية بوجه خاص ، منطلقين في ذلك من توجيهات ديننا الحنيف وخصوصا التوجيه الذي يؤكد على ضرورة ربط النظر بالعمل ، والحرص على العلم النافع الذي وراءه عمل نافع .

وهكذا كانت المهمة الأولى النظر في تحديد مفهوم للثقافة يكون أصيلا لا منقولا ، جذوره التي تمده بالحياة ضاربة في عمق تراثنا العربي الاسلامي وديننا الذي أنزله الله للناس كافة ، فكان أن وفقنا الله الى وضع تعريف للثقافة بوجه عام ، حرصنا في وضعه أن نتلافى عيوب التعريفات الكثيرة المنقولة والمتداولة في أدبياتنا المعاصرة ، وأن تكون لديه القدرة على فهم وحل المشكلات المرتبطة بمصطلح الثقافة على مستوى النظر والواقع ؛ ثم بعد ذلك الى وضع تعريف للثقافة الاسلامية مرتبط به ، اتخذناه محور بحثنا ، فقد حددنا بمعونته ووفقا له مباحث الثقافة الاسلامية الأساسية ومجالاتها الرئيسة ، وقد كان جوهر مفهومنا للثقافة الاسلامية - كما سيرى قارئ الكتاب - معرفة طرق تعامل الانسان في هذه الحياة مع جوانب الوجود المختلفة ومع خالق الوجود سبحانه وتعالى ، وذلك وفقا لما جاء في الاسلام ، عقيدة وشريعة . هذه الطرق - بطبيعة الحال - تمثل الصورة المعيارية للثقافة الاسلامية التي تشمل كل سلوك يصدر عن الانسان في هذه الحياة .

ولأن الثقافة الاسلامية هكذا في شمولها ، ولأن هذا الشمول ، على اتساع تفاصيله ، قابل للرد الى مبادئ عامة وأحكام كلية ومقاصد أساسية لا يعسر حصرها ، كان جل اهتمامنا في هذا الكتاب موجها الى هذه المبادئ والأحكام والمقاصد ، التي دعمناها بالأمثلة الجزئية ، ذلك أن المقصود في المكان الأول ، التعرف على المبادئ والأحكام والمقاصد في طرق تعامل الانسان المشار اليها ، لأن ذلك العلم الكلي هو مطلب العلم الاساسي ، ولأن الانسان اذا عرف المبدأ والقاعدة العامة والمقصد الرئيس ، سهل عليه بعد ذلك أن يعرف الجزئيات الداخلة تحتها والمنضبطة بها .

من هنا جاء هذا الكتاب اجتهادا علميا متواضعا في التعريف بالثقافة الاسلامية ومجالاتها بصورة مجملة لا تخلو من بعض التفصيلات هنا وهناك ، لكنه جديد في منطلقاته وفي طريقة التناول وفي الهدف العلمي - وأعني جعل الثقافة الاسلامية موضوعا علميا - هذا فضلا عن الأهداف التي يسعى اليها الكتاب المخلصون في مجال الثقافة الاسلامية ، وهي ابراز معالم الشخصية الاسلامية وترسيخ الهوية الثقافية للأمة الاسلامية .

وقد جاء هذا الكتاب في بابين كبيرين وفصول في كل منهما ، كما يراه القارئ مفصلا في مسرد محتويات الكتاب .

جعل الله عملنا هذا خالصا لوجهه تعالى ، وغفر لنا ما قد يكون وقع فيه من زلات ليست مقصودة ، نرجو الله أن يعيننا على تصويبها إن تنبهنا اليها أو تفضل أحد بإهدائها الينا ، في الطبعة القادمة للكتاب إن شاء الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلفون

الباب الأول

في مفهوم الثقافة

و

الثقافة الإسلامية

الفصـــل الأول

التعريــف بالثقافــة *

تمهيـــد:

يفرض المنهج العلمي على الباحث في موضوع : الثقافة الاسلامية ، أن يكون لديه مفهوم واضح عن كل من **الثقافة** و **الاسلام** ، لأن **الثقافة الاسـلامية** هـي ثقافـة مضافة الى الاسلام ومنتسبة اليه.

ربما تبدو هذه الملاحظة لدى البعض نوعا من فضول القول لا مـبرر لـه ، لأن هذا البعض يرى أن لفظـي: **ثقافة** و **اسلام** ، همـا مـن الذيـوع والشـيوع لدرجـة أن كل واحد يعرف ما يشير اليه اللفظان معرفة كافية ، وبالتالي فان الجهد الذي سيبذل في تحديد مفهوم **الثقافة** ومفهـوم **الاسلام** لا ضرورة له ، لأنه سـيكون تكـرارا لأمـر معلوم عند الجميع .

والحق أننا بحاجة الى توضيح المقصود بكل من اللفظين قبل البدء في البحث في الثقافة الاسلامية ، ذلك أن الباحث – في سـياق العلـم والبحـث العلمـي – ينبغـي أن يحدد مفاهيم المصطلحات التي يستخدمها بدقة ، وخصوصا اذا لم يكن هناك اجماع أو اتفاق بين العلمـاء والبـاحثين علـى معنـى المصطلـح المسـتخدم – كمـا هـو الحـال في مصطلح: **الثقافة** – وهذا التحديد ضروري لكي يعقـل المخـاطب ، قارئـا أو سـامعا،

* كتبه د. عزمي طه السيد

عن الباحث ما قصد اليه ، فان لم يكن هناك تحديد دقيق لـ عنى المقصود ، فان متلقي الخطاب قد يفهم من كلام هـذا الكـاتب أو البـاحث المعنـى الـذي قصـد اليـه ، فيحدث الارتباك ، ولا تصل الى المخاطب الرسالة التي يريد الكاتب توصيلها اليه .

ان للثقافة أكثر من مفهوم متداول بين الكتاب لدرجة يصعب معها حصر هذه المفاهيم التي قد تصل المائة أو تتجاوزها ، وعلينا أن نختار أو نحدد مفهومـا معينـا نلتزم به في بحثنا التزاما دقيقا ، كما أن لفظ **الاسلام** ، قد يقال على أكثر من نحو ؛ فالاسلام هو الدين السماوي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ،(وهـو المعنـى المقصود في بحثنا هذا عن الثقافـة الاسلامية) ، وهو في سياقات أخرى يستخدم ليشير الى الحضارة الاسلامية أو الى التراث الاسلامي ، وقد يستخدم أحيانـا بـالمعنى اللغـوي للفظ ، أي بمعنى التسليم والخضوع.

لهذا سنخصص الفصل الأولى للحديث عن مصطلح **الثقافة** بشـكل عـام دون تخصيص الكلام على ثقافة بعينها ، ونرى أن الأمر يستلزم أن نقوم بعدد من البحـوث الجزئية التي تقـدم مجتمعة صورة واضحة المعالم لمضامين هذا المصطلح الهام وعلاقاته.

ظهور مصطلح " الثقافة " وشيوعه في الاستعمال

ان استخدام مصطلح **ثقافة** بالمعنى الاصطلاحي حديث في لغتنا وأدبياتنـا ، اذ لا يتجاوز بدايات هذا القرن الحالي.

واللفظ - وان كان موجودا في اللغة العربيـة - الا أنـه لم يكـن لـه استخدام اصطلاحي في التراث الأدبي أو الفقهي أو الكلامي أو الفلسفي أو الصوفي أو العلمي لحضارتنا العربية الاسلامية .

وواقع الحال أن هذا المصطلح قد دخل الى أدبياتنا من خلال ترجمة بعض الأعمال في مجال العلوم الانسانية التي نقلت في بدايات هذا القرن عن اللغات الأوربية، مقابلا لكلمة **Culture** الانجليزية و **Culture** الفرنسية و **Kultur** الألمانية.

وسرعان ما انتشر اللفظ في الاستخدام على جميع المستويات تقريبا : في الكتابات الجامعية (الأكاديمية) والكتابات الأدبية والكتابات الصحفية ، وجرى تداولها في الصحف وأجهزة الاعلام وفي الأحاديث اليومية والعادية ، حتى غدا لفظ **ثقافة** من أكثر الألفاظ الاصطلاحية شيوعا على جميع المستويات ، وأصبح من العسيرالاستغناء عنه بعد أن ضرب بجذوره في جميع حقول الدراسات العلمية تقريبا ، وخصوصا الدراسات الانسانية ، فضلا عن رسوخه في أدبياتنا الاعلامية وأحاديثنا العامة .

والواقع أن ظهور هذا المصطلح وانتشاره في مجتمعنا العربي الاسلامي ، قد كان في الجانب الأكبر منه متابعة لانتشاره في المجتمع الغربي ، ذلك أننا كنا – في مجال البحث المرتبط بالثقافة – ننقل ونعيد ما يقوم به الباحثون والعلماء الغربيون ، وكان ذلك يتم – في الأعم الأغلب – دون نظر دقيق فاحص منا لظروف مجتمعاتنا ومدى ملائمة ما ننقل من بحوث ومفاهيم لحاجات هذه المجتمعات .

والحق أن بعض الباحثين في مجال **الثقافة** قد بدأوا يدركون مدى ما في هذا التقليد من سلبية وتبعية، وعدم ملائمة لواقع مجتمعاتنا ، فأخذوا يبحثون في **الثقافة** وقضاياها آخذين بعين الاعتبار ظروف مجتمعاتهم وواقعهم . ونحن في معالجاتنا هنا لقضايا الثقافة والثقافة الاسلامية قد راعينا ذلك قدر الطاقة .

أهمية مصطلح " الثقافة " في هذا العصر

اشرنا آنفا الى شيوع مصطلح **الثقافة** في الاستخدام في أكثر من مجال ، وهذا الشيوع مظهر من مظاهر أهمية هذا المصطلح ، كما أن هناك مظاهر أخرى تشير الى هذه الأهمية : فكثرة المؤسسات المنتشرة في قطاعات المجتمع ، على المستوى الرسمي وغير الرسمي ، والتي تنتسب الى الثقافة وتضيفها الى اسمها ، وتخصيص مجلات عديدة بأكملها أو تخصيص بعضها لأبواب أو صفحات ثابتة **للثقافة** ، وكذلك تخصيص أجهزة الاعلام والاتصال الجماهيري (الاذاعة والتلفزيون) برامج **للثقافة** ،كلها مظاهر تدل على أهمية المصطلح وأهمية ما يشير اليه .

ولقد وصل الأمر في العديد من البلدان الى حد تخصيص وزارة **للثقافة** ، الأمر الذي يعني أن **الثقافة** أمر هام من أمور الحياة الانسانية ، كالتربية والتعليم والصحة والصناعة والتجارة والمواصلات وغيرها من قطاعات النشاط الكبرى في المجتمع ، وأنها (أي الثقافة) بحاجة الى جهاز تنفيذي واسع ومتكامل يتولى ادارتها في جوانبها المختلفة.

، ومما يشير الى أهمية مصطلح **الثقافة** في عصرنا الحاضر ، كثرة المشكلات المرتبطة بالمصطلح والمنتسبة اليه ، أي كثرة المشكلات الثقافية التي يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، المشكلات الآتية : التنمية الثقافية ، التخلف الثقافي ، الغزو الثقافي ، الهوية الثقافية ، الأمن الثقافي، دور المثقف في المجتمع ، المثقف والسلطة، التطبيع الثقافي ...الخ . وكل واحدة من هذه المشكلات عقد من أجلها ندوة كبيرة أو مؤتمر على الأقل ، ساهم فيها العديد من المفكرين والكتاب والأدباء والمتعلمين في وطننا العربي الاسلامي !

*لقد أصبح مصطلح **الثقافة** قضية عالمية اهتمت بها هيئة الأمم المتحدة من* خلال احدى منظماتها البارزة ، وهي منظمة اليونسكو *UNESCO* ، كما أصبح

أيضا قضية عربية قومية اهتمت بها جامعة الدول العربيـة ، وقضية أوربية اهتمت بها مجموعة الـدول الأوربيـة ، فكـان أن عقـدت منظمـة اليونسـكو مؤتمـرا عالميـا خاصـا بالثقافة، في الفترة من ٦/٧ الى ٦/٨/ ١٩٨٢م في مكسيكو سيتي بالمكسـيك ، صـدر عنه اعلان أطلق عليه: اعلان مكسيكو للثقافة ، تضمن تعريفا وتفسيرا لمصطلح الثقافة بالاضافة الى عدد من التوصيات بشأن الثقافة . كما خصصـت:الأمـم المتحـدة العقـد الذي نحن فيه اليوم (من عـام ١٩٨٨م-١٩٩٧م) للاهتمـام بواحـدة مـن المشـكلات الثقافية ، وهي : مشكلة التنمية الثقافية ، وأطلقت عليه اسم: " عقد التنمية الثقافية ".

وسـارت المنظمـة العربيـة للتربيـــة والثقافـة والعلـــوم ، التابعـة لجامعـــة الدول العربية ، على خطى منظمة اليونسـكو، فوضعـت مـا أسمتـه:" الخطـة الشـاملة للثقافة العربية "، ليسترشد بها في العمـل الثقـافي علـى المسـتويين القومـي والقطـري ، وأقرت من قبل الوزراء المسؤولين عن الثقافة في الوطن العربي في مؤتمـر خاص عقـد في تونس ، في الفترة من ١١/٢٦ الى ١٩٨٥/١١/٢٨م.

وفي شهر تموز عام ١٩٩٠م ، عقدت مجموعة الدول الأوربية نـدوة رسميـة في مدينة بالرمو، بصقلية ، شارك فيها وزراء ومسؤولو الثقافة في اثنتي عشرة دولة أعضاء في الرابطة الأوربية ، وذلك لتحديد مفهوم موحد للثقافة الأوربية .

ومن مظاهر أهمية مصطلح **الثقافة** ، دخولـــه الى حقـــــل الدراســـــات الجامعية (الأكاديمية) في الجامعـات ، حيـث يهتـم علـم الانسـان (الأنثروبولوجيـا) المتفرع من علم الاجتماع ، بدراسة الثقافة ، ومن خلال طرح العديد مـن الجامعـات لمادة " الثقافة الاسلامية ".

ما تقدم ذكره من مظاهر أهمية مصطلح **الثقافـة** ، يجعلنـا محتـاجين الى النظـر العلمي الدقيق والمتأني في مفهوم الثقافة ، تمهيدا لترسيخ مفهـوم محـدد للثقافـة يتصـف بالوضوح والتميز وتكـون لـه جـدوى علـى مستوى الفكـر النظـري وعلـى مسـتوى

الواقع، وحتى نؤسس هذا النظر العلمي على أسس منهجية راسخة ، نرى أننا بحاجة الى بيان معنى **المصطلح** وتوضيح الشروط اللازمة لوضع المصطلح بعامة ومصطلح الثقافة بخاصة .

الشروط المنهجية لوضع المصطلح بعامة ومصطلح الثقافة الاسلامية ، بخاصة

تقدمت الاشارة الى أن لفظ **ثقافة** شائع في الاستخدام في حقول معرفية مختلفة باعتباره مصطلحا ، وليس وفقا لمعناه اللغوي الذي نجده في معاجم اللغة ، لهذا نرى من المفيد أن نبين لقارئنا ، أو نذكره ، بالمقصود بلفظ: **مصطلح** كما يستخدم في سياق العلم . فنقول:

المصطلح هو لفظ، مفرد أو مركب ، يحدد له الباحث أو الباحثون في حقل من حقول العلم ، معنى محددا، يشترط على الآخرين أن يفهموا عنه دلالة هذا اللفظ ومعناه وفق ما جرى تحديده ، ويلتزم هو في بحثه أن يستخدم هذا اللفظ بالمعنى نفسه.

كانت المصطلحات على الدوام، مؤشرا يدل على تقدم العلم في الحقل الذي وضع المصطلح فيه ، ذلك أن العالم أو الباحث لا يضع مصطلحا جديدا الا حين تواجهه مشكلة أو ظاهرة معينة ، ولا يجد في الحقائق أو المصطلحات السابقة ما يحل هذه المشكلة أو يعبر عن هذه الظاهرة ، فيلجأ الى وضع مصطلح جديد يعينه في حل المشكلة أو التعبير عن الظاهرة ، فيسير بحثه الى الأمام قدما ، وتكون النتيجة في النهاية تقدم المعرفة العلمية في هذا الحقل. هذا الوصف التقريبي هو ما يحدث في كل العلوم بلا استثناء ، لدرجة نستطيع معها القول بأنه كلما تقدم العلم في حقل ما كثرت مصطلحاته ، وأنه كلما كثرت المصطلحات في حقل ما دل ذلك على تقدمه.

وللعالم أو الباحث الحرية في اختيار معنى محدد يعطيه للفظ معين ليصير مصطلحا ، ولكنها حرية مقيدة أو مشروطة بشروط معينة .

ومن مظاهر هذه الحرية أنه ليس من اللازم أو الواجب على الباحث - في تحديده للمصطلح - أن يكون المعنى الاصطلاحي هو المعنى اللغوي للفظ ، ولا قريبا منه ، وان كان أكثر العلماء يختار ألفاظه الاصطلاحية بحيث يكون بين معناها اللغوي ومعناها الاصطلاحي مناسبة ما ، لكن هذا ليس شرطا لازما ، فقد يأخذ العالم اسمه الشخصي ويجعله مصطلحا علميا ، كما نجده كثيرا في العلوم الطبيعية .

أما الشروط التي ينبغي أن يراعيها العالم والباحث عند وضع المصطلح وتحديده، فهي كما يلي :

١- الوضوح: ويقصد به أن يكون المعنى الذي يحدده الباحث للمصطلح قابلا للفهم ولادراك دلالته ، خاليا من الغموض والابهام ، ولا يعتمد على المجازات والتشبيهات البلاغية ، ولا يحتمل عدة تفسيرات أو تأويلات ، بل له دلالة واحدة ومعنى واحدا فقط .

٢- التميُّز : ويقصد به أن يكون المفهوم أو التعريف الذي نقدمه لمصطلح ما ، مميزا له عن بقية الألفاظ الاصطلاحية الأخرى ، في داخل الحقل الذي ينتمي المصطلح اليه وفي خارجه، فلا يختلط أو يلتبس معناه ودلالته بمعاني ودلالات مصطلحات أخرى ، وهذا ما نجده بصورة تامة في مصطلحات العلوم الطبيعية بعامة كالفيزياء والكيمياء مثل: الكتلة ، الوزن ، الشغل ، القدرة ، الكتلة الذرية ، التأكسد ، الاختزال ... الخ، فكل مصطلح من هذه المصطلحات له معناه المحدد والمميز له عن بقية المصطلحات .

وفي حالة وضع تعريف للثقافة ، ينبغي أن لا يشير المعنى الذي يعبر عنه التعريف الى مفاهيم أخرى ، فلو وضعنا أو وجدنا تعريفا للثقافة وكان ما وضعناه يصلح لكي نعرف به أمرا آخر مثل :العلم أو الحضارة أو الدين أو العقل أو العادات

أو التقاليد أو غير ذلك من الأمور الأخرى ، فان هذا التعريف - في مثل هذه الحالة - لن يكون متميزا ، وبالتالي لا يكون مستوفيا لشروط التعريف الاصطلاحي الأمر الذي يستوجب من الباحث الناقد رفضه، لأنه في هذه الحالة سيكون تعريفا مضللا لا يرشد الى معرفة حقيقة ما يعرفه.

والحق أن عددا كبيرا من تعريفات الثقافة المتداولة في الكتابات المختلفة تنقصها صفة التميُّز هذه.

٣- القدرة على توضيح وفهم المشكلات المرتبطة بالمصطلح : ان وضع المصطلحات ليس عملا عابثا بلا هدف ، ولا هو مجرد ترف أو رياضة فكرية يمارسها العالم أو الباحث العلمي، وانما هو عمل جاد وهادف يقوم به العلماء من أجل أن يساعدهم هذا المصطلح في متابعة بحثهم العلمي من خلال حل بعض المشكلات التي يواجهونها في بحوثهم ، وسنرى أن قدرة المصطلح على حل المشكلات شرط من شروط وضع المصطلح ، لكن هذا الحل تسبقه مرحلة توضيح المشكلات المرتبطة به وبيان حدودها ومعالمها وحقيقتها ، الأمر الذي يمهد لحل المشكلة .

ففي حال مصطلح الثقافة ينبغي أن يكون المفهوم الذي نختاره أو نضعه لها قادرا على توضيح حدود ومعالم وحقيقة المشكلات الثقافية ، مثل : التنمية الثقافية ، الغزو الثقافي ، الهوية الثقافية ، دور المثقف ...الخ، فاذا لم يكن المفهوم قادرا على مثل هذا التوضيح فانه لن تكون له جدوى أو فائدة علمية ، ويكون غير مستوف للشروط المنهجية اللازم توفرها في التعريف الاصطلاحي.

٤- القدرة على اقتراح حلول للمشكلات المرتبطة بالمصطلح على المستوى النظري: ذكرنا آنفا أن العلماء يضعون المصطلحات العلمية لكي تعينهم في حل مشكلات علمية مرتبطة بالمصطلح يواجهونها في بحوثهم ، وأن ذلك يكون بعد توضيح المشكلة ، فالمصطلح ينبغي أن يعين الباحث في الوصول الى حل نظري

للمشكلة المرتبطة ، وهذا لا يكون بصورة مباشرة بطبيعية الحال، لكن مفهوم المصطلح يكون أساسا أو منطلقا ينطلق منه الباحث على هدى وبصيرة في البحث عن الحل ، فيأتي الحل منسجما مع المفهوم ويكون بينهما اتساق منطقي ، وأحيانا يوحي المصطلح للباحث بالحل النظري .

وبالنسبة لمصطلح الثقافة كثيرا ما يتطرق الكتاب والباحثون الى معالجة مشكلة ثقافية ، ويكون الحل المقترح بعيد الصلة ، وأحيانا لا صلة له البتة بمفهوم الثقافة الذي اعتمده الكاتب ، وأحيانا لا نجد عند الكاتب مفهوما واضحا للثقافة يمكن الاحتكام اليه في فهم الحلول التي يقترحها ، أو ادراك الصلة بينه وبين هذه الحلول.

وعليه فاذا تحققت في تعريف ما للثقافة الشروط السابقة لكنه لم يستطع أن يساهم في حل المشكلات الثقافية ، فانه سيكون في هذه الحالة تعريفا قاصرا عن استيفاء شروط التعريف الاصطلاحي .

٥- القدرة على اقتراح حلول للمشكلات المرتبطة بالمصطلح على مستوى الواقع العلمي ، اذا كان يرتبط بالمصطلح مشكلات عملية :- وهذا الشرط نحتاجه في حالة مصطلح **الثقافة** الذي ترتبط به مشكلات لها وجود في الواقع العملي ، وليست موجودة على مستوى الفكر النظري فحسب ، فمشكلات مثل : التنمية الثقافية والغزو الثقافي ودور المثقف في المجتمع وغيرها ، هي مشكلات قائمة في الواقع الفعلي في المجتمعات المختلفة ، ومعالجتها بحاجة الى حلول قابلة للتطبيق على أرض الواقع ، فينبغي أن يكون المفهوم الذي نضعه لمصطلح هذا شأنه ، لديه القدرة على توجيهنا نحو الخطوات والاجراءات العملية التي تؤدي الى حل المشكلة ، ويكون التعريف أكمل وأفضل كلما كان أقدر على هذا الأمر .

وهكذا لا يكفي للمفهوم أن يعطينا حلا نظريا أو مثاليا ، ويكـون تطبيقـه في الواقع أمرا مستحيلا أو عسيرا.

وبعد ، فقد أوردنا هذه الشروط المنهجية لوضع المصطلح لحاجتنا الى معرفتها في مجال البحث والدراسة العلمية من جهـة ، ولكـي نتخذهـا - مـن جهـة أخـرى - معيـارا للنظر في التعـاريف العديـدة المطروحـة للثقافـة ، فنميز في ضوئهـا التعـاريف العلمية، أي المستوفية لهذه الشروط الآنف ذكرها ، من التعاريف غير العلمية ، ونختـار بمعونتها أيضا أكمل التعاريف المتاحة وأفضلها وأكثرها جدوى ، ذلك أن ترك الأمـر على حاله ، دون بذل الجهد في البحث عن أكمل المفاهيم للثقافة فيه مـن جهـة هـدر للجهد والطاقة فضلا عن أنه - من جهة أخرى لن يوصلنا الى نتائج حاسمـة في بحوثنـا التي لا تراعي هذا الأمر المنهجي.

المعنى اللغوي للفظ (ثقافة)

لفظ **ثقافة** عربي الأصل ، وهو مصدر من الفعل **ثقف** وتشـير كلمـة ثقافـة ، كما تفيد معاجم اللغة العربية، الى عـدد مـن المعـاني منهـا : الحـذق والفهـم والفطنـة وسرعة أخذ العلم ، وتقويم الاعوجاج ، وبخاصة اعوجاج الرماح ، كما تفيـد معنـى التهذيب .

من الشواهد على هذه المعاني مـا ورد عـن وصـف الرسـول صلـى الله عليـه وسلم لعبدالله بن عباس في قولـه لـه : أنـت رجـل ثقـف، أي حـاذق وفطـن وسـريع الفهم.

وورد في شعر عنترة بن شداد لفـظ **مثقـف** بمعنـى الرمـح المسوى، المستقـيم، وذلك في قولـــه :

جادت له كفي بعاجل طعنة   بمثقف صدق الكعوب مقوم

وورد في شعر عدي بن الرقاع العاملي لفظ مثقف بمعنى التقويم والتهذيب ، وذلك في قوله:

وقصيدة قد بت أجمع شملها حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته كيما يقيم ثقافة منآدها

وفي القرآن الكريم استخدم الفعل **ثقف** بمعنى ظفر بالشئ ووجده على جهة الأخذ والغلبة ، كما استعمل في الادراك ، قال تعالى : ﴿ **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** ﴾[1] أي حيث تجدونهم وتدركونهم في حل أو حرم[2] ، وقوله تعالى :﴿ **فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم**﴾[3] ، بمعنى ان تظفر بهم وتتمكن منهم.

وهكذا يمكننا القول بأن المعنى اللغوي للفظ **ثقافة** يختلف عن المعنى الاصطلاحي – كما سيرد في الفقرات التالية – ولهذا لا ينبغي تكلف الربط بين المعنيين – فان وجدت صلة أو مناسبة ما بين المعنيين ، فلا بأس من الاشارة الى هذا، بشرط أن لا يؤثر ذلك على التزام الباحث بالمعنى الاصطلاحي الذي حدده لمصطلح **ثقافة**، اذ على هذا المعنى سيكون مستند الباحث.واختلاف المعنى اللغوي للمصطلح عن معناه الاصطلاحي أمر معروف في كل العلوم، وهو الأكثر شيوعا في مصطلحات العلوم، ولو لم يكن الأمر كذلك لما احتجنا الى المعاجم الاصطلاحية واكتفينا بالمعاجم اللغوية.

أبرز المفاهيم الاصطلاحية الشائعة للثقافة

سنعرض فيما يلي عددا من المفاهيم الشائعة للثقافة في أدبياتنا المعاصرة ، وسوف نجد أن غالبية هذه التعاريف اما نقل حرفي لتعاريف وضعها علماء غربيون

---

[1] – البقرة ١٩١

[2] – الكشاف جـ١، ص٣٤٢

[3] – الأنفال ٥٧

للثقافة ، أو هي في بعض الأحيان نقل بشئ من التصرف ، وسنقوم بعد عرض هذه التعاريف بالتعليق عليها ونقدها في ضوء شروط وضع المصطلح لنرى مدى تحقق هذه الشروط فيها .

من أقدم التعريفات التي وضعت للثقافة ، ولا يزال يتردد ذكره في عدد من الكتابات حتى يومنا هذا التعريف الذي وضعه ادوارد تايلور E.B.Tylor ، في كتابه: **الثقافة البدائية** ، عام ١٨٧١م، ويعتبر هذا التعريف أول تعريف في علم الانسان (الأنثروبولوجيا) لمصطلح **الثقافة** ، كما أنه أوحى بالعديد من التعريفات الأخرى بعده والتي حافظت على المعنى الواسع الذي أورده تايلور في تعريفه، وفيما يلي ترجمتنا لنصه :

" الثقافة هي الكل المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والتقاليد وكل الامكانات الأخرى والعادات التي يكتسبها الانسان كعضو في المجتمع " (ترجمنا التعريف عن نصه الانجليزي الوارد في: (James F,Downs, Cultures In Crisis,P٤٨.) .

ويعرف كوينزي رايت Quincy Wright الثقافة ، فيرى أنها :

" النمو التراكمي للتقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشعوب يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفراده ، وينتقل هذا النمو التراكمي الى الجيل الناشئ عن طريق الآباء وعبر العمليات التربوية " (نقلا عن كتاب: د.معن زيادة ، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي** ، ص٣١)

ويعرف جيمس دونز James F.Downs الثقافة بأنها:

" نظام من الرموز تشترك فيها مجموعة من بني البشر وتنتقل بواسطتهم الى الأجيال اللاحقة ...، وتميل كل ثقافة لأن يكون لها منطقها الخاص بها

الذي يجعل العناصر المختلفة للثقافة مترابطة ولا يستقل أحدهـا عـن الآخـر "
(من كتابه المتقدم ذكره ، ص ٤٥-٤٦)

ويعرف المؤرخ ورجل السياسة الفرنسي ، ادوارد هـيريو E.Herriot ، الثقافة بقوله:

"الثقافة مـا يبقى في ذاكرتناعندمـا ننسى كـل شيئ " (ذكره وأخذ به د. محمد عابد الجابري ، في كتابه : **تكوين العقل العربي** ، ص ٣٨ ، وأورده د. معن زيادة في كتابه المتقدم ذكره ، ص ٣٢).

وهناك العديد جدا من التعريفات التي وضعها علماء غربيون للثقافـة لا يتسـع المقام لسردها ، لكن تعريفا من التعريفات التي وضعها الغربيون يحتاج أن نورده ، وهو التعريف الذي وضعته منظمة اليونسكو UNESCO التابعة لهيئة الأمـم المتحـدة، في مؤتمرها المنعقد عام ١٩٨٢م في مدينة : مكسيكو سيتي، يرى هذا التعريف بأن:

" الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر اليها على أنها جميع السمات الروحية والماديةوالفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشـمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسـية للانسـان ونظـم القيـم والتقاليد والمعتقدات ".

ويفسر اعلان مكسيكو الصادر عن هذا المؤتمر الدولي ، هذا التعريـف قائلا:" ان الثقافة هي التي تمنح الانسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منـه كائنـا يتميز بالانسانيـة المتمثلة في العقلانية ، والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقـي ، وعـن طريقها نهتدي الى القيم ونمـارس الاختيـار وهـي وسـيلة الانسـان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته كمشروع غـير مكتمـل ، واعـادة النظـر في انجازاته والبحـث دون توان عن مدلولات جديدة وابداع أعمال يتفـوق فيهـا علـى نفسـه " نقـلا عـن

د.محمد الرميحي ، في مقالته : واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي ، ضمن : **الثقافة والمثقف في الوطن العربي** ، ص ٢٦٨.

أما العلماء والكتاب العرب فقد تابع أغلبهم التعريفات الغربية دونما كثير تصرف، وقليلون جدا من حاولوا وضع تعريفات للثقافة بصورة مستقلة ، ونجد في مقدمة المفكرين العرب المسلمين الذين شعروا بضرورة تجاوز التعريفات الغربية للثقافة ، المفكر الجزائري مالك بن نبي، الذي كانت معالجته لمشكلة الثقافة خطوة أولى على طريق التأصيل لا ينبغي اغفالها، بالرغم من أنه لم يستطع التخلص من أثر التحديدات والمعالجات الغربية.

يعرف مالك بن نبي الثقافة بقوله:"هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي : الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة " (انظر : مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** ، ط٢، ص٦٤) ؛ وفي موضع آخر يعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها :" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" (المصدر المتقدم ، ص٧١).

ويعرف الدكتور عبدالله عبدالدايم الثقافة تعريفا قريب الشبه بتعريف اليونسكو وذلك في قوله:"ان الثقافة هي جملة السمات والملامح الخاصة التي تميز مجتمعا معينا أو زمرة اجتماعية معينة ، سواء كانت روحية أو مادية ، فكرية أو عاطفية"، ويضيف الدكتور عبدالدايم ملاحظة توضيحية يعتبرها هامة لتوضيح مفهوم الثقافة ، وذلك في قوله:"ومن الهام أن ندرك أن أنماط السلوك هذه لا تسمى ثقافة الا اذا ارتبطت بسلوك الجماعة كجماعة لا بسلوك الفرد وحده ، بل الا اذا كانت الموجهة والمحددة لسلوك الأفراد في مجتمع معين " (د. عبدالله عبدالدايم ، **في سبيل ثقافة عربية ذاتية** ، ص٢٦).

ويعرف د.طيب تيزيني ، الثقافة على أنها " النشاط والانتاج الفكري والروحي الذي ينجزه أناس متميزون لكونهم نشيطين ومنتجين في هذا الحقل ، انهم المثقفون " (من كتابه : حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم الثالث ، ص٣٢٥).

ويرى السيد محمد حسن الأمين أنه " ما زال مفهوم الثقافة من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض نظرا للتحديدات المختلفة والمتفاوتة بين تيار وآخر ومثقف وآخر "، كما يرى أيضا أن للثقافة عددا من الأبعاد الداخلة في مفهومها من أبرزها مفهومان ،" هما المعرفة ، والمعرفة بوصفها وسيلة التغير والتحول في العقل والوعي والمجتمع" (ورد في مقالته بعنوان : تجليات أزمة المثقف والسلطة في الواقع العربي والاسلامي ، **المنطلق** ، العدد ٩٩، ص١٦).

والحق أن هناك عددا كبيرا من التعريفات التي وضعها كتاب عرب للثقافة لا نرى المقام هنا ملائما لسردها ، لكن هناك تعريف له صفة رسمية ، لصدوره عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية ، ولاعتماده من قبل وزراء الثقافة في الدول العربية ، وقد وضع هذا التعريف لجنة اسمها : لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية ، ونرى من اللازم ايراد هذا التعريف هنا.

بعد أن حصرت هذه اللجنة مفاهيم الثقافة العديدة في اثنين : الأول هو المعنى الانثربولوجي الواسع الذي يشمل كل فعاليات الانسان الاجتماعية ، والآخر هو المعنى الذي يقصر الثقافة على النشاط الفكري والفني ، والأخير هو الذي أخذت به هذه اللجنة حيث عرفت الثقافة بقولها :

" الثقافة تشمل مجموع النشاط الفكري والفني بمعناهما الواسع ، وما يتصل بهما من المهارات أو يعين عليهما من الوسائل ، فهي موصولة الروابط بجميع أوجه النشاط الاجتماعي الأخرى ، متأثرة بها معينة عليها مستعينة بها "(**الخطة الشاملة للثقافة العربية** ، مجلد١ ، ص٤٢).

وقد فسرت لجنة الخطة هذا التعريف قائلة : "فالثقافة تنتظم جماع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية ، وتشمل مجموعة المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والابداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني وسبل السلوك والتصرف والتعبير وطرز الحياة ، كما تشمل أخيرا تطلعات الانسان للمثل العليا ومحاولته اعادة النظر في منجزاته والبحث الدائب عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وابداع كل ما يتفوق به على ذاته ...، والثقافة أخيرا، ضمن هذا المعنى نفسه ، تمنح الانسان القدرة على أن يفكر في نفسه وهي التي تجعل منا فعلا كائنات انسانية مفكرة ملتزمة أخلاقيا ومعنويا ، قادرة على التقويم ، وبالثقافة يميز الانسان بين القيم ويمارس الاختيارات ، ويعبر عن صميم ذاته، ويعي ويعرف أنه مشروع غير كامل لكنه في السبيل الى الكمال" (**الخطة الشاملة** ، مجلد ١ ، ص٤٢)

ونختم هذه التعاريف للثقافة بايراد تعريف شائع ومترسب في أذهان الكثيرين من المتعلمين والناس ، ولا ينسب الى شخص معين أو يعرف له واضع على وجه الدقة ، وذلك هو التعريف الذي يرى أن الثقافة هي الالمام من كل علم بطرف ، والذي في ضوئه يكون المثقف هو الذي يعرف نتفا من علوم كثيرة أو كل العلوم .

هذه أبرز التعاريف المتداولة في الاستخدام لمصطلح الثقافة ، والتي يرجع اليها الكتاب والباحثون في أمور الثقافة ، وسنقوم فيما يلي بنقد هذه التعريفات وتقويمها ، اذ لا بد من هذا الجهد حتى نصل بعد ذلك الى اختيار أو وضع مفهوم للثقافة عن وعي وبصيرة .

نقد وتقويم بعض تعريفات الثقافة

ذكرنا فيما تقدم الشروط اللازم توفرها عند وضع المصطلح بعامة ومصطلح الثقافة ، وقلنا ان هذه الشروط يمكن اتخاذها معايير للنظر في التعريفات المطروحة للثقافة وتقويمها ، وسنبين هنا كيف نفعل ذلك من خلال نقد وتقويم بعض ما أوردناه في الفقرة السابقة من تعريفات .

نبدأ بتعريف ادوارد تايلور **E.Tylor** ، فنقول:

ان هذا التعريف بصورة عامة واضح في أجزائه وفي دلالات هذه الأجزاء ، ولكن الصورة الاجمالية التي يقدمها هذا التعريف للثقافة ليست واضحة كل الوضوح، فهي كل يضم أجزاءا عديدة ، لكنه " كل معقد" في علاقات هذه الأجزاء بعضها مع البعض الآخر ، وكلمة **معقد** تفيد معنى ، بطبيعة الحال، لكنه ليس معنى واضحا تمام الوضوح ، ويعتوره شئ من الابهام وهكذا فالشرط الأول الذي هو: الوضوح ، ليس متحققا في تعريف تايلور في صورة تامة وانما في صورة قاصرة بعض الشئ.

وهذا التعريف واسع الدلالة ذلك أنه يضم قطاعات عديدة من أوجه النشاط الاجتماعي التي يقوم بها الانسان في حياته الاجتماعية ، وكل واحد منها ميدان أو قطاع واسع في حد ذاته يحتاج الى جهد كبير جدا للالمام به ، فكيف بالالمام بكل هذه القطاعات والميادين مجتمعة ؟ ان ذلك سيكون أمرا عسيرا على العالم والباحث .

ثم ان هذا التعريف الذي يجعل الثقافة كلا يضم أجزاءا عديدة لا يعلمنا - ولو بطريق الاشارة البعيدة - أي هذه الأجزاء هو الأهم وأيها أكثر أهمية وأيها أقل من ذلك أهمية ، كما أنه لا يشير الى نوع العلاقات القائمة بين هذه الأجزاء ، وهذا كله يجعل فهم حقيقة الثقافة نفسها أمرا عسيرا ، كما يجعل فهم المشكلات الثقافية ، مثل : التنمية الثقافية أو الغزو الثقافي أو الهوية الثقافية ... وغيرها ، أمرا عسيرا ، وهذا سيجعل قدرته على المساهمة في حل المشكلات الثقافية على المستوى النظري

أولا أمر أكثر عسرا وصعوبة ، اذ يصعب على الباحث ترتيب هذه الأجزاء المكونة للثقافة حسب الأولوية أو الأهمية ، كما يصعب النظر اليها جميعا على نفس القدر من الأهمية .

واذا كانت هناك صعوبة في حل المشكلات الثقافية - في ضوء هذا التعريف- على المستوى النظري ، فان الحل لها على مستوى الواقع العملي سيكون أكثر صعوبة.

أما شرط التميز فهو غير متحقق في تعريف تايلور هذا بصورة تامة فما يشير اليه هذا التعريف قد يلتبس بمفهوم الحضارة ويصدق عليه بحسب بعض التعاريف الشائعة للحضارة ، لكن سعة دلالة التعريف الكبيرة تقلل من تميزه بسبب سعة بعض الأجزاء الداخلة في مفهوم الثقافة كالمعرفة مثلا.

وهذا التعريف لا يشير الى وجود جانب معياري في الثقافة تقاس اليه الثقافة تقدما أو تخلفا ، قربا أو بعدا .ويجعل هذا التعريف المعتقدات أحد الأجزاء العديدة التي تتكون منها الثقافة ، فدور عقيدة المجتمع اذن أدنى من دور الثقافة فيه، في حين أن للمعتقدات دور بارز وأساس في المجتمعات ، اذ هي التي توجه جميع أنواع النشاط والسلوك الاجتماعي ، وهي التي تصبغ الثقافة بصبغتها وتطبعها بطابعها .

اذا انتقلنا الى تعريف آخر هو تعريف اليونسكو نجد أن ما قلناه آنفا من تقويمات ونقد لتعريف تايلور ينطبق عليه تماما ، وأنه يمكن اضافة بعض الملاحظات الأخرى، من ذلك:

ان التعريف جعل الثقافة مجموعة من السمات ، ثم جعلها كلا يضم أجزاء مختلفة كل منها يمثل قطاعا واسعا ، وكان الأولى والأدق أن يشير التعريف الى أن هذه السمات تنشأ عن تجسد هذه الأجزاء في السلوك الانساني.

كما أن تفسير تعريف اليونسكو يشير الى أن المعنى الذي قصده واضعو التعريف غير متميز البتة ، ذلك أننا لو وضعنا لفظ عقل أو فلسفة أو دين مكان

لفظ **ثقافة** وقرأنا التعريف ، لوجدنا أن المعاني الواردة في التفسير تنطبق وتنسجم مع ما يفهم من هذه الألفاظ ، وهذا يعني أن التعريف لا يتصف بالتميز ، لاختلاط معناه بمعاني مصطلحات أخرى .

وتعريف اليونسكو هذا وضعه علماء غربيون ، منطلقهم في التفكير منطلق علماني (أي منطلق لا ديني ، يستبعد الدين عن التدخل في أي شأن من شؤون الحياة وتنظيم المجتمع) لا يحفل بالدين ولا بدوره الكبير والأساسي في حياة الانسان المؤمن بالدين ، ففي المجتمع الاسلامي يكون استبعاد الدين من حياة أفراده سبيلا لمحو شخصيته ومن ثم جعله تابعا مقلدا للآخر .

فاذا انتقلنا الى تعريف **الخطة الشاملة للثقافة العربية** نجد أن ما قدمته من تعريف وتفسير للثقافة مأخوذ بالكامل من تعريف اليونسكو وكل ما فعله واضعوه هو شئ من التقديم والتأخير في بعض الألفاظ والعبارات ،وهذا فعل فيه بعد كبير عن الاصالة اذ هو تقليد أعمى .

ولهذا فان كل ما قيل آنفا من انتقادات لتعريف اليونسكو يمكن أن تقال نفسها على هذا التعريف .

ولو أخذنا تعريف ادوارد هيريو E.Herriot ، القائل بأن " الثقافة هي ما يبقى في ذاكرتنا عندما ننسى كل شيء" ، لوجدنا أن له للوهلة الأولى جاذبية بسبب عبارته القصيرة التي تنطوي على جاذبية ما ، لكننا اذا دققنا النظر وجدناه خلوا من أي مضمون ايجابي ، ذلك أن الانسان حينما ينسى كل شيء فماذا يبقى في ذاكرته ووعيه ؟ الجواب، لا شيء ، أليست هذه هي الحالة المحزنة جدا التي قد يصل اليها بعض الناس حينما يتقدم بهم العمر ، والتي سماها القرآن الكريم " أرذل العمر "في قوله تعالى : ﴿ **ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد**

علم شيئا ﴾ [1] ، ان الانسان حينما ينسى كل شيء اكتسبه يصبح حاله أسوأ من حال البهائم التي تحركها غرائزها .

وحتى اذ قيل ان ما ينسى لا يفنى لكنه ينتقل الى منطقة اللاشعور ، كما يحدث في حال العقد النفسية ، فان هذا التفسير أو التأويل لا يجعل مفهوم الثقافة هنا ايجابيا منتجا أو مجديا ، لأن السلوك المفيد والمنتج والمثمر هو السلوك الواعي بغاياته ووسائله ومنهجه وليس السلوك اللاواعي.

ونأخذ أخيرا التعريف الشائع والمترسب في أذهان الكثيرين من المتعلمين وغيرهم على اختلاف درجاتهم في العلم ، والذي يجعل الثقافة الماما من كل علم بطرف . هذا التعريف ليست دلالته واضحة تماما لأن هذا **الطرف** من كل علم الداخل في الثقافة ليس محددا أو معروفا ، وعدم التحديد هذا **للأطراف** الداخلة في الثقافة يجعله غير متميز ، أما قدرته على توضيح المشكلات المرتبطة بالثقافة ، مثل: الهوية الثقافية والغزو الثقافي فانها تكاد تكون معدومة ، فالالمام بأطراف العلوم لا يعطي للفرد ولا للأمة خصائص تميزها عن غيرها تميزا واضحا ، اضافة الى أنه أمر لا ضرر فيه على وجه الاجمال ، وهذا التعريف ان عجز في توضيح طبيعة المشكلات الثقافية فهو عن حلها أعجز ، ان هذا التعريف للثقافة يجعل الثقافة مفيدة في مجال " الامتاع والمؤانسة "، لكن ليس في مجال حل المشكلات الثقافية لا على مستوى النظر الفكري ، ولا على مستوى الواقع العملي.

هذه نماذج من التعليقات النقدية على بعض تعريفات الثقافة نضعها أما القارئ ، الذي نريد أن تتكون لديه ملكة النقد المنهجي للأفكار ، أي النقد وفق معايير مقبولة علميا ومنهجيا .

---

[1] - الحج ٥

الثقافة مصطلح جذاب ومضلل

سبق أن أشرنا الى انتشار مصطلح **الثقافة** في الاستخدام في مجالات عديدة حيث يشير المصطلح الى دلالات ايجابية رسخت في الأذهان أن الثقافة والانتساب اليها أمر ايجابي مرغوب فيه وممدوح ، حتى غدا وصف انسان ما بأنه **مثقف** من أوصاف المديح التي يمتدح بها المرء ، بجانب صفات المديح المعروفة كالشجاعة والكرم والحلم واغاثة اللهفان ، والعلم والذكاء وغيرها ، واصبح الممدوح بأنه **مثقف** ، يشعر بالزهو والنشوة والاعتزاز لوصفه بهذه الصفة ، هذا فضلا عما نشاهده من تسابق العديد من المؤسسات ، التي قد تكون أعمالها وأهدافها تجارية محضة ، في نسبة نفسها الى الثقافة ، وجعل ذلك عنوانا لها .

لهذا عبرنا عن هذه المظاهر والدلالات الايجابية للفظ **الثقافة** بقولنا :انه مصطلح جذاب .

ولقد رأينا ، في الوقت نفسه ، الكثرة العديدة من التعاريف المطروحة لمصطلح **الثقافة** ، واختلاف دلالاتها من جهة ، وقصور غالبيتها عن الوفاء بشروط وضع المصطلح من جهة أخرى ، الأمر الذي يسبب حيرة وقلقا للمتلقي الذي يسعى للتعرف على حقيقة الثقافة وعلى حقيقة المشكلات المرتبطة بها ، اضافة الى ما يحتاجه الباحث في أمور الثقافة من جهد نقدي ينبغي عليه بذله للوصول الى اختيار أكمل التعاريف وأكثرها جدوى على المستويين النظري والعملي ، ومثل هذا الباحث ستزداد حيرته وارتباكه اذا لم يكن مزودا بمعيار يستعين به ويحتكم اليه في اختياره هذا ، من هنا جاء الجزء الثاني في وصفنا لمصطلح الثقافة ، وهو وصفه بأنه :مصطلح

مضلل ، فمصطلح **الثقافة** في وضعه الحالي، ومن حيث هو مصطلح علمي مجاله العلوم الانسانية ، هو – حسب ما نراه – يضلل أكثر مما يهدي ، للأسباب التي ذكرنا آنفا .

ونرى أن هناك سببا آخر لتضليل هذا المصطلح ، يرجع الى نشأته الغربية عن بيئتنا العربية ، فقد نشأ المصطلح في البيئة الغربية نتيجة لحاجات علمية تقع في مجال العلوم الانسانية ، هذه العلوم التي كانت توجهاتها تندرج تحت اتجاه عام في الفكر والحياة هو الاتجاه العلماني ، الذي ظهرت بداياته في الغرب في عصر النهضة وكان لظهوره أسباب وعوامل خاصة بالمجتمع الغربي وظروفه في عصر النهضة وفي العصور الوسطى ، وهذا التوجه العلماني وظروفه التي ساهمت في ظهور العلوم الانسانية الحديثة في الغرب ، والتي ظهر مصطلح **الثقافة** فيها ، ليست هي ظروفنا في المجتمع العربي الاسلامي حين بدأ المصطلح لدينا بالظهور والانتشار ، ولا حتى شبيهة بها شبها يبرر التقليد والنقل، ولهذا لاحظ كثير من الباحثين في موضوع الثقافة أننا نستخدم مصطلحات ومرجعيات مرتبطة بها ، غريبة عن مجتمعنا وما له من تاريخ وما فيه من مشكلات ، ونبهوا الى عدم جدوى التقليد ، وضرورة أن يبدأ التفكير من واقع المجتمع العربي الاسلامي وظروفه ومشكلاته وأهدافه وطموحاته ، وهذا هو ما نسعى جاهدين في هذا العمل لمراعاته وتحقيقه على أوفى صورة ممكنة وبقدر الطاقة .

في ضوء ما قلناه حول **تضليل** مصطلح الثقافة رأينا أننا بحاجة لتحديد مفهوم جديد للثقافة يكون نابعا من واقع مجتمعنا وظروفه ومشكلاته وأهدافه ، وتكون له القدرة على المساهمة في تحقيق طموحات وآمال أمتنا في أن تكون لها حضارة قوية عزيزة سامية من جديد. هذا ما سنحاوله في الفقرة التالية .

مفهومنـــا للثقافــة *

لقد رأينا أنه من الواجب علينا ، بعــد أن تعـذر علينـا أن نجـد تعريفـا للثقافـة نطمئن الى منطلقاته وجدواه وعدم تضليله، أن نجتهد في وضع مفهوم للثقافـة يسـتوفي الشروط المنهجية لوضع المصطلح ، وبعد تأمل طويـل متشـعب المنـاحي ، وصلنـا الى التحديد الآتي للثقافة :

" الثقافة هي معرفة عملية مكتسبة ، تنطوي على جـانب معيـاري وتتجلـى في سلوك الانسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود ".

هذا التعريف هو تحديدنا للثقافــة بـاطلاق ، دون الاشـارة الى ثقافـة بعينهـا ، وسنرى فيما بعد أن تحديد ثقافة ما بعينها يحتاج الى اضافة عبارة معينـة مخصصـة لكـي تتم الاشارة الى هذه الثقافة .

والتعريف عادة يصاغ في عبـارات موجـزة لكنهـا دقيقـة جـدا في دلالاتهـا ، ولذلك تحتاج التعريفات في العادة الى شرح وتوضيح ، وسـنفعل هـذا ، بعـون الله ، فيما يلي، فنقول:

١ - الثقافة (في هذا التعريف) معرفة في المحل الأول ، والمعرفة لفظ عام يشير الى كـل ما يعرفه الانسان من معلومات حول كل الموضوعات التي يزخـر بهـا هـذا الوجـود ؛ وأبسط صور المعرفة أن تكون خبرا واحدا ، أو معلومة واحدة ، عـن موضـوع واحـد . ويكون في العادة حول الموضوع الواحد أخبار عديدة أو معلومات عديدة ؛ فلو أخذنا الحديـد موضوعا ، فاننا يمكن أن نقول عنه : انه فـلز ، وانـه يتمـدد بـالحرارة ، وانـه موصل جيد الكهرباء ، وانه قابل للطرق والسحب ، وانه تصنع منه آلات عديدة ...

---

* صاحب هذا التعريف هو كاتب هذا الفصل الدكتور عزمي طه السيد أحمد.

وغير ذلك من المعلومات التي يعرفها الانسان عن الحديد؛ فهذه معرفة مكونة من أخبار أو معلومات عديدة ، لكن موضوعها واحد . وكل شيء في هذا الوجود ، جليلا كان أم حقيرا ، ماديا كان أم معنويا ، يمكن أن يكون موضوعا لمعرفة ما .

٢- صنفت المعرفة قديما ، ولا تزال ، الى قسمين : المعرفة النظرية ، وهي تلك المعرفة التي تكون الغاية من اكتسابها الوقوف على حقائق الأشياء التي هي موضوعاتها ، فقط ، أي تكون الغاية هي الوصول الى المعلومات والأخبار الصحيحة عن الموضوع. أما القسم الثاني فهو : المعرفة العملية ، وهي المعرفة التي يقصد بها العمل أو الفعل أو السلوك أو التطبيق ، فالفرق في الغاية هو الذي يحدد لنا الفرق بين نوعي المعرفة هذين النظرية والعملية ، ويمكن أن نضرب المثال الآتي لتوضيح الفرق بين نوعي المعرفة : اذا قلنا : المعادن تتمدد بالحرارة ، فهي حقيقة أو خبر أو معلومة عن موضوع ما هو المعادن تصف احدى خصائص هذا الموضوع ، فهذه معرفة نظرية ؛ أما اذا قلنا : عند بناء قضبان السكك الحديدية تترك فراغات بين القضبان ، فاننا هنا أمام معلومة أو خبر ينطوي على غاية عملية ، اذ هذه المعلومة ترشد الى فعل معين وسلوك معين ، فهي تقع في مجال المعرفة العملية . لكن القارئ يستطيع أن يلاحظ الصلة الوثيقة بينهما ، وهي أن المعلومة العملية مستندة ومبنية على المعلومة النظرية .

الثقافة تدخل في قسم المعرفة العملية ، لأنها -كما سنوضح فيما يلي- تهدف الى العمل والفعل والسلوك ، سواء كان ذلك في صورة مجملة عامة أو كلية أم في صورة مفصلة جزئية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن المعرفة العملية ، والتي تكون غايتها هي العمل والفعل والسلوك . والتطبيق ، ينبغي أن تكون مرتبطة ومبنية على معرفة نظرية صحيحة ، اذا ما كان هدفنا هو الفعل الصائب والسلوك الصحيح ، والمعرفة العملية

التي ليس لها سند من المعرفة النظرية الصحيحة تكون أشبه بالتخبط وأقرب الى العبث منها ال العمل الهادف المجدي .

٣- والثقافة معرفة عملية **مكتسبة** ، أي يحصل عليها الانسان بعد أن لم تكن موجودة لديه ، ويكتسب الانسان هذه المعرفة بطرق الاكتساب المختلفة كالتقليد والتعليم بطرقه المختلفة ، كما يكتسبها من المجتمع والبيئة التي يعيش فيها ، المحلية والعالمية وغير ذلك من طرق الاكتساب .

والمعرفة المكتسبة تقابل المعرفة الفطرية ، فالثقافة ليست معرفة يولد الانسان مزودا بها ، فذلك يكون غريزة وفطرة ، لكنه يكتسبها شيئا فشيئا ، ويظل الانسان قادرا على اكتساب المعرفة ، نظرية كانت أم عملية ، من المهد الى اللحد .

٤- هذه المعرفة العملية المكتسبة **تنطوي على جانب معياري** ، والمقصود بالجانب المعياري ، هنا ، هو وجود حالة يقاس في ضوئها حال الثقافة قربا أو بعدا ، تقدما أو تخلفا ، أي وجود معيار ؛ وهذه الحالة المعيارية لأي ثقافة هي بمثابة الهدف الذي يسعى الأفراد والجماعات للوصول اليه والاقتراب منه ما أمكن ، فهي بمثابة الصورة المثلى والأكمل لما ينبغي أن يكون عليه واقع الثقافة .

ونحن في الثقافة أمام حالين : الأول، هو واقع الثقافة ، أي ما هو كائن في الواقع الفعلي ، هذا الواقع الكائن يمكن بالطبع ملاحظته ورصده وتحديد ملامحه العامة وسماته التي يتشابه بها أو يختلف فيها عن غيره من المجتمعات الأخرى ، ان الأفراد في كل المجتمعات يتعاملون مع الوجود وأجزائه المختلفة بطرق وأساليب تختلف كثيرا أو قليلا من مجتمع لآخر ، فلكل مجتمع واقعه الثقافي .

أما الحال الثاني فهو الحالة المعيارية للثقافة ، تلك التي تكون مضمره في أحكامنا التي نطلقها عندما نقول: هذا المجتمع متقدم ثقافيا أو متخلف ثقافيا ، أو

نقول مثل هذا عن فرد ما ، ان مثل هذا الحكم لا يكون له معنى البتة اذا لم يكن في ذهننا هذه الحالة المعيارية (المعيار) الذي في ضوئه أصدرنا حكمنا .

ان ابراز الجانب المعياري في الثقافة أمر ضروري في معالجتنا للعديد من القضايا الثقافية ، لأن هذه الصورة المعيارية هي الصورة الأكمل والأمثل التي يسعى الأفراد والمجتمعات للوصول اليها أو الاقتراب منها ما أمكن.

ويمكن في هذا الصدد أن نثير السؤال الآتي : من أين يستمد هذا الجانب ومن يحدده ويرسم معالمه؟ لن ندخل هنا في جواب مفصل ، لكننا نقول بايجاز : ان هذه الصورة المعيارية قد تكون مستمدة من دين من الأديان وضعي أو سماوي ، وقد تكون من وضع البشر يرسمونها في ضوء ما يرونه هم مناسبا بناء على ما لديهم من معتقدات واستعانة بما لديهم من معلومات . وسنرى أنه في الثقافة الاسلامية - كما سيأتي بيانه - نستمد الجانب المعياري من الاسلام وشريعته .

٥- ان اكتساب هذه المعرفة العملية لا يكفي - في ضوء هذا التعريف - فلا بد أن تظهر هذه المعرفة العملية المكتسبة في سلوك الانسان فردا ومجتمعا حتى يكون لدينا ثقافة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ، ان الاكتفاء بمجرد اكتساب هذه المعرفة على مستوى الذهن دون ممارستها أو الاكتفاء بوصفها في الكتب لا يعني أن لدينا ثقافة ، ان هذا الاكتساب الذهني والتدوين في الكتب هو خطوة أولى نحو الوصول الى تحقيق الثقافة في صورتها التامة ، هذه الصورة التي لا تتم الا حين تتجلى في سلوك الانسان أفرادا ومجتمعا .

ويترتب على هذا التصور للثقافة أن يكون المثقف ليس هو الذي يملك المعرفة العملية التي وصفناها فيما تقدم فحسب ، وانما هو الذي يملك هذه المعرفة ويمارسها في سلوكه وحياته بالفعل.

٦- هذا السلوك الذي هو تجسيد للمعرفة العملية المكتسبة ...، يجب أن يكون سلوكا واعيا ، والسلوك الواعي هو السلوك الذي يقوم به صاحبه وهو يعرف تماما هدف هذا السلوك والغاية التي ستتحقق من وراء القيام به ، ويعرف أن الطريق الذي يسير عليه والوسائل التي يستخدمها والفعل الذي يقوم به تؤدي كلها الى هذه الغاية ، والحق أن هناك درجات في هذا الوعي لأنه مرتبط بمدى المعرفة التي يمتلكها الانسان الذي يمارس السلوك ، اذ هذه المعرفة تتفاوت من فرد لآخر كما وكيفا ، لكن أدنى درجات الوعي أن يدرك المرء أن سلوكه المعين الذي سيقوم به سيوصله الى الغاية التي يريدها ، سواء كان هذا الادراك على وجه اليقين أو على وجه الظن الراجح والاحتمال الغالب.

وهكذا يتضح - في ضوء مفهومنا للثقافة - أن الثقافة تتعارض مع السلوك العشوائي اللاواعي ، لأن مثل هذا السلوك لا يستند الى معرفة ، لا نظرية ولا عملية، ذلك أن السلوك الثقافي هو السلوك المستند الى معرفة عملية ويأتي تجسيدا لها.

٧- هذا السلوك الواعي هو سلوك اجتماعي ، أي سلوك يقوم به الانسان في المجتمع خلال ممارسته لحياته الاجتماعية وقيامه بالدور المناط به فيها ، فنحن في الثقافة لا نتحدث عن سلوك انسان متوحد يعيش منعزلا عن الناس والمجتمع في وسط الصحراء أو على جزيرة منعزلة .

٨- والانسان في هذه الحياة الاجتماعية التي يعيشها في مجتمع ما ، يتعامل مع الوجود الذي يحيط به والذي هو جزء منه .

ونحتاج هنا الى توضيح المقصود بلفظ **الوجود** ، هذا الذي لا مفر للانسان من التعامل معه ، فنقول: ان لفظ **وجود** هو لفظ عام جدا ، بل هو أعم الألفاظ وأوسعها دلالة ، فهو يشير الى كل شيء موجود سواء كان وجوده ماديا حسيا ،

أي يدرك بالحواس ، أو كان وجوده روحيا غير مادي، لا يمكن ادراكه بالحواس ، ولفظ **وجود** عند غالبية المفكرين من الألفاظ البديهية المعنى الواضحة بذاتها التي لا تحتاج الى توضيح ولا توجد ألفاظ أخرى أوضح وأبسط منه لكي توضحه ، بل يوضح به غيره من الألفاظ، ولذلك فان المرء حين يحاول توضيح دلالة لفظ **وجود** يجد نفسه يوضح اللفظ بنفسه اذ يضطر الى استخدام اللفظ نفسه أو لفظا مشتقا منه ، وذلك لبداهة ووضوح معناه في الأذهان ، وهكذا فلفظ **الوجود** لفظ واسع الدلالة لشموله كل الموجودات وانطباقه كوصف على كل موجود منها ، فنحن نقول عن الله سبحانه وتعالى ، خالق كل شيء ، انه موجود ، ونقول عن الانسان انه موجود ونقول عن الحشرة والبعوضة وما هو أدنى قدرا من ذلك انها موجودة .

ولسعة دلالة هذا اللفظ لجأ المفكرون والفلاسفة منذ القديم الى تقسيم الوجود الى أقسام مختلفة ليسهل عليهم بعدها البحث عن حقيقة الوجود والتعرف عليه، وليس غرضنا هنا مثل هذا البحث ؛ لكننا بحاجة في بحثنا الى اختيار تقسيم للوجود يسهل علينا مهمة بحثنا هذا في الثقافة .

سنقسم الوجود قسمة مستمدة من القرآن الكريم ، وهي قسمة **الوجود** ، أي كل ما هو موجود ، الى قسمين رئيسين هما :

الخالق ، وهو الله سبحانه وتعالى " خالق كل شيء "، والخالق واحد أحد لا كثرة فيه، " **قل هو الله أحد** ".

المخلوقات ، وهي كل الموجودات باستثناء الخالق ، سواء كانت هذه الموجودات من عالم الشهادة ، أي العالم الذي يمكن أن يشاهد أو يدرك بالحواس ، أو كانت من عالم الغيب الذي لا يمكن للانسان ، في حياته الدنيا هذه ، أن يدركه ادراكا حسيا .

وهذه المخلوقات كثيرة جدا لدرجة يصعب جدا على الانســان ، ان لم نقـل يستحيل عليه ، أن يحصيها ، لكن الممكن للانســان هـو قسـمتها الى أقسـام كبـيرة ، وتصنيفها في أجناس أو أجزاء واسعة ، وقد اخترنا قسمة الوجود في جانب للمخلوقات، قسمة تساعدنا في بحثنا في أمر الثقافـة ، وهي قسمة للمخلوقات الى ما يلي :

الذات ، ويقصد بها وجود كيان الفرد في مجمله ، كما يقصد بها ما يشير اليه ضمير المتكلـم: **أنا** ، فحين يقول الانسان : **أنا** فانه يفرد ذاته عن بقيـة الـذوات الأخـرى في العالم بأسره .

الآخر، ويقصد به جميع بني الانسان ما عدا ذات الفـرد ، وهـذا جـانب واسـع جـدا ويشمل عددا من الدوائر المتداخلة بدء ا بدائرة الأسرة وانتهاء بدائرة المجتمع-الدولـة، والمجتمع الدولي، فهو مجال يشمل الآخرين في داخل المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ومـن هم خارجه .

الكون الطبيعي ، أو الطبيعة ، ويشمل هذا الجزء الكون المادي الذي نعيش فيهـا بمـا فيه من أجرام سماوية ومجرات فلكية ، وبطبيعـة الحـال فـان أهـم جـزء في هـذا الكـون الطبيعي هو الأرض التي يعيش عليها الانسان فهي مكان استقراره ، وهي الأقرب اليه، والغالبية العظمى من تعامله مع الكـون الطبيعـي هـو مـع هـذه الأرض ومـا فيهـا مـن جمادات ونباتات وحيوانات وما فيها من بحار وأنهار وجبال وأودية ، وغير ذلـك ممـا يصعب حصره.

الأفكار ، ومحلها في الدرجة الأولى الذهن ، ويمكن التعبير عنها بـاللفظ أو الكتابـة ، وهي في جوهرها وجود غير مادي، ويدخل في هذا الجانب العلـوم والـتراث الفكـري لنا وللحضارات الأخرى .

الوسائل والأدوات والمنجزات ، وتشمل كل ما استعان به الانسان أو ابتكره وأنجزه من وسائل وأدوات وأجهزة استخدمها في حياته وتعاملـه مع جوانب الوجود المختلفة .

الزمن ، وهو أمر ملازم للوجود بعامـة ، ولـه ارتبـاط بالحركـة وبالشـعور النفسـي ، وبرغم اختلاف المفكرين في حقيقة الزمـن ، الا أن هنـاك اجماعـا علـى أن في الزمـن : الماضي والحاضر والمستقبل ، وأن الزمن لا غنى عنه في تنظيم أمور حياتنا .

الغيب ، وهو كل وجود لا يمكن للانسان أن يدركه ادراكـا حسيا البتـة ، والغيـب جزء من كيان الانسان ، ذلك أن فينا جانبا غيبيا داخل في صميم كياننا هو مـا نطلـق عليه اسم الروح أو أحيانا النفس . ومن الغيب الملائكة والجنـة والنـار وغـير ذلـك مما عرفناه من خلال الوحي الالهي غير المحرف .

هذه القسمة للوجود سنستعين بها عند الحديث عن مجالات الثقافة ، والثقافـة الاسلامية ، فكل قسم من هذه الأقسام يشكل مجالا يمكن الحديث عن الثقافة المرتبطـة به ، سواء في صورة مجملة أم في صورة مفصلة.

لعله قد أصبح واضحا أن جوهر مفهوم الثقافة لدينا هـو تعـامل الانسـان مـع الوجود في ضوء معرفة عملية معيارية ، وأن الثقافة فيها قطبـين متفـاعلين : الأول هـو الانسان ، ومنه يبدأ التفاعل أو التعامل ، فهـو الفـاعل في أمـر الثقافـة ؛ والآخـر هـو الوجود (الذي الانسان ذاتـه جـزء منـه) واليـه يتجـه التفـاعل ، فهـو المنفعـل ، وأن الفاعل ، أي الانسان الذي يمارس الثقافة ، يعـي غايته وهدفه من فعله .

أما العناصرالأخرى التي تضمنها التعريف فكلها عناصر لازمة لتحقيـق الثقافـة وتجسيدها في صورتها الفعلية .

ان التعامل مع جوانب الوجود كلها على نحو مفصل أمر لا يستطيعـــه الفـرد الواحد ، لكن الانسان كنـوع ، أي النـوع الانسـاني بأسـره يستطيع أن يتعـامل مـع الوجود على نحو مفصل حيث يقوم كل فرد في هذه الحياة بالتعامل مع جانب أو جزء محدد من الوجود ، ويكون هذا الجزء في أغلب الأحيان صغيرا ومحدودا جدا بالنظر الى الوجود أو الى قسم منه مثـل الكون الطبيعي .

ويتصل بهذا الأمر أمر آخر ، وهو أن المعرفة العملية بالتعامل مع جميع جوانب الوجود كلها على نحو مفصل أمر غير ممكن أن يحصله فرد واحد من الناس ، وانما الذي يمكن أن يحدث فعلا هو أن يلم المرء بالمعرفة العملية المتصلة بالتعامل مع كل جوانب الوجود الرئيسة - والتي قسمنا الوجود اليها فيما تقدم آنفا - على نحو مجمل عام يشمل المبادئ والقواعد الكلية والمنطلقات دون الدخول في التفصيلات ، فهذا من جهة ممكن ؛ ومن جهة أخرى فان ما نراه فعلا في الواقع هو أن الانسان يركز على المعرفة العملية المتعلقة بالتعامل مع جزء محدد من الوجود ويحاول أن يعرفه على نحو مفصل ، ويكون هذا التعامل في أغلب الأحوال عبارة عن المهنة التي يمارسها الانسان في حياته.

هذا التوضيح يقودنا الى وضع مصطلحين فرعيين في الثقافة هما : **الثقافة العامة والثقافة الخاصة .**

فالثقافة العامة:- هي معرفة عملية مكتسبة ، تنطوي على جانب معياري وتتجلى في سلوك الانسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود ، على نحو مجمل يشمل المنطلقات والأسس والمبادئ العامة والقواعد الكلية .

فتعريف الثقافة العامة هو تعريف الثقافة بعد أن أضيفت اليه عبارة مخصصة (هي الواردة آنفا بعد لفظ : الوجود) ليشير الى هذا المستوى العام في الثقافة .

أما الثقافة الخاصة فهي : معرفة عملية مكتسبة ، تنطوي على جانب معياري وتتجلى في سلوك الانسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع جزء محدد من الوجود.

فتعريف الثقافة الخاصة هنا هو أيضا تعريف الثقافة مضافا اليه عبارة مخصصة (هي: جزء محدد من) لتشير الى هذا المستوى الخاص في الثقافة .

ولأن جوانب الوجود المحددة والصغيرة لا حصر لها ، فان الثقافات الخاصة ستكون كذلك ، فمثلا: المعرفة العملية المتعلقة بتعامل الانسان مع مادة الخشب والتي تتجلى في سلوك النجار حين يمارس مهنته هي ثقافة خاصة مجالها التعامل مع الخشب ،

وكذلك التعامل مع الحديد في مهنة الحدادة ، والتعامل مع النبات أو بعض أنواعه أو في بعض الأحيان مع نوع واحد منه، كما هو في مهنة الزراعة ، والمحامي حين يتعامل مع مشكلات الناس ومدير المؤسسة أو الشركة في ادارته لمؤسسته والمدرس في تعليم طلابه والمفكر في تعامله مع الأفكار ورئيس الدولة في رعايته لرعيته ومصالحهم ... كل واحدة من هذه المهن ، حين تمارس ، تمثل ثقافة خاصة في مجالها الخاص والمحدد، فكل واحد من أصحاب هذه المهن يتعامل مع جانب محدد من الوجود .

ويترتب على هذا الفهم للثقافة أن يكون كل انسان يؤدي عملا أوله مهنة ما، مهما كانت ضئيلة ، مثقفا ، اذا كان يقوم بعمله ومهنته هذه في ضوء معرفة عملية، وبوعي لما يقوم به ، فليس المثقف - في ضوء هذا الفهم للثقافة فئة قليلة من الناس كالكتاب والمفكرين وأساتذة الجامعات ، وانما المثقف هو الذي يجسد في سلوكه في هذه الحياة الاجتماعية المعرفة العملية التي اكتسبها في تعامله مع جانب محدد من الوجود .

ويمكن أن يثار هنا سؤال بشأن الثقافة العامة وصلتها بالثقافة الخاصة ، وهو الآتي: هل يعني ما تقدم توضيحه بشأن الثقافة الخاصة أنه لا حاجة للانسان الى الثقافة العامة ؟ الجواب على هذا أن التوضيح السابق لم يقل انه لا حاجة ، بل العكس هو الصواب ، ذلك أن الانسان وان اتخذ من التعامل مع جانب محدد من الوجود مهنة له يمارسها كل يوم وباستمرار ، الا انه في الوقت نفسه يتعامل مع بقية جوانب الوجود بلا استثناء ، بل هو لا يقدر على الا يتعامل معها ، ان الانسان منا يتعامل مع الله ، ويتعامل مع ذاته ومع الآخرين ومع الأفكار ومع الكون الطبيعي والبيئة التي تحيط به ، ومع الأدوات والوسائل ومع الزمن ومع الغيب ، وعليه فهو في حاجة الى قدر معين من المعرفة يمكن أن نطلق عليه الحد الأدنى الذي لا غنى لكل انسان عنه ، ثم يتفاوت الناس بعد هذا الحد ما يشاؤون كل بحسب قدراته وظروفه، هذا الحد الأدنى من

المعرفة يحتاجه كل انسان لكي يستطيع أن يتعامل في هذه حياته الاجتماعية مع جوانب الوجود المختلفة ، وقد سبق أن ذكرنا أن هذه المعرفة من المستحيل أن يحصلها الانسان على نحو مفصل ، وانما الممكن هو أن يحصلها على نحو مجمل ، فالانسان اذن بجانب ثقافته الخاصة بحاجة الى ثقافة عامة لها حد أدنى.

والحق أن بعض الناس، ممن يتعاملون مع قطاع أكبر من الوجود في مهنهم ، يحتاجون الى قدر أكبر من الثقافة العامة من الذين يتعاملون مع قطاع أصغر من الوجود ، فمدير الشركة أو المؤسسة يحتاج الى ثقافة عامة أكثر مما يحتاجه رئيس قسم في هذه الشركة ، وهذا يحتاج الى ثقافة عامة أكثر من موظف في هذا القسم ... وهكذا ؛ وهذه الأقدار كلها فوق الحد الأدنى بطبيعة الحال.

هذا المعنى وهذه الحاجة أدركتها العديد من الظم التعليمية في بلدان مختلفة حين جعلت للتعليم سنا الزامية على كل فرد ناشئ في المجتمع أن يجتازها ، ونعتقد أن أخذ ما طرحناه هنا حول مفهوم الثقافة والثقافة العامة يمكن أن يساهم في تحسين أكثر وعيا لبرامج التعليم في هذه المرحلة الالزامية .

هذا هو مفهومنا للثقافة الذي سنسير عليه في بحثنا في هذا الكتاب ، ومنه سننتقل الى تحديد مفهوم الثقافة الاسلامية والى معالجة المباحث المختلفة في نطاقها .

ولكي يتضح لنا مفهوم الثقافة بصورة أجلى وأوضح، نرى من المفيد والملائم أن نقارن الثقافة مع عدد آخر من المفاهيم التي كثيرا ما يختلط معناها ودلالاتها بمعنى الثقافة ، وذلك لوجود علاقات أو أوجه شبه فيما بينها. وهذه المفاهيم التي سنبين صلة الثقافة بها وصلتها بالثقافة، هي: العلم ؛ والحضارة والمدنية ؛ والدين .

الفصل الثاني

علاقة الثقافة ببعض المصطلحات المقاربة *

علاقة الثقافـة بالعلـم

لكي نتبين ما بين الثقافة والعلم من أوجه الشبه والاختـلاف ومـا بينهمـا مـن صلات وعلاقات ، نحتاج الى الرجوع الى مفهوم كل مـن الثقافـة والعلـم ، لأن هـذه المفاهيم هي التي سنعتمد عليها في ضبط المقارنات وتوضيح العلاقات بحيث لا يجوز أن تكون هذه المقارنات والعلاقات متعارضة مع أي من مفهوميهما .

أما مفهوم الثقافة فقد فرغنا من ذكره وبيانه في الفقرة السابقة فلا نورده هنا، وان كنا سنستحضره في ذهننا عند المقارنة (ويحسن بالقارئ أن يراجع مفهوم الثقافـة الذي وضعنـاه في الفرة السابقة والذي سنسير عليه في هذه المقارنة وفي كل ما سـيأتي بعد ذلك من مباحث في هذا الكتاب).

وأما العلم فنحتاج الى تحديده والى شيء من البيان حولـه تمهيـدا وتسـهيلا لمـا نحن بصدد توضيحه .

جرى استخدام لفظ **علم** منذ العصور القديمة ولا يزال حتـى وقتنـا الحـاضر ، فقد كان يشير عند فلاسفة اليونـان القدامـى الى المعرفـة النظريـة اليقينيـة ، أي المعرفـة الصحيحة التي لا مجال للشك فيها ، وكانوا يرون أن العلم-كمـا بينـه أرسطو

---

* كتبه د. عزمي طه السيد

(٣٨٤ق.م-٣٢٢ق.م) هو ما يتم الوصول اليه بالبرهان الصحيح شكلا ومضمونـا. ومن حيث تقسيم العلوم نجدهم قد قسموا العلوم الى قسمين رئيسين : نظرية وعملية.

وفي الحضارة الاسلامية استخدم لفـظ **العلـم** استخدامين : خـاص وعـام ؛ الاستخدام الخاص يشير الى العلـوم الدينيـة ، أي مجموعـة العلـوم المبنيـة على الديـن الاسـلامي والمرتبطـة بـه ، كعلـوم : التفسير والحديـث والفقـه ، والعقيـدة والسـيرة والمغازي وأصول الفقه ...الخ ؛ والاستخدام العام يشير الى جميع العلـوم الموجـودة بمـا في ذلك العلوم الدينية ، فكان يشير الى علوم كالرياضيات والفلـك والطـب والفيزيـاء والفلسفة والمنطق وغيرها ، اضافة الى العلوم الدينية ، وكان لفـظ **العـالم** تبعـا لذلـك يطلق علـى العـالم في العلـوم الدينيـة مثـل : أبوحنيفـة ومـالك والشـافعي وابـن حنبـل والغزالي وابن تيمية وغيرهم ، كما يطلق على علماء ركزوا نشاطهم العلمي في حقول أخرى غير العلوم الدينية كالفلسفة والرياضيات والفيزياء والطب وغيرها ، مـن أمثـال : الكندي والخوارزمي وابن الهيثـم وابـن النفيـس وغـيرهم. أمـا التمييز بـين المقصـود بلفظي **علم** و **عالم** : هل هوالمعنى الخاص أو العام ؟ فقد كـان يعـرف بسـهولة ويسـر من سياقه .

وقد كانت في الحضارة الاسلامية قسمة أخـرى شـائعة للعلـم ، وهـي قسـمة العلوم الى قسمين رئيسين : علوم دينية وعلوم عقلية ، وهي قسمة أخذت في الاعتبـار الأساس الـذي بـني عليـه كـل قسـم ، فـالعلوم الدينيـة مبنيـة علـى نصـوص الديـن الاسلامي، كتابا وسنة ، والعلـوم العقلية على اجتهاد العقل الانساني وحده في تعامله وتفاعله مع معطيات الكون والوجـود المحيط به ، لكنه لا ينبغي أن يغيب عن بالنـا أنه وان اختلف الأساس في القسمين فان العقـل ونشاطه موجود في كل منهما .

وقد كان لفظ **علم** ، عندما يطلق دون اضافات ، يقصد به العلم النظري دون العملي، أما اذا أضيفت اليه صفة ما ، فان هذه الصفة تشير الى المقصود كأن يقال: علم عملي.

وفي الوقت الحاضر لا يزال لفظ **علم** يشير الى العلم النظري حينما يستخدم باطلاق ودون اضافات ، فاذا أريد الدلالة الى معنى آخر استخدم مع الاضافة ،كأن يقال: علم تطبيقي أو علم عملي.

وتقسم العلوم في العصر الحالي تقسيمات مختلفة ، بعضها يتخذ المنهج معيارا للتقسيم (كتقسيم العلوم الى علوم استنباطية وعلوم استقرائية) ، وبعضها يتخذ المصدر معيارا (كتقسيم العلوم الى علوم الهية وعلوم انسانية)، وبعض آخر يجعل معيار التقسيم هو الموضوع .

وأكثر التقسيمات شيوعا في الوقت الحاضر هو التقسيم بحسب الموضوع ، وهو قسمة العلوم الى المجموعات الثلاث الآتية :

العلوم الطبيعية ، وهي العلوم التي موضوعاتها موجودات الكون الطبيعي (الطبيعة)، وهذه تضم علوما عديدة ، مثل : الفيزياء ، الكيمياء ، علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) ، علم الأحياء ، علم البحار ،علم الفلك ...الخ .

العلوم الانسانية ، وهي العلوم التي يكون موضوعها الانسان باعتباره كائنا اجتماعيا تصدر عنه أنواع شتى من أنواع السلوك ، فيختص كل علم بنوع من أنواع هذا السلوك أو النشاط ، وهذه تضم علوما عديدة ، مثل: علم النفس ، علم الاجتماع ، علم التربية ، علم السياسة ، علم الاقتصاد ، علم الادارة ، علم القانون ، علم التاريخ ، الآداب ، الفنون النظرية ...الخ ، وتسمى هذه العلوم أو بعضها ، أحيانا ، باسم العلوم الاجتماعية ، وان كان الاستخدام الأول هو الغالب.

العلوم الصورية ، وهي علوم تهتم بالبحث في صورة الفكر وصورة العلاقات بين الأشياء ، وصورة العلاقات الممكنة عموما ، دون الالتفات الى المضمون المادي لهذه الصور أو العلاقات ، ولهذا تستخدم هذه العلوم الرموز المجردة عن أي مضمون مادي في الواقع. وتضم هذه المجموعة على وجه التحديد : علم الرياضيات بكافة فروعه (والمقصود الرياضيات البحتة أو الخالصة) من حساب وهندسة وجبر وتفاضل وتكامل ... الخ، كما تضم علم المنطق بفرعيه : المنطق الصوري القديم والمنطق الرمزي أو الرياضي .

ويستخدم لفظ **علم** في وقتنا الحاضر ، في كثير من الأحيان ، ليشير الى مجموعة العلوم الطبيعية دون غيرها وأحيانا يضيفون اليها الرياضيات ، وهو استخدام خاطئ وغير دقيق، ومنشأه يعود الى غلبة العلوم الطبيعية وانتشارها في هذا العصر - من جهة - كما يرجع - من جهة أخرى - الى تسمية الكليات الجامعية التي تقوم بتدريس هذه المجموعة من العلوم في الجامعات باسم : كليات العلوم ، فترك ذلك انطباعا في الأذهان بأن **العلم** هو هذه العلوم وحدها ، وهو خطأ - كما ذكرنا - فالتاريخ علم ، والتربية علم والنحو والصرف والبلاغة كلها علوم والفقه والتفسير والاقتصاد هي أيضا علوم ، وهذه تدخل في مجموعة العلوم الانسانية .

بعد هذا التوضيح العام والموجز للعلم ، نقدم تعريفا للعلم بعامة ، فنقول :

العلم مجموعة من الحقائق النظرية المتسقة في حقل من حقول المعرفة تم التوصل اليها عن طريق منهج ملائم في البحث ، وجرى التحقق من صدقها .

هذا التعريف يبرز أهم خصائص العلم :

- فلا يكون علم الا اذا كان لدينا مجموعة من الحقائق، فالحقيقة الجزئية الواحدة أو العدد الذي يتجاوز أصابع اليد منها ، من العسير أن ينظر اليها كعلم مستقل .

– وهذه الحقائق أو القوانين ذات طبيعة وغاية نظرية ، أي أن غايتها بيان حقيقة الشيء أو صفاته أو علاقاته فقط دون أن يكون لها هدف عملي تطبيقي. (يحسن أن يراجع القارئ ما قلناه في مفهومنا للثقافة عن الفرق بين المعرفة النظرية والعملية).

– وهذه الحقائق النظرية ينبغي أن تكون متسقة ، أي غير متعارضة أو يناقض بعضها بعضا ، وانما هي حقائق يسند بعضها البعض الآخر ويكمله .

– وهذه الحقائق أو القوانين النظرية المتسقة ، حتى تشكل علما معينا ينبغي أن يكون لها موضوع مشترك تبحث فيه وتصفه ، وهذا الموضوع هو الذي يشير ويحدد الحقل المعين لهذا العلم والذي يميزه عن الحقول والعلوم الأخرى ، فعلم الفيزياء موضوعه غير علم الكيمياء وغير علم الفلك ... وهكذا .

وهذه الحقائق لا بد وأن يكون الوصول اليها ، أي اكتشافها ، قد جاء نتيجة اتباع الباحث أو العالم لمنهج في البحث العلمي ملائم لطبيعة الموضوع ومعترف به عند المشتغلين في العلم ؛ وفي البحث العلمي يوجد أكثر من منهج في البحث ترجع الاختلافات بينها الى طبيعة الموضوع المبحوث ، لذا قلنا انه ينبغي أن يكون الوصول الى هذه الحقائق قد تم باستخدام المنهج الملائم .

وهذه الحقائق المشار الى أوصافها هنا ، والتي تشكل العلم ، ولا تصبح حقائق علمية الا اذا جرى ، بعد الوصول اليها، اختبار صدقها ، أي التأكد ، بطريقة أو أكثر من طرق الاختبار المتاحة ، بأن هذه المعلومة التي تم الوصول اليها هي معلومة صحيحة وصادقة ، فاذا فشل الباحث في اثبات صدق ما وصل اليه من نتائج أو معلومات ، فانها تظل خارج دائرة العلم ، ولا توصف بأنها علمية .

ننتقل بعد الذي قدمنا عن العلم ومفهومه الى المقارنة وبيان الصلة بين الثقافة والعلم ، فنقول:

الثقافة والعلم كلاهما معرفة ، لكن الثقافة معرفة عملية ، غايتها العمل أو الفعل أو التطبيق أو السلوك ، في حين أن العلم معرفة نظرية ، غايتها الوصول الى الحقيقة فقط .

والثقافة والعلم كلاهما مكتسب ، أي يحصل عليهما الانسان بعد أن لم يكونا لديه ، لكن طرق اكتساب الثقافة تختلف عن طرق اكتساب العلم ، فالعلم يصل اليه العلماء نتيجة دراسة منظمة وتطبيقهم منهجا ملائما في البحث ، ثم هم ينقلون ما وصلوا اليه الى الآخرين من خلال طرق منهجية ومنظمة ؛ أما الثقافة فطرق اكتسابها عديدة ، وبعضها لا تكون قائمة على منهج محدد، فنحن نكتسب جانبا من الثقافة عن طريق التقليد لآبائنا ولغيرنا في الأسرة والمجتمع ، وأحيانا عن طريق التعليم المنظم ، وأحيانا أخرى عن طريق المحاولة والخطأ أو التعلم الذاتي أو غيرها .

وكثيرا ما يحدث أن نكتسب الثقافة دون نظر أو فحص بين ما اذا كانت هذه الثقافة هي الأكمل والأصوب أم لا ؛ وفي بعض مجالات الثقافة ، كالتعامل مع الآخر مثلا ، لا يجد الكثيرون حرجا في اكتساب هذه الثقافة تقليدا دون فحص أو نقد لها ، أما في العلم فان اكتسابه ينبغي أن يكون مقرونا بالدليل الذي يثبت صحة المعلومات المقدمة ، ولذلك يقوم المعلمون في العادة باثبات صحة المعلومات التي يقدمونها الى طلابهم بالطرق المختلفة كاجراء تجارب معينة في المختبر أو استخدام البراهين العقلية أو غير ذلك من طرق الاثبات المختلفة .

لقد أشرنا في تعريف العلم الى أنه حقائق تم اختبار صدقها ، فهي لذلك صادقة ، وبالطبع لا يعتبر من العلم المعلومات الخاطئة أو الكاذبة أو الظنية ، أي التي تحتمل الصواب والخطأ ، فالعلم حال واحدة ودرجة واحدة هي الصواب ، وبالتالي لا يناسب العلم الوصف الذي وصفنا به الثقافة ، وهو أنها تنطوي على جانب معياري نسعى الى الوصول اليه بالانتقال مما هو كائن الى ما ينبغي أن يكون ، الأمر

الذي يترتب عليه ، في حال الثقافة وجود درجات متفاوتة فيها على مستوى ما هو كائن ، أي مستوى الواقع الفعلي .

والحق أن الثقافة – كما تمارس في واقع المجتمعات والحضارات المختلفة – يختلف الجانب المعياري فيها من مجتمع لآخر ، فعلى سبيل المثال ، الجانب المعياري في الثقافة الاسلامية مستمد من الشريعة الاسلامية ومؤسس على عقيدتها ، والثقافة الغربية الحديثة الجانب المعياري فيها مستمد من القوانين الوضعية السائدة فيها ومؤسس على معتقدات الاتجاه العلماني السائد في المجتمعات الغربية ، وهكذا ... لذلك كانت الثقافات تختلف من مجتمع لآخر ومن حضارة لأخرى ، وهذا على خلاف العلم الذي هو واحد في جميع المجتمعات ، لأنه يضم حقائق تم اختبار صدقها بطرق موضوعية مقنعة للجميع على اختلاف مجتمعاتهم .

والثقافة ، لكونها معرفة عملية ، مكان تجليها على صورته الأكمل هو السلوك في الحياة الاجتماعية وليس الذهن فقط ؛ أما العلم ، لكونه معرفة نظرية ، فمحل تجليه هو الذهن في الأساس ، وهذا ما كان يعنيه قول بعض علماء الأزهر :" العلم في الرأس لا في الكراس " ، ذلك أن العالم لا يكون عالما باقتنائه الكتب العلمية وانما بفهمها ؛ في حين أن المثقف لا يكون مثقفا (وفق مفهومنا للثقافة الذي نسير عليه) بمجرد المعرفة الذهنية فقط ، وانما بممارسة هذه المعرفة وتجليها في سلوكه .

والحق أنه بالرغم من هذه الاختلافات بين الثقافة والعلم ، فان الصلة بينهما وثيقة ، وذلك يأتي من حرص الانسان بعامة على البحث عن الثقافة الصحيحة (أي المعرفة العملية الصحيحة في التعامل مع الوجود المحيط به)، وهذه لا تكون الا اذا كانت مبنية على معرفة نظرية صحيحة ، أي على العلم ، ومن هنا نستطيع القول بأن الثقافة مرتبطة بالعلم ومبنية عليه في العديد من جوانبها ، وأن العلم يشكل مصدرا

من مصادر الثقافة ، كما أنه يمكن القول ان تقدم العلم بعامة (وليس العلم الطبيعي فقط) سيؤدي الى تغير في الثقافة ، وليس من الضروري أن يكون هذا التغير دائما الى الأفضل ، فكثيرا ما يساء تطبيق العلم ، فتنشأ عنه طرق ضارة في التعامل مع بعض جوانب الوجود . ونود هنا أن نلفت النظر الى أن العلم ، من حيث هو علم ، محايد أخلاقيا ؛ لكن تطبيقاته ليست محايدة اذ قد تكون خيرا أو شرا وفق توجيهات العقيدة التي يحملها مطبق العلم .

ان التغير في الثقافة الذي يكون نتيجة لتقدم العلم ، لا يحدث على الفور بعد حصول التقدم ، وانما يحتاج الى وقت قد يكون طويلا في بعض الحالات .

والحق أن تاريخ الثقافات الانسانية يخبرنا بأن الكثير من أساليب وطرق تعاملنا مع بعض جوانب الوجود ، وبخاصة مع الكون الطبيعي ومع المنجزات والوسائل ، قد تغير عبر العصور نتيجة لتقدم العلم .

واذا كان العلم يؤثر على الثقافة ، فان الثقافة من جانبها يمكن أن تؤثر في العلم نوعا من التأثير ، لكن ليس من حيث تزويده بالحقائق النظرية ، ولكن من حيث أنها تقدم للعلم وللعلماء مشكلات عملية أو تطبيقية أفرزتها الثقافة خلال الممارسة العملية في واقع الحياة ، فيقوم العلماء بالنظر والبحث فيها ، محاولين اكتشاف الحقائق النظرية المتصلة بها أولا ثم حلها بعد ذلك .

علاقة الثقافة بالحضارة والمدنية

المصطلحان: **حضارة** و **مدنية** من المصطلحات التي اختلف حول مفهوميهما الكتاب في العالم العربي الاسلامي ، فبعضهم يستخدم اللفظين على أنهما مترادفين ، وآخرون يعطون الحضارة معنى أوسع من معنى المدنية ، وفئة ثالثة يقصرون الحضارة على الجانب الفكري والمعنوي والمدنية على الجانب المادي.

ولفظ حضارة في أصلها اللغوي تهني الاقامة والعيش في الحضر ، أي المدن العامرة ، وهي مقابل البداوة ، أي الاقامة والعيش في البادية ، أما في المعنى الاصطلاحي الذي سنستخدمها فيه في بحثنا هذا ، فاننا سنأخذ أكثر المعاني شيوعا، وهو الذي يجعل الحضارة شاملة لجانبين : مادي وغير مادي ، وعليه نستطيع أن نقدم التعريف الآتي للحضارة ، فنقول:

الحضارة مصطلح نشير به الى المنجزات الانسانية المتراكمة لأمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات خلال حقبة زمنية معينة في مجال المنجزات المادية (وسائل ، الآت ، أدوات ، مباني ، جسور ، مصانع ...الخ) ، وفي مجال المنجزات غير المادية (علوم ، قيم ، نظم ، آداب ، فنون نظرية ...الخ) .

وقيام الحضارات تؤثر فيه عوامل عديدة (استقرار المجتمع ، قوته العسكرية والمالية ، مدى انتشار العلم فيها ، العقيدة السائدة ... الخ)، لكننا سنشير هنا الى أهمية عاملين رئيسين لهما الأثر البارز في قيام الحضارة وشكلها ، وهما: العقيدة والعلم .

ان العقيدة السائدة في أمة من الأمم ، سواء كان مصدرها دين سماوي أم كانت من وضع البشر ، هي التي تحدد انطلاقة الحضارة في هذه الأمة ، ذلك أن العقيدة هي التي تحدد الأهداف العامة للحضارة وترسم معالمها الرئيسة وتصبغها بصبغتها وتطبعها بطابعها فتبرز في الحضارة الخصائص الأساسية لهذه العقيدة ، ويمكن توضيح هذا القول بالنظر في الحضارة الاسلامية وفي الحضارة الغربية الحديثة التي توجهها المعتقدات العلمانية .

أما العلم فانه العامل الحاسم الثاني بعد العقيدة ؛ ان استقراء تاريخ الحضارات يخبرنا أنه ما من حضارة قامت على الجهل ، وانما على العلم ، وأن المجتمع الذي يريد انشاء حضارة خاصة به ، يبدأ بالعلم ، يجمعه من داخل المجتمع وخارجه، وييسره

للناس ، وينفق على العلم والعلماء وطلبة العلم بسخاء ، (يمكـن للمـرء أن يسـترجع سخاء المأمون في دفع وزن الكتاب المترجم ذهبا مكافأة لمترجمه ، وما فعلته أمريكـا في هـذا العصر في جـذب العقـول المفكـرة والعالمـة واغراقهـا بالمكافـآت العاليـة) ، فالحضارة، أي المنجزات الانسانية ... الخ لا تتم بدون علم يشمل جميع المجالات .

والحـق أن للعلـم في الحضـارة اعتبـارين : الأول أنـه أسـاس وعـامل في قيـام الحضارة ، والثاني أنه ناتج من نواتج الفاعليـة الحضاريـة ، أي منجـز مـن منجـزات الحضارة ، ويمكن القول في هذه المسألة بأن هناك علاقة جدلية بين العلم والحضـارة (اذ هو أساس في قيام الحضارة وناتج من نواتجها).

وينبغي في هذا المقام التنبيه الى أن الحضارة لا تسـتورد جـاهزة كمـا تستورد الآلات والسـلع الجـاهزة ، فنحـن لا يكـون لدينـا حضـارة اذا استوردنا منجـزات حضارة أخرى ، مادية كانت أم غير مادية ، وانما يمكن القـول بـأن لدينـا حضـارة اذا أنجزنا نحن كل ما نحتاجـه من منجزات بعقولنا وأيدينا .

أما لفظ **مدنية** ، فانه يشير في أصلـه اللغـوي الى حيـاة المـدن حيـث مظـاهر التقدم المادي في أساليب الحياة واستخدام المنجزات المادية ، وسوف نستخدم مصطلح **مدنية** للدلالة على جانب المنجزات المادية المختلفة ، وعليه ، فان مصطلح **الحضـارة** لدينا أشمال من مصطلح **المدنية** ، وننظر الى المدنية على أنها جـزء الحضـارة المـادي ، ونلخص هذه العلاقة بالمعادلتين الآتيتين :

الحضارة = المنجزات المادية + المنجزات غير المادية ، وأيضا :

الحضارة = المدنية + المنجزات غير المادية .

ننتقل بعد هذا التوضيح لطبيعة الحضارة والمدنية ، الى البحث في العلاقة بين الثقافة وكل من الحضارة والمدنية ، فنقول :

لا بد لنا أولا من أن نسترجع في الذهن مفهوم الثقافة الذي اعتمدناه لبحوثنا ، ثم نتذكر ثانيا ما قلناه عند الحديث عن العلاقة بين الثقافة والعلم ، حيث أكدنا على أن الثقافة الصحيحة ينبغي أن تكون مستندة الى علم (والعلم هنا بالمعنى الواسع لا بمعنى العلوم الطبيعية فقط) حتى تكون الثقافة نافعة ومنتجة وذات جدوى ، والحق أن الثقافة لا تتأثر بالعلم فقط ، بل هناك عامل هام يوجه الثقافة ويصبغه بصبغتها وهو العقيدة السائدة في المجتمع .

والآن ، نستطيع أن نرتب هذه الأمور ترتيبا منطقيا ، الأمر الذي سيعيننا كثيرا في التعرف على العلاقة بين الثقافة والحضارة ، وترتيبها المنطقي كالآتي :

العقيدة توجه العلم وجهة معينة فيتولد لدينا معرفة عملية تطبق ويمارسها الناس في الحياة الاجتماعية في تعاملهم مع الوجود المحيط بهم ، أي تتولد ثقافة ذات طابع وخصائص معينة ، وهذه الثقافة ، التي هي سلوك ، منها ما يتكرر وقوعه دون أن يكون منجزا له صفة التعين ، ومنها ما يكون منجزات تامة متعينة ، نستطيع أن نتحدث عنها أو نصفها باعتبارها انجازا تاما ، سواء كان هذا الانجاز ماديا (أدوات ، مباني ، قصور ، جسور ...الخ) أو كان غير مادي (نظريات علمية ، قيم سائدة ، آداب ، نظم ....الخ) ، هذه المنجزات الناتجة عن الممارسة الثقافية هي التي تشكل الحضارة .

ويمكن تأكيد هذه التصور للعلاقات بين هذه الأمور ، بالنظر في نشوء الحضارة الاسلامية ، فقد جاء الاسلام وآمن الناس بعقيدته ، وتعلموا في ضوء هذه العقيدة الاسلامية كيف يتعاملون مع جوانب الوجود المختلفة (مع الله ، ومع الذات، ومع الآخرين ، ومع الزمان ، ومع الأفكار ، ومع الكون الطبيعي ومع الأدوات والوسائل ومع الغيب) ، أي أنهم بدأوا بممارسة الثقافة الاسلامية في حياتهم الاجتماعية ، ثم استمرت ممارسة هذه الثقافة من قبل الاجيال اللاحقة ، وحين

حدث الاستقرار في المجتمع الاسلامي ظهرت الحاجة الى تكميل العلوم الموجودة في هذا المجتمع ، فجرى البحث عما ينقصهم من علوم ، وحدثت حركة النقل والترجمة للعلوم التي كانت موجودة في حضارات سابقة ، وشجع المجتمع العلم والعلماء ، وتمت دراسة هذه العلوم وتمثلها ، ثم جرى تطبيقها وتحويلها الى منجزات مختلفة ، واستمر العلم في التقدم ، ووصل العلماء الى معرفة علمية جديدة ساهمت هي بدورها في ايجاد طرق جديدة في التعامل مع الوجود ، فأثرت الثقافة الموجودة، كما ساهمت في انجاز أمور جديدة فساهمت في اثراء الحضارة القائمة .

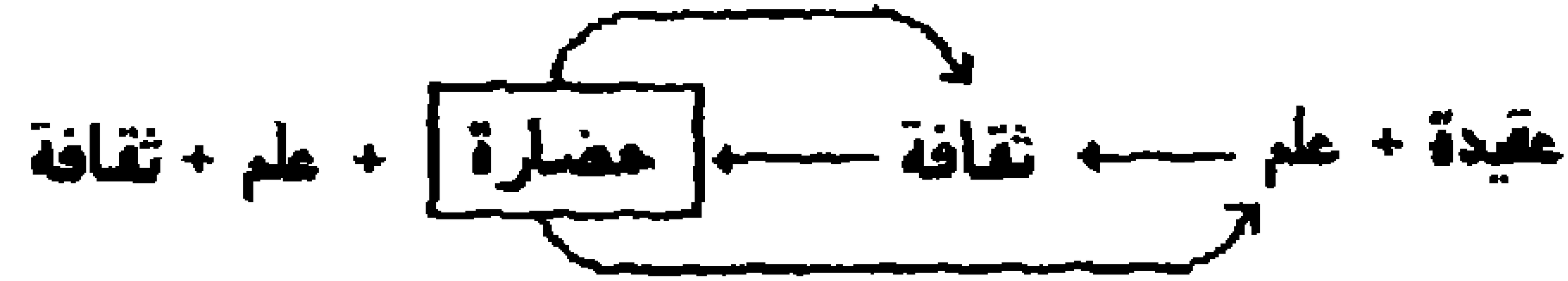
ويمكننا أن نلخص ما تقدم بيانه من علاقات بين هذه الأمور بالمعادلة الآتية:

عقيدة معينة + علم ← ثقافة ← حضارة .

وهنا يتضح أن الثقافة مرحلة تسبق مرحلة ظهور الحضارة ، وأن الثقافة هي بمثابة الجسر الذي يربط بين العقيدة والعلم من جهة والحضارة من جهة أخرى ، بل انه يمكن القول انه لا بد أن يمارس المجتمع ثقافة معينة ليتسنى له أن يصنع حضارة ، ولكن هذه الثقافة لا بد أن تكون ثقافة ايجابية نشطة وفاعلة ، لا تتعامل مع الوجود بطريقة سلبية متقاعسة .

ويحسن أن نلفت الانتباه الى أن المعادلة المذكورة آنفا، تشير الى ترتيب العلاقة المنطقية بين العناصر الداخلة فيها ، لكن الواقع أن هناك علاقات جدلية ، أي تأثير وتأثر متبادل بينها ؛ فالثقافة لا تكف عن الوجود حينما تصل الى الحضارة، بل يستمر الناس في ممارستها ، ثم ان المنجزات الحضارية تؤثر بدورها في طريقة تعامل الناس مع الوجود ، أي تؤثر في الثقافة ؛ وكذلك العلم فانه لا ينتهي بعد أن يقدم دوره في قيام الحضارة ، بل يستمر في النقاء والعطاء ، وقد تقدمت الاشارة الى أن العلم أساس في قيام الحضارة وناتج من نواتجها ، يعود من جديد لكي يساهم في اثراء الثقافة ومن ثم اثراء الحضارة .

وهكذا نجد أن هناك عنصرا ثابتا وعناصر متغيرة في معادلة الحضارة هذه التي يمكن تمثيلها في صورتها الحركية بالمعادلة الآتية :



واذا نظرنا في مدخلات هذه المعادلة نجد أن عنصر العلم (أي الحقائق النظرية الصحيحة ...) واحد في كل المجتمعات ، بينما عنصر العقيدة هو الذي يختلف من مجتمع لآخر ومن أمة لأخرى ؛ وقد تقدمت الاشارة الى أن العقيدة هي التي توجه العلم وجهة معينة دون غيرها ؛ لهذا نستطيع القول بأننا اذا كنا نطمح الى تحقيق حضارة هي الأكمل ، فينبغي أن يكون الموجه لها عقيدة هي الأكمل ، لأن النتيجة (وهي الحضارة) ستأتي على شاكلة المقدمات (وهي العقيدة ، لأن العلم في حد ذاته عنصر محايد).

أما علاقة الثقافة بالمدنية ، أي بالجانب المادي من الحضارة ، فانها ستكون جزءا متضمنا في علاقة الثقافة بالحضارة ، وبالتالي فما تقدم بيانه بشأن الحضارة ينطبق على المدنية مع مراعاة قصر الحديث على الجانب المادي ، فالمدنية شأنها شأن الحضارة بحاجة الى جسر الثقافة الذي يعبره العلم (النظري) ليتجسد في صورة منجزات مادية .

علاقة الثقافة بالدين

نحتاج في معالجة هذا الموضوع أن نبين المقصود بلفظ **الدين** ، وأن نسترجع ما أوضحناه فيما تقدم حول مفهوم **الثقافة** ، لكي نستطيع بعد ذلك التعرف على ما بين الثقافة والدين من أمور مشتركة أو مختلفة ، وما بينهما من علاقات وصلات.

ويحسن أن نذكر هنا بأن لفظ **دين** مستخدم باطلاق اللفظ ، فليس المقصود هنا دينا بعينه وانما الدين بصورة عامة دون حصر أو تخصيص .

أول ما نورده في توضيح المقصود بـ **الدين** هو قسمة الأديان وفقا لمصدرها الى قسمين رئيسين هما :

الأديان السماوية ، وهي الأديان التي مصدرها الله سبحانه وتعالى ، والتي بلغها رسل الله الذين اختارهم الله من بني البشر الى الناس ، والأديان السماوية الباقية حتى عصرنا الحاضر هي : اليهودية والمسيحية والاسلام .

الأديان الوضعية ، وهي الأديان التي ترجع الى وضع البشر أنفسهم ، مثل الديانة اليونانية القديمة ، والديانات المانوية والمزدكية والمجوسية التي ظهرت قديما في بلاد فارس ، والكثير من الديانات الوثنية التي كانت منتشرة بين القبائل البدائية في بعض بلدان أفريقيا وفي استراليا وغيرهما من القارات .

أما مفهوم **الدين** ، فقد ذكرت فيه تعريفات عديدة ، لا نرى هنا حاجة لذكرها ، لكننا سنذكر صفة بارزة تشتمل عليها كل الأديان ، ولا بد من توافرها في كل دين ، وهذه الصفة الهامة هي :

كل دين يتكون من جزئين رئيسين يكمل أحدهما الآخر ، وهما :

جزء نظري ، ويسمى العقيدة ، وهو مجموعة من القضايا أو الآراء تقدم تصورات معينة عن الانسان والكون وعلتهما ، وعن العلاقات الأساسية بينها .

جزء عملي ، ويسمى في الكثير من الأديان بـ الشريعة ، وهو مجموعة من القواعد والمبادئ والأحكام والتوجيهات ، له غايتها العملية ، وهي توجيه سلوك الأفراد المتبعين للدين وفقا لها .

هذان الجزءان نجدهما في كل دين ، فالدين الاسلامي فيه العقيدة والشريعة ، والديانتان اليهودية والمسيحية، والديانة البوذية وغيرها ؛ كلها فيها عقيدة ما (أي جزء نظري) وشريعة ما (أي جزء عملي).

والحق أن هذين الجزئين اللذين ميزنا بينهما من أجل التوضيح والبحث ، هما، كما أشرنا آنفا ، متكاملان ومترابطان ، فالجزء العملي مرتبط بالجزء النظري ومبني عليه ، ولا يجوز – في الدين الأكمل – أن يكون هذا الجزء متعارضا مع الجزء النظري ، فان وجدت بعض نواحي التعارض بين هذين الجزئين في دين ما ، كان ذلك علامة قصور فيه .

كما أن الجانب النظري في الدين يتميز عن المعرفة النظرية الخالصة بأنه ينطوي على غاية عملية هي توجيه السلوك الانساني وفقا له ، وهذه الصفة لا توجد في المعرفة النظرية الصرفة ؛ وهذا يجعلنا نقول ان غاية الدين في جملته غاية عملية .

أما المهمة التي يقوم بها الدين والغاية التي يطمح في تحقيقها لدى أتباعه ، فهي تحقيق خيرهم وسعادتهم من خلال ما يقدمه لهم من هداية وارشاد في تعاملهم مع الوجود المحيط بهم في أجزائه المختلفة وفقا للتصورات التي يقدمها لهم عن الانسان والكون وعلتهما ووفقا للمبادئ والقواعد والأحكام العملية التي يشتمل عليها ؛ ومعلوم أن كل دين يدعي أنه يحقق لاتباعه الخير والسعادة القصوى ، فكل اتباع دين بما لديهم فرحون.

على أنه ينبغي ألا يتبادر الى الذهن من قولنا ان كل دين ينبغي أن يضم هذين الجزأين ، وأنه يدعي تحقيق الخير والسعادة لاتباعه ، أن كل دين فيه هذين العنصرين وادعى هذه الغاية فهو دين كامل أو فاضل .

واذا كان البحث عن الدين الأفضل والأصوب والأكمل بحثا مشروعا لكل انسان راشد عاقل ، فاننا نستطيع القول باطمئنان تام : ان أفضل الأديان

وأصوبهاوأكملها هو ما كان كذلك في عقيدته وفي شريعته معا ، فتكون ما فيه من آراء وقضايا وتصورات عن الانسان والكون وعلتهما (أي خالقهما) هي الأصوب والأكمل ، وتكون ما فيه من مبادئ وقواعد وأحكام عامة وخاصة وتوجيهات هي الأصوب والأكمل ؛ ولا يكون هذه الجزء العملي كذلك الا اذا كان مبنيا ومقدرا ومؤسسا على الجزء النظري الأصوب والأكمل .

واذا تابعنا البحث عن الدين الأصوب أو الأكمل والتعرف على ملامحه وصفاته المعينة له ، نقول : ان العقيدة الأصوب والأكمل والشريعة الأصوب والأكمل لا بد أن يكون واضعها هو الأكمل علما بحقيقة الانسان والكون وعلتهما، فيضع في ضوء علمه الأكمل ، العقيدة الأكمل والشريعة الأكمل التي تبين وترشد الى الطريق الأصوب في تعامل الانسان مع نفسه ومع الكون ومع الخالق ؛ ثم انه لا بد أن يكون واضعها هو الأكمل في تنزهه عن الاحتياج الى أي حاجة مهما كانت طبيعتها ، ذلك لأن المحتاج يتأثر فيما يضعه من آراء أو ما يشرعه من تشريعات وأحكام بهذه الحاجات ، فيتبع عندئذ أهوائه وميوله ومصالحه ...

فاذا نظرنا في الكائن الذي تتوفر فيها هذه الشروط ، أعني شرط العلم الأكمل وشرط عدم الاحتياج في أعلى صوره ، لوجدنا أنه هذه الشروط لا تتوفر في الانسان ، الذي علمه محدود وحاجاته كثيرة ، لكننا تتوفر في الكائن الأكمل علما والأكمل في غناه وعدم احتياجه ، وذلك هو الله سبحانه وتعالى خالق الانسان وخالق الوجود .

فاذا كان لدينا أديان وضعها الانسان ، وأديان وضعها ا لله سبحانه وتعالى . فاننا ، في ضوء ما قدمنا من تحليل ، نستطيع أن نجزم بأن الدين الذي هو من وضع الله هو الأكمل والأصوب .

والتاريخ يعلمنا أن الله سبحانه وتعالى وضع للناس أديانا ليهتدوا بها في تعاملهم في حياتهم مع الوجود المحيط بهم ، وعليه ، وباعتبار ما تقدم بيانه ، ستكون هذه الأديان صحيحة ، لكن تاريخ الأديان ، الذي يبحث في ظهور الأديان وما جرى عليها من أمور وأحوال بعد ذلك ، يعلمنا بأن جميع الأديان التي جاءت من عند الله قبل دين الاسلام ، اندثر بعضها و لم تصل الينا آثارها ، وما هو موجود منها جرى عليه تغيير وتبديل وتحريف في جانبي العقيدة والشريعة ، على أيدي اتباع هذه الديانات، وان الدين الذي لم يتبدل في أصله الذي أنزله الله وأوحاه الى رسوله هو الاسلام المحفوظ في أصليه الثابتين وهما الكتاب والسنة ، واذا كان البشر حينما يعدلون ويغيرون ما وضعه الله ، فانهم لا محالة مغيروه الى الأنقص والأبعد عن الصواب ، وذلك بسبب قصور علمهم من جهة وأهوائهم وميولهم من جهة أخرى ، بالمقارنة مع علم الله وعدم احتياجه ،وعليه فالدين السماوي المنزل من عند الله الذي لم يتغير أو يتبدل في أصله الذي أنزل من عند الله هو الدين الأكمل والأصوب من كل ما عداه من الأديان : الوضعية والسماوية المحرفة ، وهذا الوصف ، الذي انتهى التحليل بنا اليه ، لا ينطبق الا على دين واحد ، هو دين الاسلام ، لا غير .

والآن ، وبعد أن قدمنا ما رأيناه لازما في هذا المقام لتوضيح أمر الدين بعامة والدين الصحيح بخاصة ، ننتقل الى بيان الصلة بين الثقافة والدين بعامة ، ثم الى الصلة بين الثقافة الأكمل والأصوب والدين بخاصة .

أصبح معلوما أن الثقافة معرفة عملية (راجع تعريف الثقافة فيما تقدم) وأن الدين فيه جزء عملي (أي الشريعة) ، وعليه فالثقافة والجزء العملي من الدين متشابهان في الغاية العملية ، أي في أن كلا منهما يهدف الى الفعل والتطبيق والسلوك والعمل .

لكن الاشتراك بين الثقافة والجانب العملي من الدين في الغاية ، لا يعني تطابق الثقافة مع الجانب العملي من الدين في كل الأحوال ؛ فاذا كانت الثقافة منسوبة الى

دين ما ومبنية عليه ، ففي هذه الحالة تكون الثقافة في جانبهـا المعياري (أي الصـورة التي تنبغي أن تكون عليهـا الثقافـة) مشـابهة للديـن ، بـل وتكـون الشـريعة في هـذا الدين مشكلة للجزء الأكبر والرئيس في هذه الثقافة ، فالثقافة الاسلامية ، أو الثقافـة المسيحية أو الثقافة البوذية ... الخ، مثل هذه الثقافات المنسـوبة الى أديـان ، تكـون في صورتها المعيارية متشابهة الى درجة كبيرة مع الجانب العملي من الديانات التي نسـبت اليها ، ويكون الجانب العملي من الدين جزءا أساسيا في الثقافة المنسوبة اليه .

وفي حالة الثقافـات المنسـوبة الى الأديـان نجـد الصلـة ليـس فقـط بينهـا وبـين الجانب العملي من الدين ، بل وبين الجانب النظري (العقيدة)، ذلك أنه اذا كـان الجانب العملي (الشـريعة) مؤسسـا على العقيـدة ، وكـانت الثقافـة (المنسـوبة الى ديـن مـا) مستمدة في جزئها الأكبر من الشريعة ومرتبطة به ، فاننا نستطيع القول بأن مثل هـذه الثقافة ستكون مؤسسـة علـى العقيدة (الخاصة بـالدين الـتي تنتسـب اليـه) شـأنها في ذلـك شـأن الشريعة ، وأننا اذا بحثنـا لمثل هذه الثقافة عن أساس قامت عليه فاننا نجده في العقيدة .

وهكذا ترتبط الثقافة المنسوبة الى ديـن مـا بهـذا الديـن فتكـون مسـتمدة مـن شريعته ، مؤسسة على عقيدته .

ويترتب على هذه العلاقـة أن تكـون خصـائص الثقافـة المنسـوبة الى ديـن مـا مشابهة تمام المشابهة لخصائص الشريعة في هذا الدين ، كما تأتي أهدافهـا ومقاصدهـا كذلك مشابهة ومشاكلة لمقاصد وأهداف هذه الشريعة .

اذا كان ما تقدم من وصف يبين علاقة الثقافة المنسوبة الى دين ما بهذا الديـن، فانـه يبقى أن نوضح العلاقة بين الثقافات التي تزعم أنها لا تنتسب لدين معين ، أي الثقافـات العلمانية التي وضعها الانسان في ضوء اجتهاداته هو بعيدا عن الأديان ، مثل الثقافـة الغربية الحديثة ، والثقافة التي سادت فترة من الزمن في البلدان التي تبنت العقيدة الشيوعية .

مثل هذه الثقافات الوضعية اما أنها لا تعترف بالأديان ، أو في أحسن الأحوال تهمل الدين ولا ترى أن يتدخل الدين في تنظيم تعامل الانسان في الحياة مع الوجود بأجزائه المختلفة ، وهذه الثقافات الوضعية العلمانية تتعارض بطبيعتها وأساس نشوئها مع الأديان بعامة ، والأديان السماوية بخاصة ، بما في ذلك الدين السماوي غير المحرف ، أي الاسلام .

والأديان بعامة والسماوية بخاصة تنظر من جانبها الى مثل هذه الثقافات العلمانية في جملتها على أنها ثقافات غير ملائمة وغير صحيحة أو قاصرة ، وانها لعدم ارتباطها بالدين الصحيح لا تؤدي بأصحابها الى السعادة ، بل الى الشقاء .

والحق الذي نراه ، أن الثقافات الوضعية تسعى الى أن تكون بديلا للدين بشكل مباشر أو غير مباشر ، صرحت بذلك أم أضمرته، وهذا ما نجده على سبيل المثال في الثقافة الغربية الحديثة التي نحت الدين جانبا ، وحاولت أن تجعل من الثقافة الرابط الذي يجمع شمل الناس في المجتمع ، ويوحد مواقفهم ، ويشكل تفكيرهم ويوجهه الى الأهداف التي تصنعها في نظرهم الثقافة ، كما يجعلون الثقافة مصدرا للقيم ، ومن خلالها (أي الثقافة) يتعرف الانسان على ذاته ...، وهذا ما يلاحظ بوضوح في معظم التعريفات الغربية للثقافة ، وبخاصة التعريف الذي وضعته منظمة اليونسكو (راجع التعريف فيما تقدم)، معظم هذه التعريفات لا تشير الى الدين البتة ، ونكتفي بجعل المعتقدات جزءا أو جانبا من جوانب الثقافة العديدة .

ونرى من الواجب التذكير بأن هذا الموقف العلماني في علاقة الثقافة بالدين قد بدأ يدخل بقوة الى ساحتنا الفكرية من خلال الكتب والكتاب الذين يكررون على مسامعنا آراء بعض المفكرين الغربيين ، ويعرضونها علينا وكأنها آراء منزهة عن الخطأ أو الهوى وغير متأثرة بالبيئة التي ظهرت فيها وظروفها الخاصة بها وحدها، ويقدمونها للقارئ والمتعلم العربي المسلم على أنها فكر انساني ، أي فكر يصلح

للانسانية جمعاء، في حين أن الموقف الأصوب أن ندرسها دراسة نقدية وفي ضوء واقعها وظروف بيئتها ومشكلاتها الخاصة ، هذا كله قبل أن نفكر باستخدامها في حياتنا الفكرية والعملية ، وذلك حتى لا نكون مقلدين تقليدا أعمى ، فالتقليد بعد عن الأصالة وتكريس للتبعية.

الفصل الثالث

التعريف بالثقافة الاسلامية *

تمهيـــد:

سنقوم في هذه الوحدة بتحديد مفهوم الثقافة الاسلامية وشـرح هـذا المفهـوم الذي سنسير عليه في كل ما سيلي مـن مبـاحث في الثقافـة الاسـلامية ، كمـا سـنقدم زيادة بيان حول حقيقـة هـذا المفهـوم مـن خـلال توضيـح مصـادر الثقافـة الاسـلامية وخصائصها وأهميتها .

لقد تم – في الفصـل الأول – تحديـد مفهـوم **الثقافـة** بـاطلاق اللفـظ ، هـذا المفهوم الذي سنجده داخلا بصورة أساسية في تحديدنا لمفهوم الثقافة الاسلامية ، ذلك أن الثقافة الاسلامية هي ثقافة منسوبة الى الاسلام .

ان المنهج السليم في البحث في مفهوم الثقافة الاسلامية ، يستلزم – كما سبق أن أشرنا – أن نحدد أولا مفهوم الثقافة ثم مفهوم الاسلام الـذي أضيفـت الثقافـة اليـه ونسبت ؛ واذا كان الفصل الأول قد تكفل بالأمر الأول (أي تحديد وتوضيح مفهـوم الثقافة) ، فان الأمر الثـاني ، أي تحديـد مفهـوم الاسـلام هـو المطلـب التـالي ، لكنـه مطلب لن يأخذ الوفاء به في هذا المقام جهدا كبيرا ، ذلـك أن مفهـوم الاسـلام الـذي تنسب اليه الثقافة ، ليس هو الاسلام بالمعنى اللغوي، أي التسليم والانقياد ، وان كان هذا متضمن في المعنى الذي سنأخذ به ؛ وليس هو الاسلام بمعنـى الحضـارة الاسـلامية

* – كتبه د.عزمي طه السيد

ولا هو الاسلام بمعنى التراث الاسلامي ؛ وانما هو الاسلام بمعنى الدين الاسلامي . ان مفهوم **الاسلام – الدين** أمر لا خلاف فيه ، فالاسلام هو خاتم الأديان السماوية ، أنزله الله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم ، بواسطة الوحي الصادق جبريل ، ليبلغه رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام الى العرب والى الناس كافة ، وهو محفوظ في أصلين رئيسين هما : الكتاب والسنة .

ليس غرضنا هنا شرح حقيقة الاسلام وأركانه ومبادئه أو توضيح عقيدته ، وانما غرضنا الوفاء بالحاجة المنهجية – التي أشرنا اليها آنفا – (**وأعني ضرورة تحديد مفهوم كل من الثقافة والاسلام قبل تحديد مفهوم الثقافة الاسلامية**) وذلك بايراد تحديد للاسلام الذي نسبت الثقافة اليه ، فيكون في أذهاننا هذان المفهومان (**الثقافة والاسلام**) عند تحديدنا للثقافة الاسلامية والبحث في جوانبها.

ننتقل بعد هذا التمهيد الى تحديدنا لمفهوم الثقافة الاسلامية .

تعريف الثقافة الاسلامية

بعد أن قدمنا تحديدا للثقافة وللاسلام ، نستطيع الآن أن نقدم تحديدنا (تعريفنا) للثقافة الاسلامية ، فنقول :

الثقافة الاسلامية هي معرفة عملية مكتسبة تنطوي على جانب معياري مستمد من شريعة الاسلام ومؤسس على عقيدته ، وتتجلى في سلوك الانسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود.[1]

---

[1] - صاحب هذا التعريف هو كاتب هذه السطور الدكتور عزمي طه السيد أحمد ، وهذا التعريف مرتبط بتعريف الثقافة بالمعنى المطلق الذي قدمناه في الفصل الأول .

ان تعريف الثقافة الاسلامية هنا هو تعريف الثقافة العام نفسه مضافا اليه عبارة مخصصة . وهي تلك التي وردت بعد عبارة : " **تنطوي على جانب معياري** "، حيث بينت هذه العبارة أن الجانب المعياري في الثقافة الاسلامية مستمد بصورة مباشرة من الشريعة الاسلامية وأن الأساس الذي بنيت عليه هذه الثقافة هو العقيدة الاسلامية ، وهذا ما تبينه عبارة :" **مستمد من شريعة الاسلام ومؤسس على عقيدته** " الواردة في التحديد .

ان الثقافة الاسلامية ، وفقا لتحديدها هنا ، وثيقة الصلة بالدين الاسلامي عقيدة وشريعة ، وهذه الصلة الوثيقة تصل الى حد التلاحم ، لأنها الى الاسلام انتسبت ومنه استمدت وعليه تأسست .

ولعل قائلا – في ضوء هذا التوضيح – يقول : ان الثقافة الاسلامية لفظ مرادف للاسلام ، فنقول في الجواب على ذلك : حقا ان الصلة وثيقة جدا بين الثقافة الاسلامية والاسلام ، لكن ذلك لا يعني أنها هو أو أنه اياها على وجه التطابق الكامل؛ فالثقافة الاسلامية " **معرفة عملية** ..." لذا فهي تهتم بالعمل والتطبيق والسلوك وتركز عليه ، ولذا كانت هي والشريعة الاسلامية من الأمور المتلازمة والمتشابهة والمتقاربة ، اذ غاية الشريعة عملية أيضا ، لكنهما ليستا متطابقتين أو مترادفتين في الدلالة ، ذلك أن هناك اختلافا يمنعنا من الناحية المنهجية ، أن نقول انهما أمر واحد ، وهو أن الشريعة الاسلامية هي التي تزودنا بالأحكام العملية ، أما الثقافة الاسلامية فهي التي تزودنا بالكيفية أو الصورة العملية للسلوك المنسجم مع أحكام الشريعة ، وليست مهمة الثقافة الاسلامية تقديم الأحكام .

ثم ان قولنا ان الثقافة الاسلامية مؤسسة على العقيدة الاسلامية لا يعني بطبيعة الحال أن الثقافة الاسلامية هي والعقيدة الاسلامية شيء واحد ، فأساس الشيء ليس هو الشيء نفسه.

فاذا كانت الثقافة الاسلامية ليست لفظا مرادفا للشريعة الاسلامية وليست لفظا مرادفا للعقيدة الاسلامية فاننا نستطيع القول بأن الثقافة الاسلامية ليست لفظا مرادفا للاسلام أو مطابقة له تمام المطابقة ، برغم ما تقدم توضيحه من وجود صلة وثيقة متلاحمة بينهما .

واضح من هذا التعريف ان الذي يميز الثقافة الاسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى ، سواء منها المنسوبة الى أديان معينة أم المنسوبة الى أقطار أو جهات جغرافية أو غير ذلك من أنواع النسبة ، هو جانبها المعياري المستمد من الشريعة الاسلامية والمؤسس على العقيدة الاسلامية .

والحق أن الذي يميز ثقافة عن أخرى (**في ضوء مفهومنا للثقافة**) هو الجانب المعياري ، وأن مقارنة ثقافة بأخرى يجب أن تركز على أوجه الشبه والاختلاف بين الجوانب المعيارية في هذه الثقافات ، فالثقافة المسيحية مثلا جانبها المعياري مستمد من الديانة المسيحية والثقافة اليهودية كذلك جانبها المعياري مستمد من الديانة اليهودية *. والثقافة الغربية الحديثة تستمد جانبها المعياري من المبادئ العلمانية وما صدر عنها من تشريعات علمانية لم تأخذ في اعتبارها الدين ، بل نحته جانبا .

والناظر في الثقافات المختلفة يجد فيها بعض الجوانب المشتركة ، فالصدق في التعامل مع الآخرين والوفاء بالعهد أمور ممدوحة وموجودة في الثقافة الاسلامية وفي غيرها من الثقافات ، والسرقة والقتل كذلك أمور مذمومة وممنوعة في الثقافة الاسلامية وفي غيرها من الثقافات الأخرى ، لكن هذا التماثل أو التشابه في بعض الجوانب أو طرق التعامل لا يجعل الثقافة الاسلامية مماثلة أو مشابهة للثقافات الأخرى ، ذلك أن هناك العديد من جوانب الاختلاف والافتراق بين هذه الثقافات والثقافة الاسلامية من

---

* لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن هاتين الديانتين ، كما تمارسان ، قد أصابهما التحريف والتغيير على أيدي أتباعهما

جهة ، كما أن هناك – من جهة أخرى – اختلافات جذرية: في المصدر المستمد منه الجانب المعياري ، وفي المنطلقات وفي الغايات ، وفي الأسس ، يضاف الى ذلك أن ممارسة المثقف المسلم للثقافة الاسلامية تأتي ايمانا والتزاما بالاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ، فتكون ممارسة المثقف المسلم للصدق والأمانة والوفاء بالعهد وامتناعه عن السرقة والقتل جزءا من ممارسته للثقافة الاسلامية وايمانه بتفوقها وصلاحها ، لأنها مستمدة من الشريعة الاسلامية التي ترجع الى الله سبحانه وتعالى الذي يؤمن المثقف المسلم به وبكل ما أنزله على رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم من أوامر ونواهي وتوجيهات وارشاد ، ولا تكون ممارسته لهذه الأمور مجرد تقليد لما في الثقافات الأخرى .

وكما أن في الثقافة بعامة مستويين : مستوى الثقافة العامة ومستوى الثقافة الخاصة ، فكذلك الأمر في الثقافة الاسلامية ، فهناك ثقافة اسلامية عامة ، يمكن تحديدها بأنها معرفة عملية مكتسبة تنطوي على جانب معياري مؤسس على عقيدة الاسلام ومستمد من شريعته وتتجلى في سلوك الأفراد وطرق تعاملهم في الحياة الاجتماعية مع الوجود بأجزائه المختلفة في صورة مجملة عامة تشتمل على المبادئ والأسس والمنطلقات ؛ وهناك ثقافة اسلامية خاصة ، ويمكن تحديدها بأنها معرفة عملية مكتسبة تنطوي على جانب معياري مؤسس على عقيدة الاسلام ومستمدة من شريعته، وتتجلى في سلوك الأفراد وطرق تعاملهم في الحياة الاجتماعية مع جزء محدد من الوجود .

قد يقال ان ثقافة خاصة كالتعامل مع الأرض والنبات ، أو بعض أنواعه ، لا علاقة لها بالاسلام ، لأنها غير مستمدة من الاسلام ، اذ هي راجعة الى الخبرات والتجارب المتراكمة للشعوب والمتوارثة جيلا بعد جيل ، أو مستمدة من النتائج التي توصل اليها علماء الزراعة في أبحاثهم ، فنقول : أن ثقافة خاصة كالزراعة أو التعامل

مع بعض الآلات كالسيارات أو غيرها تستند على العلم النظري أولا ثم العلم العملي أو التطبيقي بصورة مباشرة ، وتستمد من العلم العملي أو التطبيقي صورتها المعيارية ، ومع ذلك فانها تكون ثقافة اسلامية (خاصة)، أي جزءا من الثقافة الاسلامية ، اذا كانت طريقة التعامل التي تمارس في هذا الجانب منسجمة مع مبادئ الاسلام وقواعده الكلية ومع مقاصده التي تهدف الى تحقيق خير الانسان وتكميل وجوده ، ففي الثقافة الاسلامية الخاصة في مجال كالزراعة - على سبيل المثال - لا يستخدم المزارع المسلم طرقا أو أساليب يترتب عليها اضرار بالناس وبصحتهم كأن سيتخدم مثلا الأسمدة الكيماوية المنشطة لنمو النبات والثمار بسبة كبيرة ، يضمن هو من ورائها ربحا عاليا ، لكنها تضر بصحة المستهلكين ؛ ان علاج حشرة تتلف المحصول الزراعي في نبات معين أمر مطلوب لأن فيه خير ومنفعة وتحقيق لمقاصد الشريعة الاسلامية ، لكن الاسلام والثقافة الاسلامية تطلبان من الممارس لهذا العلاج والقائم على أمره أن يتحرى أن تكون غير ضارة بالانسان أو الحيوان أو بالبيئة ، ذلك أن من مبادئ الاسلام العامة التي لا ينبغي مخالفتها أن درء المفاسد والمضار مقدم على جلب المنافع والأرباح .

ان المثقف المسلم يمارس الثقافة الاسلامية في مجالات كالزراعة أو الصناعة أو التجارة أو غير ذلك من المجالات العديدة ، وهو منضبط بضوابط الاسلام وشريعته لا يخرج عنها ، وهو حين يجد أمامه ممارسة تتعارض مع مبدأ مقرر في الشريعة ، يتجنب هذه الممارسة ويبتعد عنها ، اضافة الى أن المثقف المسلم يسعى الى تحقيق رضوان الله من خلال طاعته والالتزام بما أمره به ، سواء كان ذلك الأمر على نحو كلي مجمل كالذي ورد في قوله تعالى : ﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان** ﴾ [1]

---

[1] - سورة النحل ٩٠

أو في قولـه تعالى :﴿ **ولتكـن منكـم أمـــة يدعـون الى الخـــير ويأمــــرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [١] ، أم كان على نحو جزئي مفصل كالذي ورد في قوله تعالى :﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به** ﴾ [٢] ، أو الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنـا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنـا خطـأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقـوا ، فان كان من قـوم عـدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهـم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شـهرين متتابعين توبـة من الله وكان الله عليما حكيما** ﴾ [٣]

فحين يكون الاسلام والشريعة الاسلامية هما الهادي لكل مجال من مجالات الثقافة العديدة التي تؤخذ في صورتها المباشـرة من مصادر غير الاسـلام ، كالعلم ، وحين يكون الاسلام والشريعة الاسلامية هما الحاكم على ما في هذه الثقافات الخاصة من الممارسات ، والمقيم لها ، تكون هذه الثقافة جزءا من الثقافة الاسلامية .

وسنرى – عند الحديث عن مصادر الثقافة الاسلامية فيما يلي – أنه بالرغم من كون الاسلام وشريعته المصدر الأساس للثقافة الاسلامية في صورتها المعيارية ، فان العلم يكون كذلك مصدرا من مصادرها ، لكنه مصدر يوجهه الاسلام ويهديه ويحكم عليه ، فيدخل في مجال الثقافة الاسلامية من العلم العملي والعلم التطبيقي كل ما كان منسجما مع مبادئ الاسلام ومقاصده .ننتقل الآن الى التعرف على مصادر الثقافة الاسلامية لكي يزداد فهمنا لحقيقة الثقافة الاسلامية .

---

١١ – سورة آل عمران ١٠٤

٢ – سورة المائدة ٣

٣ – سورة النساء ٩٢

أهمية الثقافة الاسلامية

تعرفنا فيما تقدم آنفا على مفهوم الثقافة الاسلامية وحقيقتها ، ونـودّ الآن أن نعرّف بأهميتها من نـاحيتين : الأولى : أهميـة دراستها ومعرفتهـا ؛ والثانيـة : أهميـة تطبيقها في حياة الانسان على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع .

والواقع أن هاتين النـاحيتين مترابطتـان ، فدراسـة الثقافـة الاسـلامية معرفتهـا والوقوف عند هذا الحد دون تطبيقها أمر لا يظهر أهمية الثقافة ، وقد سبق أن أكدنـا هذا المعنى حين وضحنا مفهوم الثقافة وقلنا ان هذا المفهـوم لا يتـم الا اذا تجلـت هـذه المعرفة العملية التي وصفنا في سلوك الانسان ، ولذلك لا بد من تطبيق هذه المعرفة في السلوك والحيـاة ، اذ عندهـا تظهـر أهميـة الثقافـة الاسـلامية ، لكـن تطبيـق الثقافــة الاسلامية وتجسيدها في سلوكنا وممارساتنا يحتاج الى معرفتها أولا ، هـذه المعرفـة الـتي نحصل عليها في صورة واضحة منظمة واعية عن طريق دراستها دراسة منهجية علمية.

حقا ان الواجب على المسلم أن يطبق الثقافة الاسلامية ويجسدها في سلوكه ، وينبغي أن يكون هذا التطبيق فعلا واعيا لا مجرد تقليد أعمـى ، أي يكـون مستندا الى معرفـة واعية بما يقوم به المرء تشـمل معرفتـه بحقيقـة الفعـل الـذي يمارسـه وبشـكله الصحيـح والغاية التي يحققها القيام به ، وهـذا الأمـر لا يتـم علـى الصـورة الأكمـل الا بدراسـة الثقافة الاسلامية دراسة علمية ، فتكون هذه الدراسة واجبة ولازمـة ، لأن مـا لا يتـم الواجب الا به فهو واجب .

اذن فدراسة الثقافة الاسلامية دراسة علمية أمر واجب له ضرورته وأهميتـه ، فبواسطة هذه الدراسة نتعرف على حقيقة الثقافة الاسـلامية : نتعـرف علـى مفهومهـا وعلـى المبـادئ الـتي انطلقـت منهـا والأسـس الـتي قـامت عليهـا والغايـة الـتي تحققهـا للانسان، ونتعرف على مصادرها وخصائصها ، كما نتعرف على دورهـا في تشـكيل شخصية الانسان المسلم علـى مسـتوى الفـرد وعلـى مسـتوى الجماعـة ، وفي تـأكيد

هويته الثقافية وترسيخها في نفسه ، الأمر الـذي يشـكل لديـه مناعـة أو حصانـة ، او حصنا من الداخل تتحطم على أسواره كـل محـاولات الغـزو الثقـافي الـتي يتعـرض لهـا المسلمون أفرادا ومجتمعات .

هذا كله مقدمة ضرورية ولازمة للأمـر التـالي والأهـم ، وهـو تطبيـق الثقافـة الاسـلامية وتجسيدها في سلوكنا وممارساتنا في جميـع تعاملاتنـا في هـذه الحيـاة الـتي نعيشها، فاذا فعلنا هذا على صورته الأكمل والأكثر قربا من الصورة المعيارية المثلـى ، بانت لنا جوانب أهمية الثقافة الاسلامية المختلفة : سنجد أننا قد أصبحت لنا شخصية مستقلة متميزة نستطيع أن نطلق عليها الشـخصية الاسـلامية ، وهـي شـخصية فريـدة تتجلى في عدد من الصفـات الـتي لا توجـد الا عنـد الأفـراد أو المجتمعـات الـتي تطبـق الثقافة الاسلامية،وسنجد أننا قد أصبحنا أمة عزيزة كريمة ، لأنهـا لا تخضـع ولا تـذل الا لله سبحانه وتعالى خالق كل شـئ ، وسـنجد أننـا أصبحنـا كـأفراد أناسـا فضـلاء رحماء فيما بيننا متوادين متناصحين تسـود بيننـا الأخـوة الحقيقيـة المجـردة عـن المصـالح المؤقتة والأهواء الشخصية ، وسيكون المجتمع الذي ننتمي اليه تبعا لذلك مجتمعا فـاضلا متعاونا على البرّ والتقوى ، متكافلا ليس فيه فقـير أو محتـاج ، بـل ان تطبيقنـا للثقافـة الاسلامية سيكون الخطوة الأولى لانشاء حضارة اسلامية مزدهرة وقوية مـرّة أخـرى ، لأن الثقافة الاسلامية تطلب من المسلم أن يكون ايجابيا مبادرا الى كل فعل فيـه منفعـة وخير ليس للمسلم فحسب ، بل للانسانية جمعاء ، فهي تطلب منا أن نتعلم كل علـم نافع ، وتحثنا على ذلك بقوة ، حتـى نسـتطيع أن نعمّـر هـذه الأرض الـتي جعلهـا الله المكان الذي نعيش فيه، لتصبح حياة الانسان فيها على أكمل صورة ممكنة .

والحق الذي نراه أننا في هذه الظـروف الـتي يشـعر فيهـا المسـلمون بـالضعف والهوان والفرقة ، لا نجد مخرجا لهم من هذا كله الا بأمرين مترابطين أولهمـا ينبغـي أن يؤدي الى الثاني، وهما : دراسة الثقافـة الاسـلامية دراسـة علميـة بفهـم ووعـي ؛ ثـم

تطبيق هذه الثقافة في كل ناحية من نواحي حياتهم ، وكل جانب من جوانب تعاملهم في هذه الحياة مع الوجود الذي يحيط بهم ، تطبيقا واعيا مبصرا مصحوبا بالقناعة التامة بأن هذه الثقافة هي أكمل ثقافة متاحة للانسان ، لأن مصدرها من عند الله خالق الانسان وخالق كل شئ ، ومصحوبا كذلك بمحبة هذه الثقافة والاعتزاز بالانتماء اليها. انهم ان فعلوا ذلك سيكونون قد غيروا ما بأنفسهم من ابتعاد عن ثقافتهم الاسلامية ، وستكون النتيجة أن يتغيّر ما هم فيه من ضعف وذلة وهوان ، ذلك أن هذه هي سنة الله التي سنّها لعباده ، وهي ما نجده في قوله تعالى .**﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** [١] .

مصادر الثقافة الاسلامية

المراد بالمصادر الأصول التي نستمد منها ثقافتنا الاسلامية ، أي نستمد منها المعرفة العملية المتعلقة بتعاملنا مع جوانب الوجود المختلفة .[٢]

وقد حددنا مصادر الثقافة الاسلامية في أربعة مصادر رئيسة ، هي :

= الشريعة الاسلامية .

= تراث الحضارة الاسلامية .

= الانجازات الثقافية المحايدة للحضارات الأخرى .

= العلم.

أولا : الشريعة الاسلامية *

الشريعة الاسلامية مصدر واسع من مصادر الثقافة الاسلامية . وفي حديثنا عن هذا المصدر الأساس نتحدث عن مصادر الشريعة الاسلامية أولا ثم نتحدث عن مقاصدها .

---

[١] - الرعد ١١

[٢] - راجع تعريف الثقافة الاسلامية فيما تقدم

* كتبه د. ابراهيم الدبو

١- مصادر الشريعة الاسلامية

مصادر الشريعة الاسلامية هي : القرآن الكريم والسنة النبوية والاجماع والاجتهاد . وسنتحدث فيما يلي في كل واحد منها :

القرآن الكريم : (هو الكتاب المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول الينا عنه نقلا متواترا بلا شبهة) [١] .

ولا خلاف بين المسلمين أن القرآن هو المصدر الأول للتشريع وأنه حجة على جميع البشر .والبرهان على حجيته أنه من عند الله تعالى ، والدليل على أنه من عند الله اعجازه ، واذا ثبت كونه من عند الله بدليل اعجازه ، وجب اتباعه من قبل الجميع .[٢]

خصائص القرآن الكريم

أولا: انه كلام الله تعالى الذي نزل بالوحي على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فعلى هذا لا تعتبر من القرآن الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والانجيل ، لأنها غير منزلة على محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : القرآن هو مجموع اللفظ والمعنى المنقول الينا بطريق التواتر ، فتخرج الأحاديث القدسية ، وهي التي ألهم الله رسوله بمعناها في اليقظة أو المنام ، ثم عبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بألفاظ من عنده ، لأن تلك الأحاديث لم تنقل بهذه الصورة ، كما أنها لا تتضمنها المصاحف . وأيضا يخرج النقل بالتواتر القراءات الشاذة ، وهي القراءات التي وصلت الينا عن طريق الآحاد وعلى أساس أنها من القرآن

---

١ - أنظر أصول البزدوي ٢١/١-٢٣

٢ - أنظر الوجيز في أصول الفقه لأستاذنا الدكتور عبدالكريم زيدان ص١٤٨ الطبعة السادسة

مثل كلمة (متتابعات) التي رويت عن ابن مسعود ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ﴾ [1] .

ثالثا : ان الأحاديث النبوية الشريفة ولو كانت متواترة ، فانها لا تعتبر من القرآن ، لعدم ادراجها بين دفتي المصحف الشريف الذي يبدأ بسورة الفاتحة ويختم بسورة الناس. [2]

رابعا : ان القرآن محفوظ من الزيادة والنقصان لقوله تعالى :﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾ [3] فلا نقص فيه ولا زيادة ، ولن يستطيع أي مخلوق في الدنيا أن يزيد عليه شيئا أو ينقص منه شيئا .لأن الخالق عز وجل قد تولى حفظه ، وما تولى الله حفظه فلن تصل اليه يد عابث أو مفسد .

خامسا : انه معجز ، ومعنى ذلك عجز جميع البشر عن الإتيان بمثله . وقد ثبت اعجازه بتحدي القرآن للمشركين من أن يأتوا بمثله فعجزوا ، ثم تحداهم بعشر سور فعجزوا ، ثم تحداهم بسورة واحدة من سوره فعجزوا ، قال الله تعالى : ﴿ **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾. [4]

سادسا : نزل القرآن منجما على النبي صلى الله عليه وسلم وقد ابتدأ نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان ، واختتم في يوم عرفة في آخر حجة للنبي صلى الله عليه وسلم والتي سميت بحجة الوداع. [5]

---

[1] - سورة البقرة ١٩٦

[2] - أنظر الأنموذج في أصول الفقه لأستاذنا الدكتور ماصل عبدالواحد ص٧١

[3] - سورة الحجر ٩

[4] - سورة البقرة ٢٣، ٢٤

[5] - أنظر المدخل الى الفقه الاسلامي للأستاذ الدكتور عبدالعزيز الخياط ص٣٧

سابعا : القرآن منه مكي نزل بمكة أو ما قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومدني نزل بالمدينة أو بعد الهجرة . وأغلب الآيات المكية تدعو الى التوحيد واجتثاث جذور الوثنية ، وأغلبها قصيرة . ويخاطب فيها الناس بيا أيها الناس . وأغلب الآيات المدنية تناولت أحكام التشريع ، فبينت ما يتعلق بتنظيم علاقة الفرد بالخالق وهي الأمور العبادية . وما يتعلق بتنظيم المجتمع وذلك من خلال تشريع الحدود والمعاملات، وما ينظم علاقة الدولة بغيرها من الدول ، وهو ما يسمى بفقه الجهاد . ويغلب الخطاب في الآيات المدنية بيا أيها الذين آمنوا ، ومعظم السور المدنية طويلة .

ثامنا : نصوص القرآن قطعية ومنكر نص منها ، يعد كافرا ، وأغلب أحكامه اجمالية ، الا أنه قد يرد في بعضها التفصيل مثل أحكام المواريث ، وبيان المحارم من النساء وآيات اللعان والظهار ، وآيات العقوبات .

وللاجمال حكمة هي مساعدة الناس على فهم الأحكام واستنباط الجزئيات في كل العصور ، ولذلك جاءت السنة مبينة لما أجمل من أحكام .[1]

تاسعا : لكثير من آيات القرآن وسوره أسباب نزول ، فمنه ما نزل بسبب واقعة وقعت أو جواب لسؤال أو استفتاء أو غير ذلك ، وهذه الأسباب تعين على فهم الآيات وتمكن العلماء من تفسير القرآن وتحدد مرامي الآيات ومقاصدها .

وجوه اعجاز القرآن الكريم

وجوه اعجاز القرآن كثيرة ، منها :

١- بلاغته التي بهرت العرب وجعلتهم في حيرة من أمرهم ، اذ لم يعهدوا مثل هذه البلاغة في كلام العرب من قبل ، لا في منظوم ولا منثور .

---

١ - الأستاذ الخياط في المصدر السابق ص٣٨

٢- إخباره بوقائع تحدث في المستقبل ، وقد حدثت فعلا ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **أ لم ، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين** ﴾ [١]

٣- إخباره بوقائع الأمم السابقة التي تجهلها العرب ، لعدم وجود ما يدل عليها من آثار ومعالم كأخبار قوم عاد وثمود وقوم صالح ولوط .

٤- إشارته الى بعض الحقائق الكونية التي أثبتها العلم الحديث والتي كانت مجهولة لدى الناس آنذاك ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون** ﴾ [٢]

القرآن الكريم مصدر للأحكام الشرعية

تناول القرآن في أياته الكريمة كثيرا من الأحكام يمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات رئيسية :

المجموعة الأولى : آيات تناولت أحكام العقيدة كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومثل هذه الأحكام محل دراستها في علم التوحيد.

المجموعة الثانية : آيات تناولت الجانب الأخلاقي وأسس تهذيب النفس وتقويمها ، ومحل دراسة هذه الطائفة من الأحكام ، علم الأخلاق أو التصوف .

المجموعة الثالثة : آيات تناولت الأحكام العملية المتعلقة بأقوال وأفعال المكلفين ، وقد اختص علم الفقه وأصوله بدراسة هذه الطائفة من الأحكام .

---

[١] - سورة الروم ،الآيات ١ ، ٢ ، ٣

[٢] - سورة الأنبياء ٣٠

وهذه الأحكام على نوعين :

النوع الأول : العبادات كالصلاة والصيام ، والغرض منها تنظيم علاقة الفرد بربه .

النوع الثاني : ما عدا العبادات ، وهي ما يطلق عليها المعاملات والعقوبات ، وهذه الأحكام يقصد بها تنظيم علاقة الفرد بالفرد أو الفرد بالجماعة أو الجماعة بالجماعة .

ويمكن تفريع هذه الأحكام الى ما يلي :

أ- الأحكام المتعلقة بالأسرة ، ويدخل في نطاق هذه الأحكام مسائل الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والبنوة والنسب والولاية ونحو ذلك .وآيات هذه الأحكام نحو (٧٠) آية.

ب – الأحكام المتعلقة بمعاملات الأفراد المالية كالبيع والرهن وسائر العقود المالية . وآياتها نحو (٧٠)آية.

جـ- الأحكام المتعلقة بالقضاء والشهادة واليمين ، ويقصد بها تنظيم اجراءات التقاضي لتحقيق العدالة بين الناس ، وآياتها نحو (١٣) آية .

د- الأحكام المتعلقة بالجرائم والعقوبات ، وآياتها نحو (٣٠) آية . ويقصد بها حفظ الناس وأعراضهم وأموالهم واشاعة الطمأنينة والاستقرار في ربوع المجتمع .

هـ- الأحكام المتعلقة بنظام الحكم ومدى علاقة الحاكم بالمحكوم وبيان حقوق وواجبات كل من الحاكم والمحكومين ، وآياتها نحو (١٠) آيات .

و- الأحكام المتعلقة بمعاملة الدولة الاسلامية للدول الأخرى ، ومدى علاقتها بها ونوع هذه العلاقة في السلم والحرب ، وما يترتب على ذلك من أحكام ،وكذلك بيان علاقة المستأمنين (الأجانب) مع الدولة الاسلامية وآياتها نحو من (٢٥) آية .

ز- الأحكام الاقتصادية : وتتناول هذه الأحكام موارد الدولة ومصارفها وما يبين حق الأفراد في أموال الأغنياء . وآياتها نحو من (١٠) آيات [١].

---

١ - أستاذنا الدكتور عبدالكريم زيدان في الوجيز ص ١٥١ وما بعدها

بيان القرآن الكريم للأحكام

القرآن الكريم جاء مبينـا لجميع الأحكـام الشـرعية ، وبيانـه للأحكـام علـى نوعين:

النوع الأول : ذكر القواعد والمبادئ العامة للتشريع وبيان الأحكام بصورة مجملة .

فمن القواعد والمبادئ العامة التي تكون أساسا للتشـريع وتفـرع الأحكـام مـا يأتي :

أ- الشورى ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [1]

ب- العدل ﴿ **ان الله يأمر بالعدل** ﴾ [2]

جـ- الانسـان يؤخـذ بجريرتـه ولا يسـأل عـن ذنـب غـيره ﴿ **ولا تـزر وازرة وزر أخرى**﴾[3]

د- العقوبة بقدر الجريمة ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ [4]

هـ- التعاون على الخير وما فيه نفع للأمة ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـاونوا على الاثم والعدوان**﴾ [5]

و- الضرورات تبيح المحظورات ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه** ﴾ [6]

ومن الأحكام التي جاءت مجملة في القرآن الكريم و لم يفصل حكمها ، الأمر الزكاة، قال تعالى :﴿ **خذ من أموالهم صدقة** ﴾ [7] وكذلك البيـع والربا ، قال تعـالى:

---

[1] - سورة الشورى ٣٨

[2] - سورة النحل ٩٠

[3] - سورة الزمر ٧

[4] - سورة الشورى ٤٠

[5] - سورة المائدة ٢

[6] - سورة البقرة ١٧٣

[7] - سورة التوبة ١٠٣

﴿ **وأحلَّ الله البيع وحرم الربا** ﴾ [1] فجاءت السنة ببيان البيع الحلال وشروطه والربا الحرام وأنواعه.

وهذا النوع من البيان للأحكام هو البيان الاجمالي وهو الغالب في القرآن . والحكمة في مجئ أحكام القرآن على شكل قواعد ومبادئ عامة ، هي أن مجيئها على هذا النحو ، يجعلها تتسع لما يستجد من الحوادث ، فلا تضيق بشئ أبدا .

النوع الثاني : الأحكام التفصيلية وهي قليلة في القرآن ، ومنها مقادير المواريث وتقدير العقوبات في الحدود ، وكيفية الطلاق وعدده ، وطريقة اللعان بين الزوجين ، وبيان المحرمات من النساء ونحو ذلك.[2]

من خلال ما قاله العلماء عن كتاب الله وحكيناه عنهم هنا ، يتضح لنا أهمية القرآن الكريم كمصدر للثقافة الاسلامية . لأنه المرجع الأساسي لكل أحكام الشريعة الاسلامية التي يراعيها المسلم في سلوكه وتعامله في هذه الحياة مع جوانب الوجود التي تحيط بالانسان .

السّـــنة

السّنة في اللغة الطريقة المعتادة التي يتكرر العمل بمقتضاها ، وبهذا المعنى جاء في القرآن الكريم ﴿ **ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾ [3] وقول النبي صلى الله عليه وسلم **" من سنّ في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن سنّ في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شئ ".**

---

[1] - سورة البقرة ٢٧٥

[2] - زيدان في الوجيز ص ١٥٤

[3] - سورة فاطر ٤٣

وقد تطلق في مقابل البدعة فيراد بها المشروع مطلقا .

السّنة في الاصطلاح : (ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير)[1]

مكانة السّنة في التشريع

تأتي السّنة في المقام الثاني في التشريع بعد الكتاب ، وعلى المجتهد أن يفتش عن الحكم أولا في القرآن ، فان وجده أخذ به ، وان لم يجده تحول الى السّنة ليتعرف على الحكم فيها .

الدليل على حجية السّنة

دل القرآن الكريم على حجية السّنة ، قال سبحانه وتعالى :﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[2] وقوله تعالى :﴿ **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾[3] أي ما هو الا وحي يوحى اليه يوصله اليه جبريل من الملائكة ، فهو اذن لا ينطق عن هوى ، فكلامه حجة ومصدر تشريع.[4]

أقسام السّنة من حيث سندها عند علماء الأصول

ويقصد بسندها رواتها ، والسّنة المتصلة السند تقسم الى ثلاثة أقسام :

---

[1] - الآمدي في الأحكام ٢٤١/١

[2] - الحشر ٧

[3] - النجم ٣ ، ٤

[4] - د. عبدالعزيز الخياط في المدخل الى الفقه الاسلامي ص ٤٤

أولا: سنة متواترة : وهي ما رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع لا يتصور العقل تواطأهم على الكذب ولا يحصى عددهم ، ثم نقلها عنهم جمع بهذه الصفة أيضا حتى بلغتنا.

ومن هذا النوع السنن العملية التي بينت مقادير الزكاة وأعمال الحج وهيآت الصلاة وأركانها ، وهذه تفيد العلم اليقيني .

ثانيا : سنّة مشهورة : وهي ما رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم واحد أو اثنان ، أي عدد لا يبلغ حد التواتر ثم اشتهرت فنقلها جموع كثيرة في عصر التابعين وتابعي التابعين ، وهذا النوع من السّنة يفيد العلم اليقيني عند البعض من العلماء ولكن دون اليقين بالسّنة المتواترة .

ثالثا : سنّة آحاد : وهي ما يرويها عن النبيى صلى الله عليه وسلم عدد لم يبلغ حد التواتر ولم تشتهر فيما بعد ، أي هي ما ليست سنّة متواترة ولا مشهورة .

وهذا النوع يفيد العلم الظني الراجح بصحة نسبتها الى النبي صلى الله عليه وسلم .[١]

السّنة التي تعتبر تشريعا :

ليس كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون تشريعا للأمة ، بل منه ما هو تشريع وما هو ليس بتشريع .

ولهذا فالسّنة بهذا الاعتبار تنقسم الى قسمين :

القسم الأول : ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره نبيا ومبلغا عن الله ، فهذا يعتبر تشريعا للأمة بلا خوف ، ومن أمثلة هذا النوع ما تناقلته كتب السّنة من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله التي كان يقصد بها توجيه الأمة وارشادها ، سواء منها ما يتعلق بتنظيم علاقتها مع الخالق أو فيما بينها. وكذا اقراره لما اجتهد بحضرته أو

---

١ – الدكتور عبدالكريم زيدان في المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص١٩٢

بغيبته من بعض صحابته الكرام ، لأنه لا يقر أحدا على خطئه ، لشهادة الله له بالعصمة .

القسم الثاني : ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال لا باعتباره نبيا مبلغا عن الله عز وجل ولكن باعتباره انسانا أو بمقتضى خبرته في الشؤون الدنيوية ، فهذا القسم لا يعتبر تشريعا للأمة ، ويلحق به أيضا ما كان خاصا بالنبي عليه الصلاة والسلام .

فطريقة أكله وشربه وقيامه وقعوده ونومه تدخل في دائرة الأفعال المستحبة ، فتستحب للمسلم متابعة نبيّه صلى الله عليه وسلم في هذه الكيفيات ، ولا شئ عليه ان لم يتابعه فيها .

وما اختص به عليه الصلاة والسلام مثل وصاله في الصوم والتزوج بأكثر من أربع زوجات ، فلا يجوز للأمة متابعته فيها [1].

الأحكام التي جاءت بها السّنة :

١- أحكام مؤكدة لما في القرآن الكريم وموافقة له ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " **استوصوا بالنساء خيرا** " [2] فانه مؤكد لقوله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ [3]

قوله صلى الله عليه وسلم " **لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه** " [4] فانه مؤكد لقوله تعالى :﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ [5] .

---

١ - د. زيدان في المصدر السابق أيضا

٢ - رواه البخاري في باب [illegible]

٣ - سورة النساء ١٩

٤ - رواه أبو داود

٥ - سورة البقرة ١٨٨

٢- أحكام مفصلة للقرآن كبيان عدد الركعات وكيفية الصلاة وبيان مقادير الزكاة ومناسك الحج وغيرها .

٣- من السّنة ما جاء مبينا ومفسرا لما ورد في القرآن ، مثل تفسيره صلى الله عليه وسلم للظلم في قوله تعالى :﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ [١] أي بشرك .

٤- من السّنة ما هو قيد لمطلق الكتاب أو تخصصه لعامه ، فمن الأول قطع يد السارق وردت في الآية مطلقة ، قيدتها السّنة بالرسغ . ومن الثاني ، ما ورد عاما مثل تحريم الميتة ، قال تعالى :﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ [٢] واستثنت السّنة منها ميتة البحر ، قال عليه السلام عن البحر : " **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** " أي أن السّنة خصصت الميتة بغير ميتة البحر .

٥- كما أن السّنة جاءت بأحكام جديدة مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في قوله صلى الله عليه وسلم :" **لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ، ولا المرأة على ابنة أخيها أو اختها انكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم** " [٣] .

من خلال ما بيناه عن السّنة المطهرة ، يتضح لنا أنها تعتبر رافدا مهما من روافد الثقافة الاسلامية ، وذلك من خلال أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله التي تعتبر مصدرا تشريعيا يفزع اليه المسلمون عندما يفتقدون الحكم في القرآن الكريم ، وما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم معرضا لاقرار الوحي أو الغائه ، ومن هذا تستمد السّنة قوتها باخضاعها الى ارادة الوحي ومشيئته التي هي ارادة الله ومشيئته .

---

[١] - سورة الأنعام ٨٢

[٢] - سورة المائدة ٣

[٣] - رواه مسلم والترمذي

الاجمـــاع

الإجماع في اللغة جاء بمعنيين ، الأول ، العزم والتصميم على الشئ ، قال الله تعالى: ﴿ **فاجمعـوا أمركم** ﴾ أي اعزمـوا وصممـوا عليـه . وفي قولـه صلـى الله عليـه وسلم : "**لا صيام لمن لا يجمع الصيام من الليل** " أي لا بدّ للصائم من أن يعزم علـى الصوم ويصمم عليه من الليل . والثاني ، الاتفاق ، مثل قول القائل : أجمع القوم على كذا ، أي اتفقوا عليه.

والفرق بين المعنيين أن الاجمــاع بـالمعنى الأول يتصـور صـدوره مـن شـخص واحد ومن أشخاص كثـيرين ، وبـالمعنى الثـاني لا يتصـور الا مـن أكـثر مـن شـخص واحد.

أما الاجماع في الاصطلاح : فهو اتفاق مجتهدي الأمة الاسلامية في عصر مـن العصور على حكم حادثة شرعية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

شرح مفردات التعريف

١- لفظ (اتفاق) أي موافقة جميع مجتهدي الأمة على حكم واحد .

٢- لفظ (المجتهدين) وهو جمع مجتهد ، والمجتهـد مـن تحققـت فيـه ملكـة استخراج الأحكام الشرعية من الأدلـة ، أمـا العـوام ومـن لم يبلـغ درجـة الاجتهـاد فـلا اعتبـار باتفاقهم ولا بخلافهم ، لأنهم ليسوا من أهل النظر والاستدلال .

ونعني بالمجتهدين هنا ، لزوم اتفاق كل من المجتهدين الموجودين في ذلك العصر .

٣- وقولنا (الأمة الاسلامية) أن المجتهدين المجمعين ، يجب أن يكونوا مسلمين ، فـلا يعد اتفاق المجتهدين من الأمم الأخرى اجماعا .

٤- وقولنا (في عصر من العصور) أن الاجماع يتحقق في أي عصر من العصور الاسلامية غير عصر النبوة . فلا يشترط في تحقيق الاجماع اتفاق جميع المجتهدين في جميع العصور ، لأن ذلك يؤدي الى عدم امكان الاجماع وتحققه الا بعد قيام الساعة .

٥- ولفظ (على حكم شرعي) يفيد أن الاجماع على الاحكام غير الشرعية كالأحكام اللغوية والعقلية وغيرهما لا يسمى اجماعا .

٦- (بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم) يفهمَ من هذا القيد أن لا اجماع في عصره عليه الصلاة والسلام ، لأنه هو المشرع وعصره عصر الوحي ، فلا حاجة الى الاجماع .[1]

والاجماع على نوعين :

أولا: الاجماع الصريح : وهو أن تتفق آراء المجتهدين جميعا على الحكم في مسألة معينة بابداء آرائهم صراحة .

الثاني : الاجماع السكوتي : وهو أن يبدي بعض المجتهدين رأيه في مسألة ويعلم به الباقون من المجتهدين فيسكتون ولا ينكرون ، على أن يكون سكوتهم لا بدافع الخوف من ابداء الرأي أو الخجل .

وقد رفض بعض العلماء الاجماع السكوتي خشية أن يكون السكوت تقية أو خوفا[2] .

حجية الاجماع

الاجماع متى ما انعقد بشروطه السابقة كان دليلا قطعيا على حكم المسألة المجمع عليها ، وصار هذا الاجماع حجة قطعية ملزمة للمسلمين لا تجوز مخالفته أو نقضه . ودليل حجية الاجماع ما يأتي :

---

١ الأستاذ فاضل عبدالواحد في المصدر السابق

٢ – المدخل الى الفقه الاسلامي ، الأستاذ عبدالعزيز الخياط ، ص٤٩

١- من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ ١ ووجه الاستدلال بهذه الآية ، أن الله تعالى جمع بين المشاقة للرسول صلى الله عليه وسلم وبين اتباع غير سبيل المؤمنين في استحقاق الوعيد الشديد بادخال النار ، فيحرم اتباع غير سبيلهم كما تحرم مشاقة الرسول ، وسبيلهم هو ما اتفق عليه مجتهدو الأمة ، لأنهم المعبرون عنها في هذه الأشياء ، فدلّ هذا على وجوب اتباع الاجماع .٢

٢- من السّنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : **" لا تجتمع أمتي على ضلالة "** وقوله عليه الصلاة والسلام :**" ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ".**

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الأمة الاسلامية معصومة من الخطأ ، وقد سبق أن ذكرنا أن مجتهدي الأمة يمثلونها ، وحكمهم في الحقيقة حكم للأمة .٣

٣- ان اتفاق المجتهدين لا بد له من دليل شرعي ، لأن الاجتهاد لا يكون عن هوى ، بل وفق مناهج مرسومة وضوابط معينة وطرائق محددة تعصم من الخطأ والزلل ، وعلى هذا فاذا اتفق المجتهدون على رأي ، علمنا قطعا أنهم وجدوا دليلا شرعيا يدل قطعا على الرأي الذي اتفقوا عليه ، ومن هنا وجب اعتبار رأيهم ولزم الأخذ به .٤

مستند الاجماع

لا بد للاجماع من مستند شرعي ، لأن القول في الدين بغير علم وبغير دليل ، قول بالهوى وخطأ قطعا ، وهذا لا يجوز ولا يقع . لأن الأمة معصومة من الخطأ بدلالة الأحاديث التي مرّ ذكرها .

---

١ - سورة النساء ١١٥

٢ - انظر الأحكام للآمدي ١/١٥٠ وما بعدها

٣ - الامام الغزالي في المستصفى ١/١١٢

٤ - د. زيدان في الوجيز في أصول الفقه ص ١٨٠

وسند الاجماع قد يكون من الكتـاب أو مـن السّنة ، فالاجماع على حرمة نكاح الجدات وبنات الأولاد مهما نزلت درجتهن ، سـنده قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم** ﴾ اذ الاجماع منعقد على أن المراد بالأمهات في الآية الأصول من النساء فتشمل الجدات وان علـون . وأن المراد من البنات الفروع من النساء فتشمل البنات والصلبيات وبنات الولد وان نزلن .

ومن الاجماع المبني على السّنة اجماعهم على اعطاء الجدة السدس في الميراث ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعطاها السدس .

ومن هنا يتبين لنا أن الاجماع أحد مصادر الشريعة الاسلامية الـتي هـي ذاتها أهم مصادر الثقافة الاسلامية ، وهو يظهر لنا فقه الأمة الجماعي وبيـان رأي مفكريها مجتمعين على حكم شرعي تفتقر اليه الأمة ، فهو يظهر بحق وحدة الرأي لدى مجتهدي الأمة في كثير من المسائل التي تكفلت كتب المذاهب الاسلامية بذكرها .

الإجتهـاد

الإجتهاد في اللغة ، بذل الجهد واستفراغ الوسع في أي فعل كـان . ولا يستعمل الا فيما فيه كلفة وجهد .

وأما في اصطلاح الأصوليين ، فقد عبروا عنه بعبارات متفاوتة ، وكلها لا تعدو عن كون الاجتهاد كما قال الشوكاني : " **بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط** " [1]

ويتبين لنا من خلال التعريف المذكور ما يلي :

---

١ - ارشاد الفحول ص ٢٥٠

١- أن يبذل المجتهد وسعه ، أي يستفرغ غاية جهده على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه .

٢- أن يكون الباذل جهده مجتهدا ، أما غيره فلا عبرة بما يبذله من جهد ، لأنه ليس من أهل الاجتهاد ، ولا يقبل الاجتهاد الا اذا صدر من أهله .

٣- أن ينصبّ اجتهاد المجتهد على معرفة الحكم الشرعي ، فلا يسمى مجتهدا من بذل وسعه في التعرف على الأحكام اللغوية والعقلية والحسية . وكذلك بذل الوسع في تحصيل الحكم العلمي (الاعتقادي) لا يسمى اجتهادا عند الفقهاء ، وان كان يسمى اجتهادا عند المتكلمين .

٤- ويشترط في التعرف على الأحكام الشرعية أن يكون بطريق الاستنباط ، فيخرج بهذا القيد ، نيل الأحكام من النصوص ظاهرا ، أو حفظ المسائل أو استعلامها من المفتي ، أو بالكشف عنها في كتب العلم ، فان ذلك وان كان يصدق عليه الاجتهاد اللغوي ، فلا يصـــدق عليه الاجتهاد الاصطلاحي.[١]

المجتهـــد

ومن تعريف الاجتهاد ، يعرف المقصود بالمجتهد ، فهو من قامت فيه ملكة استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية وهو الفقيه عند الأصوليين ، فلا يعتبر الشخص مجتهدا ولا فقيها اذا عرف الأحكام الشرعية بطريق الحفظ والتلقين ، أو بتلقّيها من الكتب أو من أفواه العلماء بلا بحث ولا نظر ولا استنباط على ما شاع في عصرنا الحاضر .

---

[١] - استاذنا الدكتور عبدالكريم زيدان في الوجيز في أصول الفقه ص٤٠٥، الاجتهاد في الشريعة الاسلامية ، مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر للدكتور يوسف القرضاوي ص١٢

والقدرة على الاجتهاد انما تكون بتوفر شروط الاجتهاد ، أي التي يكـون بهـا الشخص مجتهدا .

وأهم هذه الشروط هي :

١- معرفة اللغة العربية : وذلك بمعرفة اللغة وعلومها معرفـة تيسـر لـه فهـم خطـاب العرب ، لأن القرآن الذي هو المصدر الأول للشريعة قد نزل بلسانهم ، والسّنة نطـق بها رسول عربي ، وقد نقلها الصحابة الكـرام ، وجلّهـم عـرب مـن أهـل الفصاحـة والبيان .

لهذا لا بد أن يعرف المجتهد من اللغة والنحـو القـدر الـذي يفهـم بـه خطـاب العرب وعادتهم في الاستعمال الى حد يميـز بـه بين صريـح الكـلام وظـاهره ومجملـه وحقيقتـه ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه .

٢- العلم بالقرآن الكريم : أن يكون للمجتهد اطلاع على معـاني القـرآن كلـه مـع معرفته بالآيات التي لها صلة بالأحكام دون أن يشترط فيه حفظها ، بـل يكفيـه معرفـة موضعها من الكتاب حتى يسهل عليه الرجوع اليها وقت الحاجة . وقد اعتنى العلماء بجمع هذه الآيات وشرحها وبيان الأحكام التي تدل عليها وصنفـوا في هـذا الموضـوع مصنفات كثيرة مثل كتاب أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي المتوفـى سنة ٥٤٣ هـ وكتاب أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص المتوفى سنة ٣٧٠هـ . ١

معرفة أسباب النزول

ومما يدخل في معرفة القرآن الكريم ، العلم بأسـباب نزولـه ، فـان العلـم بهـا يلقي ضوءا على المقصـود بـالنص القرآنـي . وقـد عـني المفسـرون بأسباب النزول ودونوها في كتبهم.

---

١ - أنظر المستصفى ٢/٣٥١

معرفة الناسخ والمنسوخ

النسخ يعني (رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه)[1] ويسمى هذا الدليل بالناسخ ، ويسمى الحكم الأول بالمنسوخ .

والنسخ وان وقع قليلا في القرآن الكريم الا أن معرفته لازمة للمجتهد .

٣- العلم بالسّنة : ونعني بها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير . والعلم بالسنة يعني معرفة ما يلي :

أ- العلم بالحديث دراية ورواية : وذلك بأن يعرف المجتهد أصول الحديث وعلومه . والاطلاع على علم الرجال وشروط قبول الحديث عند المحدثين وأسباب الرد للحديث ، ويعرف متواتر السّنة من مشهورها وآحادها ، وأن يفهم معاني الحديث ودرجته في الصحة والقوة وقواعد الترجيح فيما بينها .

ب- معرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث : وذلك أمر لازم للمجتهد حتى لا يحكم بحديث قد ثبت نسخه وبطل العمل به ، كالأحاديث التي رويت في جواز نكاح المتعة ، فقد ثبت نسخها بأحاديث أخرى .

جـ- معرفة أسباب ورود الحديث : ان السّنة كثيرا ما تأتي لعلاج أوضاع معينة وقضايا خاصة يتغير الحكم بتغيرها ، لذا يلزم المجتهد معرفة أسباب ورود الحديث ، من ذلك حديث جابر عن الشيخين (**سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي**) . اذ الظاهر أن الحديث يشير الى النهي عن أن يكني أحد نفسه بأبي القاسم في كل عصر ، ولكن عندما نتمعن في سبب ورود الحديث ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت عليه الصلاة والسلام ، فقال الرجل

١- د. زيدان في الوجيز ص٣٩٢

: انما دَعوت هذا ، ويعني به شخصا آخر ، فجاء النهي عن الكنية بكنيته عليه الصلاة والسلام.

د- العلم بأحاديث الأحكام : ان مهمة المجتهد هي استنباط الحكم من الحديث ، لذا يفترض فيه أن يحتفظ بكتب السّنة الصحيحة ليرجع اليها في معرفة مواضع أحاديث الأحكام فيها ، ولا يشترط فيه حفظها عن ظهر قلب . وقد اعتنى العلماء بجمع أحاديث الأحكام وصنفوا فيها المصنفات ورتبوها حسب أبواب الفقه وبينوا ما فيها من أحكام ومقارنتها لمذاهب فقهاء الأمصار وتكلموا عن أسانيدها مما سهل على المجتهد الوصول الى أحاديث الأحكام والتعرف على معانيها وأحكامها ، ومن هذه الكتب نيل الأوطار للشوكاني ، فضلا عن كتب السّنة الصحيحة وشروحها .

٤- العلم بمواضع الاجماع : وهذا الشرط يلزم المجتهد ليكون على بينة منها فلا يخالفها في المسائل التي يتصدى لبحثها والاجتهاد فيها .١

٥- المعرفة بأصول الفقه : ان استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المعتبرة شرعا لا يكون عن هوى، بل لا بد من مسالك معينة يسلكها المجتهد وقواعد يسترشد بها ، وبهذا يكون اجتهاده مقبولا ووصوله الى الأحكام الصحيحة ممكنا ميسورا . وعلم أصول الفقه ، هو الكفيل بالبحث في مصادر الأحكام وحجيتها ومراتبها في الاستدلال بها وشروط هذا الاستدلال ، ويرسم مناهج الاستنباط ويستخرج القواعد المعينة على ذلك والتي يلتزم بها المجتهد عند تعرفه على الأحكام من أدلتها التفصيلية .

لهذا كان معرفة المجتهد بأصول الفقه أمرا لازما له ، ولا غنى للفقيه عنه . ٢

٦- العلم بمقاصد الشريعة : ان أحكام الشريعة معللة وقائمة على مصالح الناس ، وبما أن الاجتهاد هو اعمال الفكر لاستنباط حكم شرعي في مسألة لا نص في حكمها

---

١ - الغزالي في المستصفى ٣٥١/٢

٢ - أنظر شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي ص٤٣٧

اما بطريق القياس أو بناء على المصلحة وعادات الناس التي ألفوها في معاملاتهم وتحقق لهم مصالحهم ، لذا لزم المجتهد الوقوف على تلك المقاصد ، ليضعهـا في الاعتبـار عنـد اجتهاده لاستنباط حكم من الأحكام الشرعية .

مجال الاجتهاد : ان الحكم الشرعي اما أن يستند على دليل قطعي مثل وجوب الصلاة والزكاة وحرمة الزنا والربا ونحو ذلك ، فلا اجتهاد فيها . أو يستند على دليـل ظـني ، فهذه التي يجري فيها الاجتهاد .

والدليل الظني منه مـا هـو ظـني الثبـوت أو ظـني الدلالـة ، والنصـوص الظنيـة الثبوت تنفرد بها السّنة ، فهي التي فيها مجـال للبحـث ، فيجهـد المجتهـد نفسـه لمعرفـة مدى ثبوت النص ومقدار صحة سنده وقوته والوثوق برواته والركون اليهم .

أما الأحكام الظنية الدلالة ، فان الاجتهاد فيهـا ينصـب علـى كشـف المعنـى المراد منها بالتعرف على قوة دلالة اللفظ على المعنى وترجيح دلالة على أخرى .

ويجري الاجتهاد أيضـا في المسـائل الـتي لم يـرد نـص مـن الشـارع بشـأنها ، فيضطر المجتهد الى اللجوء الى دلائل الشريعة الأخرى مـن قيـاس واستحسـان ومصـالح مرسلة وسد ذرائع وغيرها . ولا شك أن انظار المجتهدين تختلف في مدى صحـة هـذه الأدلة وفي كيفية الاستنباط منها وفي الأحكام المستنبطة بناء عليها.

مشروعية الاجتهاد وحكمه

الاجتهاد مشروع بلا ريب في الاسلام ، قـال الله تعـالى : ﴿ **ولـو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ [1] وهـل الاجتهـاد الا استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة .

---

[1] - سورة النساء ٨٣

وفي الحديث " **اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر** " . وقد أقر معاذ بن جبل عندما لوح له بالاجتهاد حينما بعثه الى اليمن وقال له : " بم تقضي ؟ قال : بكتاب الله ، قال: فان لم تجد ؟ قال : بسّنة رسول الله ، قال : فان لم تجد؟ قال: اجتهد رأي لا آلو - أي لا أقصر - فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله " .

وحديث معاذ تلقاه فقهاء الأمة بالقبول .

وقد أجمعت الأمة على مشروعية الاجتهاد ومارسته بالفعل وكان من ثمراته هذه الثروة الفقهية .

كما أن العقل يقضي بوجوب الاجتهاد ، لأن معظم أدلة الأحكام الشرعية العملية ظنية قابلة لأكثر من فهم ، فلا بد من الاجتهاد لتعيين الرأي الراجح ، وكذلك ما لم يرد فيه نص لا بد من الاجتهاد لبيان الحكم الشرعي فيه .

الاجتهاد في عصر الرسالة : لما كان الاجتهاد مصدرا من مصادر التشريع فلا يكاد عصر من العصور الأولى أن يخلو من مجتهد بدء ا بعصر النبوة وحتى عصر تدوين الفقه الاسلامي. وقد اجتهد الرسول عليه الصلاة والسلام فكان اذا عرضت له مسألة لم يسبق للوحي فيها حكم ، انتظر الوحي ، فان لم يأته وحي ، قضى في المسألة باجتهاده ، وخضع اجتهاده للوحي . ومن الأمثلة على ذلك :

ان المسلمين عندما أسروا أفرادا من المشركين في غزوة بدر ، استشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه فيما يفعل فيهم ، فكان رأي أبي بكر أن يأخذ الفداء منهم ومن ثمّ يعفو ويصفح عنهم . وأشار عمر بن الخطاب بضرب أعناقهم استئصالا لشأفة الكفر وتقويضا لدعائمه وتقريرا لعزة الاسلام وهيبة المسلمين ، وقد مال عليه الصلاة والسلام الى العفو عنهم وأخذ الفداء . وقد نزل الوحي مؤيدا لرأي عمر الا أن الآية لم تتعرض لنقض ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على اجتهاده ،

قال تعالى: ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** ﴾ [1]

وفي غزوة تبوك اعتذر بعض المسلمين عن التخلف عن الغزوة فقبل الرسول عليه الصلاة والسلام عذرهم ، فنزل الوحي يعاتبه على الاذن لهم قبل أن يعلم الصادق من الكاذب ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾ [2]

والمسألة التي لم يرد فيها نص ولا سبيل الى معرفتها بالرأي والاجتهاد ، كان صلى الله عليه وسلم ينتظر فيها الوحي ، من هذا أنه أرسل عبدالله بن جحش في ثمانية من المهاجرين ليترصدوا عيراً لقريش ، فقتل المسلمون عمرو بن عبدالله الحضرمي قائد العير وأسروا اثنين ممن كانوا معه ، واستاقوا العير ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم :" **والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**" وندم رجال السرية على ما فعلوا وظنوا أنهم قد هلكوا ، فنزلت الآية الكريمة ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل** ﴾ [3] فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم العير وعزل منها الخمس وقسم الباقي بين أصحاب السرية وفدى الأسيرين .[4]

وقد أذن الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالاجتهاد في حضرته ، كما أذن لهم بالاجتهاد وهم بعيدون عنه . فمن الأول ما روي أن المسلمين عندما انتصروا

---

١ – سورة الأنفال ٦٧

٢ – سورة التوبة ٤٣

٣ – سورة البقرة ٢١٧

٤ – أنظر تأريخ التشريع الاسلامي للدكتور عبد العظيم شرف الدين منشورات جامعة قار يونس ص٦٢ بنغازي.
تأريخ الطبع ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م

على بني قريظة وحاصروهم في حصنهم ، رضوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، بأن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **حكمت فيهم بحكم الله** " وقد قاسهم سعد على المحاربين الذين ذكر هم الله بقوله :﴿ **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا** ﴾ ١ فهؤلاء قد مالؤا قريشا على المسلمين في غزوة الأحزاب ، ونقضوا عهدا كان بينهم وبين المسلمين ، أو قاسهم على أسرى بدر الذين عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على عدم قتلهم ، ولم يكن نزل حتى الآن قوله سبحانه : ﴿ **فاما منا بعد واما فداء** ﴾ ٢ .

ومن الثاني حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه . وما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه علياً الى اليمن قاضيا فعرضت عليه قضية قوم حفروا زبية فوقع الأسد فيها فتزاحم الناس عليها ، فوقع فيها رجل وأمسك بآخر وأمسك الثاني بثالث حتى صاروا فيها أربعة فماتوا ، فقضى علي كرم الله وجهه للأول بربع الدية لأنه مات بتدافع المزدحمين حول الزبية ، ووقوع الثلاثة الذين جذبهم فوقه فأهدر ما يقابل فعله من الدية وهو ثلاثة أرباعها ، وجعل للثاني ثلث الدية لأنه مات بجذب الأول له ووقوع الاثنين اللذين جذبهما فوقه فأهدر ما يقابل فعله وهو ثلثا الدية ، وجعل للثالث نصف الدية لأنه مات بجذب الثاني له ووقوع الرابع الذي قام بجذبه عليه ، فأهدر ما يقابل فعله وهو نصف الدية ، وجعل للرابع الدية كاملة لأنه مات بجذب الثالث له فقط . وحكم بأن الواجب كله على قبائل الذين ازدحموا . ولما أبوا قبول

---

١ - سورة المائدة ٣٣

٢ - سورة محمد ٤

هذا الحكم قدموا على النبي صلى الله عليـــه وسلـــم فقال :" **القضـاء كما قضـاه علي** " [1]

الا أنه ينبغي أن يلاحظ أن اجتهـاد الصحابة في حياة الرسـول عليـه الصـلاة والسلام لا يعتبر تشريعا الا اذا أقرهم الرسول عليه ، لأنه هو المشرع في حياته اما عن طريق الوحي واما عن طريق الاجتهاد الذي يقره الوحي عليه ان كان صوابـا أو يـرده الى الصواب ان كان مخالفا للصواب .[2]

الاجتهاد الجماعي

بعد وفـاة النبي صلى الله عليه وسلم سـار الخلفـاء الراشـدون في استنباط الأحكام الشرعية بنفس الطريقة التي رسمها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فـلا يلجأون الى الاجتهاد الا اذا فقدوا الحكم في الكتاب والسّنة .

والاجتهاد في عهد الشيخين أخذ طابع الاجتهاد الجماعي ، فكان الخليفـة اذا عرض عليه الأمر دعا أولي الرأي والفقه وطـرح عليهـم المسـألة وتبـاحثوا فيهـا ، فـاذا اتفقوا على حكم معين ، قضوا به ، وان اختلفـت آراؤهـم أخـذوا بمـا هـو أقـرب الى الكتاب والسّنة، وكما وقع الاجتهاد الجماعي وقع الاجتهاد الفردي أيضا من الخليفـة نفسه ومن غيره .

وكان اكثر ما يكون الاجتهاد الجماعي في المسـائل العامـة كمـا في تقسـيم أرض السواد في العراق على الفاتحين . [3] وللاجتهـاد الجمـاعي مزايـا وفوائـد حيـث

---

[1] – ابن القيم في اعلام الموقعين ٢/١٣ وما بعدها

[2] – الدكتور عبدالعظيم شرف الدين في تأريخ التشريع الاسلامي ص٦٥

[3] – الاستاذ الدكتور عبدالكريم زيدان في المدخل الى الشريعة الاسلامية ص١٣٣

تمتزج الآراء وتتلاقح الأفكار ويأخذ الاجتهاد طابع الشورى ، فيكون الحكم في المسألة أقرب الى الصواب . وقد قيل قديما : رأي الجماعة خير من رأي الفرد .

ويمارس الاجتهاد الجماعي في وقتنا الحاضر من خلال المؤتمرات والمجامع الفقهية التي تضم عددا من العلماء المسلمين المتخصصين ، حيث يصلون الى الحكم الشرعي بعد مناقشة وحوار علمي .

أهمية الاجتهاد في هذا العصر

يشهد عصرنا الحالي تغيرات كثيرة من حيث الكم والنوع ، وشملت العديد من جوانب حياتنا ، فكان أن كثرت في حياتنا الأمور والوقائع التي لم تكن موجودة من قبل ، ولا يوجد بشأنها حكم قطعي في الشريعة الاسلامية ، ولذلك يتساءل المسلمون باستمرار عن هذه الوقائع والأمور الجديدة : ما حكم الشريعة الاسلامية فيها ؟ ولا يجاب عن هذا السؤال كيفما اتفق ، وانما لا بد من الاجتهاد لبيان مراد الشارع سبحانه وتعالى في هذه الأمور ، ومن هنا ضرورة ممارسة الاجتهاد في حياة المسلمين حتى يكون سلوكهم دائما وفق مراد الله وما يرضيه ، فالاجتهاد هو أداة الاسلام والثقافة الاسلامية كي يظل الاسلام والثقافة الاسلامية صالحين في كل زمان ومكان.

مقاصد الشريعة الاسلامية

جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للعالمين ، وهدى وشفاء لما في الصدور ، فاتجهت في أحكامها ومناهجها الى تحقيق أغراض سامية للانسان .

فقد أرادت من الانسان أن يكون مصدر خير لبني نوعه لا مصدر شر ، وذلك بتهذيب نفسه وتربيتها على الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة ، وتوثيق عرى

المودة والمحبة في العلاقات الاجتماعية ، ونشر العدالة والحق بين الجماعات في الأسرة الاسلامية . كما أن الشريعة بأحكامها أرشدته الى ما يكون خيرا له في دينه ودنياه وما فيه مضرة ومفسدة ، فيكون في امتثاله لارشادات الشريعة وتوجيهاتها خير له ورحمة ، لأن الشريعة كما بينه علماء الأصول جاءت لتحقيق مقصد عام وهو جلب الخير والمنافع للناس ودفع الأضرار والمفاسد عنهم . وقد نظر العلماء في أحكام الشريعة فوجدوا أن المقصد العام الذي تحققه الشريعة بأحكامها يرجع الى ثلاثة أنواع أو مستويات من المقاصد ، هي : الضروريات والحاجيات والتحسينيات ، ولكل نوع منها مكملات ، كما أنها ليست في الأهمية على مرتبة واحدة ، وهذه هي الأنواع الثلاثة :

١- الضروريات

ويقصد بها المصالح التي تتوقف عليها حياة الناس وقيام المجتمع واستقراره بحيث اذا فاتت ، اختل نظام الحياة وساد الناس الفوضى ولحقهم الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة . وهذه الضروريات هي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

وهذه المصالح قد راعتها جميع الشرائع السماوية وان اختلفت في طرق رعايتها والمحافظة عليها . والشريعة الاسلامية – وهي خاتمة الشرائع – راعتها على أتم وجوه الرعاية ، فشرعت الأحكام لايجادها أولا ، والمحافظة عليها ثانيا .

فالمقصد الأول من هذه المقاصد ، هو المحافظة على الدين ، فالدين شيء لا بد منه للانسان الذي تسمو معانيه الانسانية عن شركائه الآخرين في الحيوانية ، فيه يمتاز عنهم ويعلو عليهم ، ومن أجل اقامته والمحافظة عليه شرعت العبادات كلها ووجبت على المكلفين . وذلك كالصلاة والصوم والحج والجهاد وما الى ذلك من الأمور .

والثاني : المحافظة على النفس ، لأن الانسان بها يتمتع بحياة عزيزة كريمة ، والمحافظة عليها تتطلب حمايتها من كل اعتداء عليها بالقتل وغيره من الأضرار .

فشرع الاسلام لايجادها الزواج . وشرع لحفظها وجوب تناول ما به قوامها من طعام وشراب ، ومعاقبة من يعتدي عليها ، وحرم تعريضها للتهلكة .

والثالث : المحافظة على العقل ، وحفظه يكون بدفع الآفات التي تجعل من تصيبه ثقلا على المجتمع وعبئا عليه ، ولأجل ذلك حرم الشارع المسكرات وشرع الحد على شاربي الخمر .

والرابع : المحافظة على النسل ، وقد شرع الاسلام لهذا الغرض الزواج من أجل المحافظة على النوع الانساني ، وشرع من أجل المحافظة على الأنساب تحريم الزنا واقامة الحد على مرتكبه ، وتحريم القذف ومعاقبة القاذف ، وتحريم الاجهاض ومنع الحمل الا للضرورة .

والخامس : المحافظة على المال ، وشرع للحصول عليه اباحة المعاملات المختلفة ووجوب السعي ، وشرع للمحافظة عليه تحريم السرقة واقامة الحد على السارق ، وتحريم اتلاف مال الغير والزام المتلف بالضمان ، والحجر على السفيه والمجنون ونحوهما [1].

٢- الحاجيات

وهي ما يحتاج اليها الناس ولا تبلغ حاجتهم حد الضرورة ، واذا فاتت لا يختل نظام الحياة ، ولكن يلحق الناس المشقة والعنت والضيق . والحاجيات كلها ترجع الى رفع الحرج عن الناس ، وقد جاءت الشريعة بالأحكام المختلفة لتحقيق هذا الغرض .

ففي العبادات ، شرع الشارع الرخص المخففة عند زيادة المشقة بالمرض أو السفر .

---

[1] - الوجيز في اصول الفقه ، الدكتور عبدالكريم زيدان ، ط ٦ ص٣٨٣ وما بعدها

وفي المعاملات ، شرعت أنواع المعاملات استثناء من القواعد العامة ، فأباح الشارع السلم والاستصناع والاجارات والمزارعة ونحو ذلك .

وفي العقوبات ، شرع الاسلام قاعدة درء الحدود بالشبهات ، والدية على العاقلة في القتل الخطأ تخفيفا عن القاتل .

التحسينات

وهي التي لا تدخل في النوعين الأولين ، بل ترجع الى اجتناب ما تألفه العقول الراجحة والى الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق .

مثال ذلك في العبادات : التطهر من النجاسات وستر العورات وأخذ الزينة عند كل مسجد .

وفي المعاملات شرع الاسلام الامتناع عن بيع النجاسات وعن الاسراف وبيع الانسان على بيع أخيه .

وفي العقوبات منع الاسلام المثلة والغدر ، ومنع قتل النساء والشيوخ والأطفال في الحرب والجهاد . وما أشبه ذلك .

مكملات المصالح

لقد شرع الاسلام مكملات تؤدي الى تحقيق المقاصد الثلاثة وحفظها على أتم الوجوه.

ففي الضروريات شرع الأذان والصلاة جماعة تكملة لفريضة الصلاة ، وشرع وجوب التماثل بين الجاني والمجني عليه لوجوب القصاص حتى يؤدي غرضه من الزجر والردع ويمنع اثارة العداوة والبغضاء . ولما شرع الاسلام الزواج لأجل الحفاظ على بقاء النوع الانساني ، شرع الكفاءة بين الزوجين ليكون ذلك أدعى الى حسن العشره بينهما وأدوم للألفة أيضا.

ولما حرم الاسلام الزنا حفظا للنسل وحرصا على عدم الاختلاط في الانساب كما ذكرنا ، حرم كذلك ما يفضي اليه من الخلوة بالمرأة الأجنبية والنظر اليها بشهوة وسفر المرأة مسافة قصر من غير محرم .

ولما شرع الاسلام تحريم الخمر ومعاقبة شاربها حرصا منه على حفظ العقول وعدم تلويثها ، حرم شرب القليل منها وان لم يسكر سدا لذريعة مفسدة الاسكار بشرب الكثير . ولما شرع لايجاد المال أنواع المعاملات ، شرع ما يكملها محافظة على المقصود منها فنهى عن الغرر وبيع المعدوم وجهالة المبيع ونحو ذلك .

وفي الحاجيات ، لما شرع أنواع المعاملات الدافعة للحرج عن الناس ، شرع الشروط الجائزة ومنع المحظورة التي تثير النزاع بين الناس . وعندما شرع الدية على العاقلة في حالة قتل الخطأ تخفيفا عن القاتل ، شرعها منجمة وعلى القادرين على أدائها وبمقادير يسيرة يسهل أداؤها .

وفي التحسينات لما ندب الى التطوع في الصدقات شرع تحري الوسط من المال للانفاق منه ، وجعل الشروع في نوافل العبادات موجبا الى اكمالها .

ومما مر بنا الآن من التفصيل والأمثلة يتبين لنا أن التحسينيات في جملتها تعد مكملة للحاجيات ، والحاجيات تعد مكملة للضروريات ، ولهذا كانت الضروريات أصلا للمقاصد الشرعية كلها ، ومن أخل بها فقد أخل بما عداها حتما ، أما من أخل بشيء من الحاجيات أو التحسينيات ، فانه يوشك أن يخل بالضروريات ، ولهذا كانت المحافظة على الحاجيات والتحسينيات نوعا من المحافظة على الضروريات ، فمن اجترأ على ترك الفضائل كان على ترك ما سواها أجرأ ، ومن حافظ على النوافل كان على سواها أحفظ ، ومن ترك النوافل انفتح أمامه باب الترك لما هو أهم [1].

---

١ - أصول التشريع الاسلامي ، الشيخ علي حسب الله ، ص ٢٦٣ ، دار المعارف بمصر ط ٣

ثانيا : تراث الحضارة الاسلامية *

التراث بصورة عامة هو ما وصل الينا مما تركه السلف أو الأجيال السابقة للخلف أو الأجيال الحاضرة ؛ أما الحضارة فقد سبق لنا تحديدها بأنها ما أنجزته الفاعلية الانسانية لأمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات خلال حقبة زمنية معينة في مجال المنجزات المادية وغير المادية .[1]

ونحن هنا نتحدث عن تراث الحضارة الاسلامية ، أي عن المنجزات المادية وغير المادية التي وصلت الينا مما أنجزه أسلافنا في الماضي .

حقا لقد ضاع جزء كبير من هذه التراث نتيجة أسباب مختلفة ، لكن ما وصل الينا من هذا التراث ، قدر كبير لا يستهان به ولا يمكن تجاهله ، وبخاصة في مجال المنجزات غير المادية .

واذا كنا حصرنا تراث الحضارة الاسلامية في قسمين كبيرين ، أعني منجزات مادية ومنجزات غير مادية ، فاننا نستطيع أن نرى في كل قسم منهما أقساما أخرى فرعية ، قسم المنجزات المادية يدخل فيه الأدوات والوسائل التي ابتكرها الانسان في المجتمع الانساني واستخدمها ليحقق بواسطتها غاياته وأهدافه المختلفة ، وأمثلة هذا النوع من المنجزات عديدة ، فأدوات الزراعة والمهن الصناعية المختلفة والأدوات التي تستخدم في الأعمال المنزلية وأدوات البناء والآت الحرب المختلفة ، وما الى ذلك كلها منجزات مادية ؛ وكذلك القلاع والحصون والقصور والطرق الممهدة والجسور والمستشفيات وما أشبه ذلك هي منجزات مادية ، ويمكن أن ندخل في هذا القسم المنجزات الفنية التي تتجسد في صور مادية كفن العمارة والزخرفة والخط .

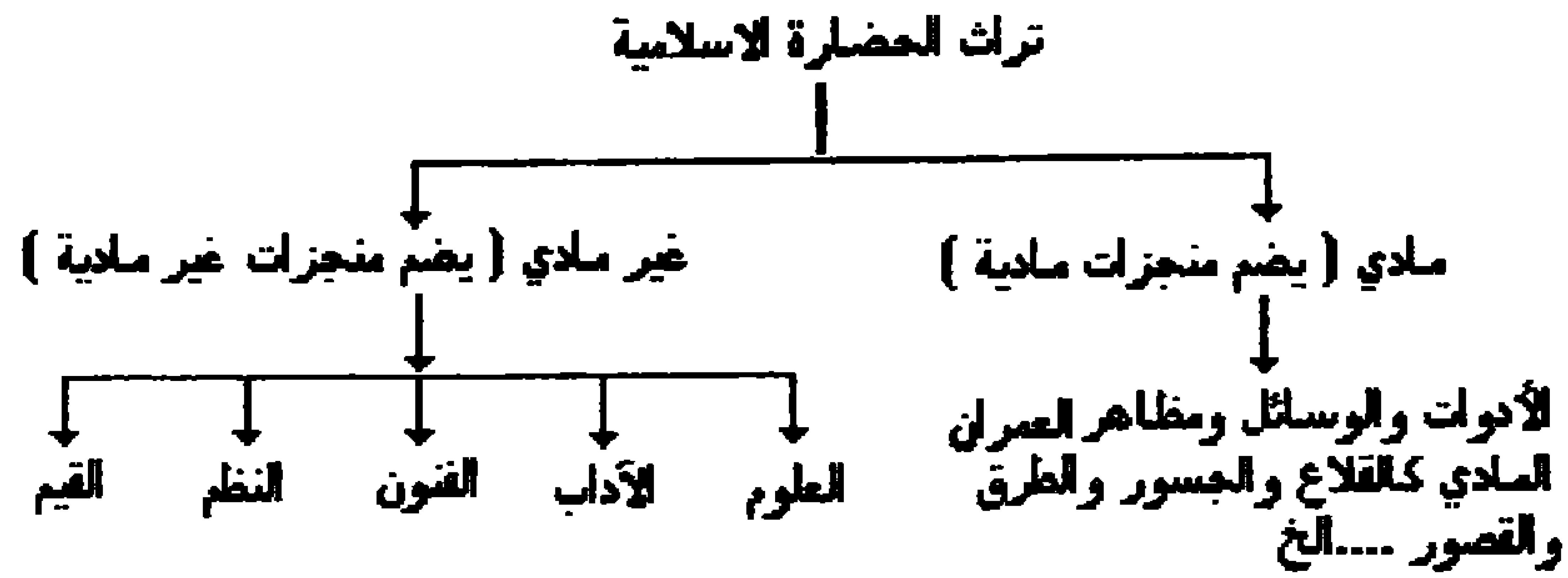
---

* كتبه د. عزمي طه السيد

[1] – راجع التعريف في علاقة الثقافة بالحضارة والمدنية

أما المنجزات غير المادية فيدخل فيها كل ما أنجزه أسلافنا من علوم مختلفة ، نظرية وعملية ، كما يدخل فيها الأدب بفروعه (نثر ، شعر ، قصة ..) والفنون المختلفة ، ومما يندرج أيضا في هذا القسم ، النظم المختلفة كالنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والقضائي والتربوي ؛ ويدخل في هذا القسم كذلك القيم المختلفة : الأخلاقية والاجتماعية والفكرية والجمالية .

ويمكن تلخيص أقسام تراث الحضارة الاسلامية في الجدول الآتي :



واضح من تقسيمنا لأنواع تراث الحضارة الاسلامية أن الدين الاسلامي ليس جزءا منه ، ولعل السبب في اخراج الاسلام – الدين من دائرة تراث الحضارة الاسلامية واضح ، وهو أن هذا التراث منجز انساني ، أما الاسلام فهو وضع الهي له صفة القداسة ، في حين لا يوصف الانجاز الانساني بهذه الصفة ، ولهذا نستطيع في المنجزات الانسانية وفي تراث الحضارة الاسلامية ، أن نتحدث عن سلبيات وايجابيات بينما في الوضع الالهي ، غير المحرف على أيدي البشر ، أي الاسلام المتمثل في الكتاب والسّنة ، لا يجوز ذلك ، فنحن حيال الكتاب الكريم والسنة النبوية أمام وحي الهي ، نجتهد أن نفهم معانيه ودلالاته وما تنطوي عليه نصوصه من أنواع الهداية ؛ لقد قامت على الكتاب والسنة علوم مختلفة ، أقامها العلماء المسلمون كعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم العقيدة وعلم أصول الفقه وغيرها ، وهذه العلوم الاسلامية تدخل في تراث الحضارة الاسلامية لأنها قامت وتطورت بجهد الانسان ، وهذه يمكن

أن ينطبق عليها ما ينطبق على التراث ، أما الكتاب والسّنة ، فليسا من التراث وان كانا هما الأساس الذي قامت عليه هذه العلوم ، والمعين الذي متحت منه .

بعد هذا التوضيح للمقصود بعبارة " تراث الحضارة الاسلامية " نودّ أن نبين كيف يكون هذا التراث مصدرا من مصادر الثقافة الاسلامية في الوقت الحاضر . فنقول : ان جوهر الثقافة – كما تقدم بيانه – هو معرفة عملية تبين تعامل الانسان مع جوانب الوجود المحيط به ، وفي الحضارة الاسلامية كان أسلافنا يتعاملون مع جوانب الوجود المحيط بهم ، لهم في ذلك طرقهم وأساليبهم ، سواء كان ذلك في تعاملهم مع أنفسهم أو مع الآخرين في نطاق الأسرة أو المجتمع المحلي أو المجتمع – الدولة ، أم كان في تعاملهم مع الكون الطبيعي وبخاصة مع الأرض في زراعتها واستعمارها والبناء على سطحها ، أم في تعاملهم مع الأفكار المختلفة التي شكل تنوعها مذاهب شتى ، أم كان في تعاملهم مع الأدوات والوسائل أم مع الزمان والوقت أم مع الغيب ، أم كان في تعاملهم مع خالق الوجود وخالق كل شئ ، ألا وهو الله سبحانه وتعالى ، وطرق التعامل المختلفة هذه في جملتها أثمرت منجزات مادية وغير مادية ، تراكمت على مدى عدة قرون ، فكان ما نسميه بالحضارة الاسلامية ، والسؤال الذي نحن بصدده هنا يحتاج منا الى أن نعرف حقيقة هذا التراث الثقافي الذي تضمنته الحضارة الاسلامية ، من حيث أن بعض ما فيه من معرفة عملية وطرق في التعامل مع جوانب الوجود كانت ملائمة في العصور السالفة لكنها لم تعد ملائمة في عصرنا هذا ، وممارستها ليست مجدية أو نافعة ، فمثلا بعض أساليب تعامل الانسان – وفق هذا التراث – مع الكون الطبيعي ، وبخاصة مع الأرض في زراعتها واستعمارها ، لم تعد ملائمة في هذا العصر بسبب ما طرأ من تطور وتقدم في العلم النظري والتطبيقي في هذه المجالات ، وبالمقابل لن نعدم عند النظر والفحص ، وجود أساليب وطرق أخرى

في التعامل ، وبخاصة في التعامل مع الله أو مع النفس أو مع الآخر ، نافعة ومجدية ، اذا مارسناها في الوقت الحاضر.

والحق أن الأمر في تمييز النافع والمفيد والملائم من غير المفيد وغير الملائم من جوانب تراث الحضارة الاسلامية ليس أمرا سهلا ، وانما هو أمر بحاجة الى جهد منظم ، وأول خطوة في هذا الاتجاه هو أن نتعرف على هذا التراث تعرفا نقديا غايته أن نميز النافع والمجدي والملائم من غيره ، ولا شك أن مثل هذا البحث ستوجهه اعتبارات أهمها الحاجات القائمة في المجتمع الاسلامي ، مما يؤمل أن يوجد في تراث الحضارة الاسلامية ما يلبيها ، وينبغي أن يكون البحث في التراث قادرا على ارشادنا الى ما يمكن أن يفيدنا في تلبية حاجاتنا الراهنة ، فاذا ما وجدنا ثقافة في جانب ما يمكن أن تفيدنا فعلينا أن ننظر فيها نظرا آخر لنتأكد أنها لا تعارض أصلا أو مبدأ أو حكما ثابتا في الشريعة الاسلامية ، فان بان لنا معارضته لواحدة من هذه رفض بسبب هذه المعارضة ، أما اذا لم يكن فيه معارضة، فان علينا أن ننظر في شكل هذه الثقافة وصورتها ، لنرى ان كانت تصلح لأن تطبق على نفس الشكل والصورة التي كانت عليها في الماضي أم أن تغير الزمان ومرّ العصور يستلزم أن نغير في شكل هذه الثقافة وصورة ممارستها ، ولا شك أننا سنجد بعض ما سنأخذه بحاجة الى تعديل في شكله وصورته ليلائم الواقع الراهن .

وهكذا ، فالشروط التي يجب أن تتوافر في الثقافة التي يمكن أن نأخذها من تراث الحضارة الاسلامية لنجعلها مرّة أخرى من جديد جزءا من ثقافتنا الاسلامية الراهنة ، هي :

١- أن تكون هذه الثقافة نافعة في تلبية حاجة راهنة .

٢- أن لا تتعارض مع أصل أو مبدأ أو حكم ثابت في الشريعة الاسلامية .

٣- أن يجري على شكلها وصورتها تعديل ، ان كان لازما .

هذا الذي أوضحناه قد حدث بالفعل ، وسنذكر مثالين على أخذ ثقافة من تراث الحضارة الاسلامية وجعلها جزءا من ثقافتنا الاسلامية الحاضرة ؛ الأول هو فن العمارة الاسلامية ، فقد مرّت فترة في حياتنا انسقنا فيها وراء تقليد فن العمارة الغربية ونسينا ما لدينا من تراث في هذا المجال ، ثم تبين للمشتغلين في هذا المجال أن فن العمارة الاسلامي يلبي حاجات المجتمع الاسلامي ويراعي عقيدته وبيئته الاجتماعية والطبيعية أكثر من فن العمارة الغربي ، فأخذ العديد من المهندسين المعماريين في النظر في التراث المعماري الاسلامـــي وبدأوا يدخلونـــه في الانجـــازات المعمارية والعمرانية المختلفة .

أما المثال الثاني الذي بدأت الأنظار تتجه اليه فهو علاج الأمراض النفسية ، كالقلق والخوف الوهمي والشك الزائد عن الحد والخجل والاضطرابات الانفعالية المختلفة، هذا الأمر كان للأطباء النفسانيين المسلمين في الماضي دور بارز فيه ، وحققوا فيه نجاحا كبيرا ، لقد بدأنا في نهضتنا الحديثة بتقليد الغرب في طريقة العلاج النفسي ، هذه الطريقة التي تستغرق وقتا طويلا في العلاج ولا تؤدي مع ذلك الى نجاح يذكر ، وقريبا ، بدأ المختصون في أمور الصحة النفسية في العالم الاسلامي يلتفتون الى ما في تراث الحضارة الاسلامية في هذا الأمر ، وأظهرت لهم الدراسات والتجارب أن العلاج النفسي الذي كان يمارسه أسلافنا أنجع بكثير من العلاج النفسي الغربي ، حتى أن أحد الزملاء الباحثين في هذا الأمر ،وصف، في محاضرة له ، نتائج تجاربه في الاستفادة من طرق العلاج التي مارسها أسلافنا بأنها " أشبه بالسحر " ، أي تؤدي الى الشفاء في وقت قصير وجهد قليل . وهذا الجانب الثقافي هنا يحتاج الى اجراء بعض التعديلات على شكله عند نقله ليتلاءم مع ظروف وأوضاع الوقت الراهن .

ولا شك أن تراث الحضارة الاسلامي تراث غني ، وينطوي على الكثير مما يمكن أن يستفاد منه في وقتنا الحاضر ، ويكون مصدرا من مصادر ثقافتنا الاسلامية الراهنة .

ثالثا : الانجازات الثقافية المحايدة للحضارات الأخرى *

الثقافة الاسلامية ثقافة تهدف الى كل خير حقيقي ، وتفتح ذراعيها لكل ما فيه منفعة حقيقية للانسان ، هذه الثقافة في صورتها العامة التي تشمل المبادئ والأسس والمنطلقات مستمدة بأكملها من الشريعة الاسلامية (راجع مفهوم الثقافة الاسلامية العامة فيما تقدم) ، أما الثقافة الاسلامية الخاصة ، أي التي تتعلق بالتعامل - على نحو تفصيلي - مع جانب محدد من الوجود ، كالتعامل مع النفس أو مع الوالدين أو الأبناء أو الأقارب أو الجيران أو مع جانب محدد من الكون الطبيعي كالتعامل مع مادة الحديد أو الخشب أو نبات معين أو التعامل مع آلة أو وسيلة بعينها كالتعامل مع السيارة وغير ذلك من جوانب الوجود المحددة مما يصعب حصره ؛ هذه الثقافة الخاصة ، وان كانت مبادئها وأسسها ومنطلقاتها مستمدة من الشريعة الاسلامية ، وأنه لا يجوز أن تخرج عنها أو تؤخذ من مصدر غيرها ، الا أن تفاصيل هذه الثقافة ، أي هذه المعرفة العملية ، ليست كلها موجودة في الشريعة ، فهناك كثير من جوانب الثقافة الخاصة مثل تعامل الانسان مع الله سبحانه وتعالى وتعامله مع نفسه ومع الآخرين سواء في نطاق الأسرة أو الجوار أو المجتمع وغير ذلك ، نجده موجودا في الشريعة الاسلامية على نحو تفصيلي ، وهناك جوانب أخرى من جوانب الثقافة الاسلامية الخاصة ، مثل التعامل مع الكون الطبيعي وبخاصة الأرض وما عليها ، والوسائل والأدوات ، قام الانسان بجهوده المتراكمة على مرّ العصور بتوضيحها ، كما هو الحال في أساليب

* كتبه د. عزمي طه السيد

الزراعة وأنواع المهن والصناعات المختلفة والوسائل والآلات التي ابتكرها الانسان وطورها جيلا بعد جيل .

وبعبارة موجزة الثقافة الاسلامية العامة كلها مستمدة من الشريعة أما الثقافة الاسلامية الخاصة (التي لا حصر لأنواعها) قسم منها موجود ومفصل في الشريعة الاسلامية ، وقسم آخر غير موجود فيها بصورة تفصيلية .

ما هو الموقف اذن حيال ما هو غير موجود في الشريعة الاسلامية من أنواع الثقافات الخاصة ؟ الجواب على هذا السؤال نجده في تاريخ الاسلام والثقافة الاسلامية منذ بدأ رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم بنشرهما وتعليمها للناس .

عندما جاء الاسلام كان العرب في مكة والمدينة وسائر أنحاء الجزيرة العربية يمارسون ثقافة وصفت في مجملها بأنها " جاهلية " ، فقد كانوا يتعاملون مع الله بطريقة ما، يعبدون الأصنام لتقربهم الى الله زلفى ، وكانوا يتعاملون مع أنفسهم ومع غيرهم بطرق معينة ، وكذلك مع الأدوات والوسائل ومع الغيب وسائر أجزاء الوجود الأخرى ، وكانت مهمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هي هداية العرب وكافة البشر الى الطريق الصحيح في التعامل مع الله ومع أنفسهم ومع الغير ومع بقية جوانب الوجود ، أي أن يعلمهم الثقافة الاسلامية ، وهذا ما كان : صحح الاسلام من خلال رسوله الكريم كل أنواع التعامل الخاطئة كعبادة الأصنام وشرب الخمر والربا ووأد البنات والظلم في المعاملات وغير ذلك كثير ، كما علمهم أمورا جديدة في التعامل لم تكن معروفة لديهم من قبل كالطهارة والعبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج وغيرها ، وبعض ما كانوا يمارسونه مما كان فيه خير ومنفعة أقره الرسول الكريم وأصبح باقرار الرسول له جزءا من الثقافة الاسلامية من ذلك خلق الكرم ، فقد أقرّه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله " **من كان يؤمن با لله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**" ، كما أقرهم على كثير من الممارسات وطرق التعامل مع الكون الطبيعي

وأجزائه مثل بناء المنازل وأساليب الزراعة والمهن المختلفة وغيرها ، بل انه كان يحثهم على استشارة أصحاب الاختصاص في بعض الممارسات المهنية ، فقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال :" مرضت ، فعادني رسول الله ، فقال لي: إئت الحارث بن كلدة أخا ثقيف ، فان يتطبب " ١

وبعد وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان خلفاؤه اذا رأوا أمرا أو طريقة في التعامل فيها خير ومنفعة للمسلمين ، سواء كانت تحل مشكلة يواجهونها أو تسهل عليهم قدرا مما يعانوه في انجاز أمر ما ، كانوا لا يترددون في الأخذ به ، وحث الناس على استخدامه في حياتهم وتعاملاتهم ، ومثال ذلك ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب حيث أمر بنقل نظام الدواوين الذي كان مستخدما في الحضارتين الفارسية والرومية قبل الاسلام، فاجتهد سيدنا عمر وحكم بأن استخدام هذا النظام فيه مصلحة للأمة ، ولذلك أخذ به وطبقه ، لكنه يجب أن ننتبه الى أن هذا النظام عند ادخاله الى مجال التطبيق في المجتمع الاسلامي قد جرت عليه بعض التعديلات الشكلية التي لا تمس الجوهر ، وذلك ليصبح النظام منسجما مع سياق الثقافة الاسلامية والممارسات الاسلامية وحتى لا يبدو غريبا وشاذا، ومن هذه التعديلات أنه جرى تعريبه ، أي استخدام اللغة العربية في تطبيقه بدلا من اللغات الفارسية أو الرومية .

ذكرنا هذا الموقف الذي كان من الثقافة الاسلامية في أول عهدها لأنه في جوهره ومبادئه هو نفس الموقف الذي يجب أن نقفه من المنجزات الثقافية المحايدة للحضارات الأخرى ، وهو موقف نحن اليوم في حاجة ماسة لمعرفته معرفة واعية ، حتى تظل ثقافتنا الاسلامية ثقافة شاملة ومتميزة ، فالحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الغربية تنتج اليوم الكثير من الآلات والوسائل وجوانب الثقافة (أي المعرفة العملية المتعلقة بالتعامل مع جوانب مختلفة من الوجود) ، وهم ينتجونها في ضوء

---

١ - علي الجندي وزميلاه ، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩، ص ٤٦

ظروف مجتمعاتهم وحاجاتها ، ونحن في هذا العصر لا نستطيع أن نغمض أعيننا عما يحدث في الحضارات الأخرى ، ولو أردنا ذلك ، فعلاقات الدول أصبحت متشابكة معقدة في هذا العصر الى درجة كبيرة ، لكما أننا لا نستطيع أن نأخذ من الحضارة الغربية أو غيرها كل ما تنتجه هذه الحضارات في مجال الثقافة، ولهذا كان الموقف الاسلامي هو ذلك الموقف المتمثل في موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وموقف سيدنا عمر رضي الله عنه والذي نلخصه في القواعد الآتية :

١- أن نعرف مشكلاتنا وما ينقصنا وما نحن بحاجة الى استكماله من جوانب الثقافة (أي جوانب التعامل المختلفة مع الوجود المحيط بنا).

٢- ان ننظر فيما لدى الحضارات الأخرى من منجزات ثقافية نظرة نقدية فاحصة وواعية، تكون الغاية منها تمييز واختيار ما يمكن أن يعيننا في حل مشكلاتنا أو استكمال ما لدينا من نقص أو تسهيل طرق تعاملاتنا ، وهذا النظر هو نظر علمي موضوعي يقوم به أصحاب الاختصاص في الموضوع المطروح .

٣- أن ننظر في الموضوع نظرا شرعيا نبين فيه هذا الأمر الذي نتوقع منه الفائدة والمصلحة والخير للناس، هل يعارض أخذه وممارسته أصلا من أصول الدين أو حكما ثابتا في الشريعة الاسلامية ، فان كان فيه شئ من ذلك وجب علينا تركه وعدم الأخذ به ، وان لم يكن فيه مخالفة أو معارضة ، أفتي بجواز الأخذ به وممارسته ، أو قد يكون الحكم الشرعي في بعض الحالات وجوب الأخذ بهذا الأمر ، وذلك وفقا لدرجة المصلحة التي يحققها هذا الأمر في حياة الناس .

٤- ولا بد بعد هذا كله من اجراء بعض التعديلات أو التغييرات على هذه الجوانب التي بان بالنظر العلمي الموضوعي والنظر الشرعي الحاجة الى الأخذ بها ، وذلك حتى تكون منسجمة مع الثقافة الاسلامية السائدة والممارسة في المجتمع الاسلامي ، فلا تبدو غريبة ناشزة أو شاذة، فنحن ان رأينا أخذ نظام اداري أو نظام في المحاسبة أو

معرفة عملية تتعلق بصناعة ما أو بالعلاج أو الزراعة أو غير ذلك من أمور ، فينبغي أن نجري شيئا من التعديل بالقدر الذي يجعلها تبدو منسجمة مع المجتمع الاسلامي والبيئة الاسلامية ، فليس صوابا ، في النظرة الحضارية ، أن تكون شركة أو مصنع أو مؤسسة في بلد عربي مسلم كل معاملاتها وسجلاتها والمحادثة بين العاملين فيها بلغة أجنبية بحجة أن النظام الاداري والمالي مأخوذ من بلد غربي ، لقد أشرنا الى ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب عندما نقله نظام الدواوين من تعريبه لها ، حتى لا يكون هذا النظام غريبا عن المجتمع الاسلامي وأهله ولغتهم .

هكذا ، وبمراعاة هذه القواعد المتقدمة يمكن أن تكون المنجزات الثقافية النافعة التي انجزتها حضارات أخرى غير حضارتنا وأمم أخرى غير أمتنا مصدرا من مصادر ثقافتنا الاسلامية ، ومثل هذا الأمر القائم على النظر العلمي والشرعي يختلف بطبيعته عن الغزو الثقافي ذاك الذي نفرضه حضارة أو ثقافة أخرى علينا بنيّة الهيمنة والسيطرة والعدوان وتكريس التبعية ، كما أنه ليس تقليدا للحضارات الأخرى لأنه أخذ عن بصيرة وعلى قدر الحاجة ، مما لا يتعارض مع مبادئ ثقافتنا الاسلامية منطلقاتها .

رابعا : العلم*

عندما نطلق لفظ " العلم "دون اضافات اليه ، فان المقصود هو العلم النظري ، وقد سبق لنا تعريف العلم عند الحديث عن الثقافة والعلم (راجع التعريف فيما تقدم) حيث أوضحنا أن العالم في العلم (النظري) يهتم بمعرفة حقائق الأشياء والموجودات المختلفة ، أي معرفة صفاتها الجوهرية وخصائصها الأساسية والعلل والأسباب المتعلقة بها وعلاقاتها بالموجودات الأخرى وما ينتج عنها من نتائج

* كتبه د.عزمي طه السيد

...، هذا هو في الدرجة الأولى وفي الأساس غرض العالم وغايته في علمه ؛ لكن هذا الغرض لم يكن على مر العصور غرضا مستقلا لذاته، وانما هو غرض لا بد من تحقيقه لأجل غاية أخرى وهي التعامل مع الأشياء والموجودات تعاملا صحيحا واعيا ، فقد عرف الانسان منذ أقدم العصور ، أنه لكي يستطيع التعامل على الوجه الصحيح مع الأشياء والموجودات التي تحيط به ، عليه أن يعرف طبيعتها وخصائصها وحقيقتها بقدر طاقته ، ومن هنا كانت أهمية العلم ومكانته العالية ، اذ بدونه يكون تعاملنا مع الأشياء والموجودات فعلا عشوائيا لا يسير على بينة أو هداية ، ولهذا كان الناس في مختلف مواقعهم يهرعون الى العلماء يسألونهم عن كيفية مواجهة المشكلات التي يواجهونها في حياتهم ، وعن أفضل الطرق في التعامل مع الأشياء والموجودات التي لا يعرفون كيف يتعاملون معها .

لقد نتج عن العلم ، منذ أقدم العصور ، ولا يزال ينتج عنه ، ثقافة جديدة في كل عصر (أي معرفة عملية تتعلق بتعامل الانسان مع الوجود المحيط به) فكان الأمر أنه كلما تقدم العلم في مجال من المجالات كلما ترتب على ذلك ظهور طرق وأساليب جديدة في التعامل ، أي ثقافة جديدة ، وفي هذا القرن الذي نعيشه شهدنا تقدما هائلا في العلم النظري تبعه أيضا تقدم هائل في العلم العملي والتطبيقي ، أي تقدم هائل في أساليب وطرق تعامل الانسان مع جوانب الوجود ، وبخاصة مع جانب الكون الطبيعي ومع جانب الأدوات والوسائل ، وقد أصبحت مهمة بعض العلماء هي تحويل العلم النظري ، من قوانين ومعادلات ونظريات ...، الى علم تطبيقي ، أي الى أساليب جديدة في التعامل مع بعض جوانب الوجود ، أو الى أدوات وآلات جديدة تسهل تعامل الانسان مع بعض جوانب الوجود وتجعله أكثر سهولة ودقة وجدوى .

وهكذا يكون العلم وسيلة أساسية تساعد الانسان على التعامل الصحيح مع هذا الوجود الذي يحيط به ، وسببا هاما يساعد الانسان على تحقيق الوظيفة التي

أرادها الله من خلق الانسان وهي عمارة الأرض على الوجه الأمثل ، كما أبانه الحق سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ ١ ولأهمية العلم هذه وجدنا الاسلام يحث على طلب العلم ، وكانت أول أية من القرآن الكريم نزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، هي قوله تعالى :﴿ **اقرأ** ﴾ ، وكانت مكانة العلماء غير مساوية ، لعلوها ، لمنزلة غير العلماء ، وهو ما يفيده قوله تعالى :﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟** ﴾ ٢

لكنه مما يؤسف له أن ما نتج من ثقافة عن العلم النظري لم تكن دائما ثقافة خيرة منسجمة مع غايات الدين الاسلامي ومقاصده ، بل كانت هذه النتائج في بعض الأحيان تهدف الى الشر وتكريس الظلم والاعتداء على الأبرياء ، وكان ضررها للانسان أكثر من نفعها ، ومن أمثلة هذه التطبيقات والأساليب : القنابل الذرية والنووية ، والأشعة الخطيرة التي أصبحت من أكبر مصادر الخطر على الحياة الانسانية على هذه الأرض وغير ذلك كثير.

من هنا فان الثقافة الاسلامية لا تأخذ من نتائج العلم وأساليبه الجديدة الا ما كان فيه خير للانسان ، وكان منسجما مع مقاصد الشريعة الاسلامية ومبادئ الثقافة الاسلامية ومنطلقاتها، فعلى سبيل المثال ، ظهر نتيجة التقدم في علم الوراثة أساليب جديدة في معالجة العقم ، كطريقة أطفال الأنابيب وغيرها ، والثقافة الاسلامية لا تأخذ من هذه الأساليب الا ما كان فيه منفعة ومصلحة للناس وكان لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية ومبادئها العامة .

والحق أن على المجتمع المسلم أن يشجع العلم والعلماء ليصلوا الى ابتكار ثقافة جديدة تكون رافدا باستمرار للثقافة الاسلامية ، دون أن يكون ما يصلوا اليه ويسعون

---

١ - هود ٦١

٢ - الزمر ٩

نحو تحقيقه من طرق التعامل مع الوجود ، متعارضـا مـع أحكـام الشـريعة الاسـلامية – كما أشرنا آنفا – ، فتطبيق العلـم ينبغي أن لا يكـون بـلا قيـود أو ضوابـط ، وانمـا ينبغـي أن يكون مهتديا بهدي الله الذي هـو الهـدى المتضمـن في الاسـلام وفي مبادئـه وقواعـده وأحكامه ، حتى لا يتحول الى وسيلة للشر ووسيلة لاتعاس الانسان بدلا من أن يكون وسيلة لتحقيق خيره وسعادته .

خصائص الثقافة الاسلامية *

ان الناظر المتأمل في الثقافة الاسلامية وفي مصادرها يجد أن لها مـن الخصـائص والميزات ما تنفرد بـه عـن غيرهـا مـن الثقافـات ، فالثقافـة الاسـلامية – كمـا ورد في تحديدها – مستمدة من الشريعة الاسلامية ومؤسسة على عقيدة الاسـلام ، ومـن هنـا تأتي الخاصية الكبرى للثقافة الاسلامية وكل الميزات والخصائص الأخـرى ، ونعـني أن هذه الثقافة ترجع في مصدرها الأساسي الى الله سبحانه وتعالى خالق الانسان وخـالق كل شيء . ومنزل العقيدة والشريعة الاسلامية للناس كافة . فمـيزة الثقافـة الاسـلامية الكبرى أنها إلهية المصدر ، أما بقية الميزات والخصائص فهـي نتيجـة منطقيـة تـلزم عـن هذه الخاصية الكبرى وسنقصر الحديث عن الخصائص التالية :

إلهيـة المصـدر ، الوسـطية ، الانسـانية " العمـوم والعالميـة " ، الشـمـول ، التوازن ، الايجابية ، موافقتها للعقل والعاطفة ، الواقعية ، الثبات والمرونة .

١– إلهية المصدر

ان المصدر الرئيس للثقافة الاسلامية هـو الشريعة الاسـلامية الـتي تقـوم علـى القرآن الكريـم والسـنة النبويـة الشـريفة ، وكلاهمـا مـن عنـد الله سـبحانه وتعـالى ،

* كتبه د.نصر البنا

تلقاهما الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم فبلغ الرسالة وعلم الأمة ما أوحاه اليه خالقه جل وعلا .

إن كون الثقافة الاسلامية إلهية المصدر ، يعني الشيء الكثير ، لأن الثقافة الأكمل التي تبين للانسان كيف يتعامل في هذه الحياة مع الجوانب المختلفة للوجود الذي يعيش فيه ، ينبغي أن تكون صادرة عن الله الذي يعلم حقيقة الانسان وحقيقة الوجود علما كاملا لأنه خالق الانسان ، وخالق الوجود بأسره سبحانه وتعالى . والثقافة الاسلامية هي الثقافة الوحيدة التي ترتد مصادرها كلها الى الله سبحانه وتعالى ولذلك كانت هي الثقافة الأكمل والأصوب والأصلح للانسان .

وسوف نجد أن بقية الخصائص التي اتصفت بها الثقافة الاسلامية تابعة لهذه الخصيصة ، وأنها ما كانت لتكون لو لم تكن هذه الثقافة إلهية المصدر .[1]

٢- الوسطية

ان الاسلام دين الوسط في كل شيء في عقيدته ، وشريعته ، وشعائره ، في نظرته للفرد والمجتمع ، دين يرفض التطرف في كل شيء حتى في العبادة .

دين يأمر بالعبادة من جهة ، ويجعل السعي في طلب المعاش والعمل من أجل الدنيا عبادة قال تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[3] وقال عز وجل : ﴿ **يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ﴾[4]

دين وسط في عقيدته بين أولئك الذين نفوا الإله وجعلوا الحياة مادة وهم الدهريون الذين

---

[1] - مدخل جديد الى الثقافة الاسلامية ، د.عزمي طه السيد أحمد ، ص ٥٦-٥٧ (بتصرف)

[2] - القصص ٧٧

[3] - الحجر ٩٩

[4] - المزمل ١-٤

قالوا ما هي الا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر . وبين أولئك الذين عددوا الإلهة وأشركوا مع الله غيره ممن لا يستحق أن يعبد . دين جاء بعقيدة التوحيد الخالص ، وبين أنه لا أحد يستحق العبادة مهما سمت مكانته أو علت درجته مهما قلت أو كثرت تلك العبادة ، وهذا ما يؤكد المسلم في كل ركعة في صلواته بقوله مخاطبا الله سبحانه وتعالى : " **إياك نعبد وإياك نستعين** ".

فالثقافة الاسلامية المستمدة من الشريعة الاسلامية ودين الاسلام هي ثقافة تتصف بالوسطية والاعتدال بلا تطرف نحو الافراط أو التفريط ، وما كانت هذه الثقافة كذلك لو كانت من عند غير الله .

٣ – الانسانية

ان الثقافة الاسلامية لم تكن في يوم من الأيام ثقافة خاصة بفئة دون فئة أو بجماعة دون جماعة بل هي عامة منذ لحظتها الأولى ونجد هذا العموم واضحا في الآيات القرآنية التي تخاطب الناس جميعا بيا أيها الناس ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** ﴾ ١ وقال : ﴿ **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾٢ وقال جل وعلا مخاطبا نبيه ﴿ **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** ﴾ ٣ وقال : ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** ﴾ ٤ وفي حديث جابر بن عبدالله قال " ... **وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة** " ٥.

---

١ – النساء ١

٢ – الحجرات ١٣

٣ – الأنبياء ١٠٧

٤ – الفرقان ١

٥ – انظر في عموم رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام . شرح العقيدة الطحاوية ١٧٦–١٧٨، صحيح مسلم كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس ٧٥/١

وعندما نقول : انها ثقافة انسانية فاننا نعني بأنها تلائم كل انسـان في المجتمـع دون تمييز أو تفريق على اساس الجنس ، أو العنصر ، أو اللون أو الدم بل هـذه الأمـور لا تعتبر في ميزان الاسلام .

ان هذه الثقافة تنظر الى جميع أفراد البشر على أنهم متساوون في أصل الخلقـه وأن التفاضل بينهم بالتقوى قال تبارك وتعالى : ﴿ **يا أيها الناس انّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا ، وقبائل لتعارفوا ان أكرمكـم عنـد الله أتقـاكم** ﴾ [١] وفي خطبة الوداع قام عليه السلام خطيبا ومودعا ومعلما فقال : " **ان الله عـز وجـل قـد أذهب عنكم عُبِّيَّة** [٢] **الجاهلية وفخرها بالآباء : مؤمن تقي ، وفاجر شقي أنتم بنـو آدم وآدم من تراب ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوامهم هم فحم من فحم جهنـم ، هـم أهون على الله من الجعلان تدفع النتن بانوفها** " [٣]

بل نجـد أن الله جـل وعـلا عـاتب نبيه عندمـا أشـاح بوجهـه عـن أحـد أصحابه طمعا في ايمان فئة من أهل مكة ، قـال تعـال :﴿ **عبـس وتـولى أن جـاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى** ﴾ [٤]

وأصحاب النبي عليه السلام لم يكونوا من قريش فحسب ، بل كانوا مـن قبائل مختلفة وأجناس شتى فأبو بكر قرشي ، وأبو هريـره دوسـي ، وعبـدالله بـن مسعود هذلي وبلال حبشي وصهيب رومي ، وسلمان فارسـي وأبـو ذر غفـاري وغيرهم وغيرهم كثير ، وعلى الرغم مـن اختـلاف القبـائل والأجنـاس فـان الـود

---

١ - الحجرات ١٣

٢ - الكبر والنخوة ومعناه ان الناس رجلان : مؤمن تقي وهو الخير الفاضل وان لم يكن حسيبا في قومه ، وفاجر شقي وهو الدنئ ، وان كان في أهله شريفا رفيعا . انظر معالم السنن ١٦/٨

٣ - رواه أبو داود في الأدب باب التفاخر في الاحساب ، والترمذي في المناقب واحمد في مسنده ٢/ ٣٦١، ٥٢٤

٤ - عبس ١-٤

والاحترام كان هو السائد بينهم ونظرة التبجيل هي المسيطرة عليهم قال عز شأنه : ﴿ **وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾[1]

والحضارة الاسلامية على مر تاريخها الطويل لم تكن حضارة عربية خالصة بل ساهم فيها أبناء الحضارات الأخرى بعد أن اصطبغوا بصبغة الاسلام والايمان فأشهر أئمة أهل العلم بخاري أو سجستاني أو قزويني أو نسائي .

والانسانية لا توجد في ثقافة غير ثقافتنا الاسلامية وذلك لاننا نجد الثقافات الأخرى تنطلق من نزعة عنصرية وعلى سبيل المثال :

فالثقافة الغربية تنطلق من نزعة عنصرية تتميز فيها الشعوب الأوربية الغربية على الشعوب الأخرى [2] ، فالشعب الأوربي ينتمي الى الجنس الآري الذي يتفوق في أصل خلقته وتكوينه على الشعوب الأخرى .

والثقافة الألمانية النازية جعلت الجنس الجرماني هو الجنس الذي تجري فيه الدماء الزرقاء و لم يختلط بغيره بزعمهم وجعلت العرب في الدرجة الثالثة عشرة .

والثقافة اليهودية لا تصلح أن تكون ثقافة عالمية حيث أنهم ينظرون الى شعوب الأرض قاطبة على أنهم حيوانات (وجوييم) ولكنها خلقت على شكل انسان ليسهل عليهم استخدامهم لأنهم يزعمون شعب الله المختار ، وهم أحفاد الأسباط .[3]

والثقافة البرهمية قسمت المجتمع الى طبقات أربع وليس لأحد أن ينتقل من الطبقة التي ولد فيها الى غيرها مهما سمت درجته وعلت منزلته هذه الطبقات هي :

---

١ الأنفال ٦٣

٢ مدخل جديد للثقافة الاسلامية ، د. عزمي طه السيد ، ص٥٩

٣ الثقافة الاسلامية : أحمد نوفل ، ص ٤٢

البراهمة ورجال الجيش ، وكبار التجار والمزارعين ، وطبقة العمال المسحوقة التي يرون أن الإله فشنو خلقها من رجليه .

أما الثقافة الاسلامية فقد محت هذا التمايز من اللحظة الأولى وهذا ما حدا بعمر رضي الله عنه أن يقول سيدنا أعتق سيدنا ويقصد بالأول أبا بكر وبالثاني بلالا الحبشي [1] . بل أزالت التمايز ازالة كاملة بما شرعت من عبادات لا تتأتى الا بجماعة يقف كل فرد بجوار الآخر بلا أي تمايز مالي أو طبقي ، أو لوني ألا وهي عبادة الصلاة والصيام التي تكون فرضيته على جميع القادرين في المجتمع من المسلمين ومثل ذلك الحج .

وللانسانية معنى آخر يتداوله المفكرون ، وهو أن ما هو انساني هو ملائم للانسان ويكمل وجوده ويرقيه ، وما هو غير انساني يعيق نمو الانسان ويعيق تكميله ويمنع السمو بحياته ، والثقافة الاسلامية انسانية بهذا المعنى ، فكل ما فيها من طرق التعامل سواء في تعامل الانسان مع خالقه أو مع نفسه أو مع الآخرين أو مع الوجود من حوله ، يجده الناظر المنصف أنه يهدف لتكميل الوجود الانساني وترقية الحياة الانسانية والسمو بها الى أعلى درجة ممكنة للانسان [2].

٤- الشمول

ان الثقافة التي تستمد مقوماتها وخصائصها من الشريعة الاسلامية لا بد أن تكون شاملة لكل ما يحتاجه الانسان سواء عن الإله وحقيقته ، والكون وحقيقته والانسان وحقيقته وكيفية ومبادئ التعامل مع الله والكون ومع الانسان . والقرآن الكريم عرف الانسان بحقيقة الإله تعريفا كاملا ووضح ذلك توضيحا لا يمكن أن يزاد عليه ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا**

---

١ - د.يوسف القرضاوي ، خصائص الاسلام العامة ص ١٠٣

٢ - أنظر : د.عزمي طه السيد ، مدخل جديد الى الثقافة الاسلامية ، ص ٥٩ (بتصرف)

أحد ﴾ [1] ، ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين**﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ **الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾ [3] كما وضح كيف ينبغي أن يتعامل الانسان مع الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق كل شيء .

كما عرّف الله الانسان بحقيقة الكون وخصائصه الكبرى ودلالته على الخالق وتسخيره وما فيه لخدمة الانسان [4] وأن هذا الكون بكل شموسه وأقماره بل وكل وجوده انما هو مخلوق لله وليس له من الألوهية شيء .

قال تعالى :﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلو لله أندادا وأنتم تعلمون** ﴾ [5]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون** ﴾ [6] ، كما بين القرآن الكريم للانسان المبادئ التي عليه أن يتعامل مع الكون وفقا لها .

وعرّف القرآن الكريم الانسان بحقيقته والغاية من خلقه وأجاب عن الأسئلة الثلاثة المحيرة : من أنا ؟ لماذا خلقت ؟ الى أين المصير ؟

---

١ – الاخلاص

٢ – الفاتحة

٣ – البقرة ٢٥٥

٤ – خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ، ١٧٠ بتصرف

٥ – البقرة ٢١، ٢٢

٦ – فصلت ٣٧

فالله هو الذي يعلم حقيقة الانسان علما كاملا لا مزيد عليه ، فهو الذي خلقه ويعلم فطرته وغريزته ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [1]

فعن خلق الانسان وتكوينه قال سبحانه وتعالى :﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ [2] وقال سبحانه وتعالى أيضا ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإٍ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ [3]

وعن الغاية من خلق الانسان والجان والكون قال :﴿ **وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ [5] وعن تكريم الانسان وتسخير الكون وما فيه له قال : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم .... الآية** ﴾ [6] وعن مهمة الانسان في هذه الحياة قال تعالى : ﴿ **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ [7]

كما بين القرآن الكريم والسنة النبوية كيفية تعامل الانسان مع نفسه ومع غيره من بني الانسان ووضح له المبادئ والأسس لهذا التعامل .

فالثقافة الاسلامية شاملة النواحي لجميع ما يلزم الانسان من معرفة نظرية وعملية في تعامله مع جميع جوانب الوجود في حياته التي يحياها في هذه الدنيا .

---

[1] - الملك ١٤

[2] - المؤمنون ١٢-١٦

[3] - الحجر ٢٦-٢٧

[5] - الذاريات ٥٦-٥٨

[6] - الاسراء ٧٠

[7] - البقرة ٣٠

٥ – التوازن

ان الناظر الى الثقافة الاسلامية في شمولها الذي تقدم بيانه آنفا ، يجد أنه شمول متوازن . لا يطغى فيه جانب على جانب على خلاف ما يراه الناظر مثلا الى الثقافات الأخرى ، فالثقافة الغربية اعتنت بعالم المشاهدة ، وأهملت عالم الغيب اعتنت بجسد الانسان ورفاهيته المادية، وأهملت روحه ، والناظر الى الثقافة اليهودية يجد أن الجانب المادي طغى على الجانب الروحي بل جعلت للجانب المادي النصيب الأكبر .

ان مسألة تحقيق التوازن في تعامل الانسان مع أجزاء الكون المختلفة حيث لا يميل الانسان مع جانب على حساب الجوانب الأخرى هو أمر في غاية الصعوبة ولو ترك أمر تقدير هذا التوازن للانسان وحده لما تحقق هذا التوازن ولذلك فانه يشترط فيمن يريد أن يتصدى لهذا الأمر شروط منها :

١– أن يكون مجردا عن الهوى غير متأثر ببيئة معينة .

٢ - أن يكون على علم تام وكامل بحقيقة أجزاء الكون المختلفة .

وكلاهما غير متوفر بالانسان [١] .

ولما كان لا بد من توفر هذه الشروط فيما يريد اقامة هذا التوازن وأن هذه الشروط غير متوفرة بالانسان ، فان الله جل وعلا هو الذي أقام هذا التوازن وذلك نعمه التام والكامل بأجزاء الكون المختلفة ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[٢] وكذلك فان الخلق كلهم بالنسبة له سواء فلن يحابي أحدا على حساب أحد ولما كان متجردا عن الهوى أقام ذلك التوازن الدقيق بين الكون والانسان والحياة .

ويظهر هذا التوازن في جوانب لا حصر لها ، نذكر منها :

---

[١] – مدخل جديد الى الثقافة الاسلامية ، د.عزمي طه ، ص ٥٧ (بتصرف)

[٢] الملك ١٤

توازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة فلا يطغى جانب الغيب على جانب المشاهدة ولا الشهادة على الغيب بل كل منهما يعتبر متمما للآخر .

- توازن بين الحاكم وأفراد رعيته فلا يطغى جانب على جانب فالحاكم له السمع والطاعة والأمة عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعن تميم بن أوس الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** "[1]

- توازن في التحليل والتحريم فهو لم يسرف في التحريم كالديانة اليهودية ﴿ **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل** ﴾ [2] وبين المسيحية التي أسرفت في الاباحة حتى أحلت كثيرا من الأشياء المنصوص عليها في التوراة [3] كالخنزير والربا ، أما الاسلام فقد جعل التحليل والتحريم حقا لله جل وعلا فلا يجوز لأحد أن ينازعه هذا الحق قال تعالى :﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** ﴾ [4]

بل نجد أن الشريعة ما أباحت شيئا الا كان طيبا وفيه منفعة ، وما حرمت شيئا الا كان خبيثا وفيه مضرة قال تعالى : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ [5]

---

[1] - صحيح مسلم ٤٢/١ ورواه البخاري معلقا باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة ٣٦/١

[2] - النساء ١٦٠-١٦١

[3] - خصائص الاسلام العامة ١٤٦

[4] - النحل ١١٦

[5] - الأعراف ١٥٧

– توازن بين حاجات الفرد وحاجات الجماعة فهو أكرم الفرد كفرد وأكرم الجماعة كجماعة ، وجعل للفرد حقوقا وعليه واجبات وجعل أيضا للجماعة حقوقا وعليها واجبات ، لم يجعل الفرد فردا متسلطا على الجماعة يسومها سوء العذاب بدعوى الحرية الشخصية أو يجعل الفرد كمسنن في ترس عليه أن يدور اذا دار الترس ويتوقف اذا توقف الترس و لم يقم عداء بين الفرد والجماعة بل جعل المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٦ – الايجابية

من خصائص الثقافة الاسلامية : الايجابية الفاعلة في علاقة الله سبحانه وتعالى بالكون والحياة والانسان ، الايجابية الفاعلة كذلك في حياة الانسان ذاته في حدود المجال الانساني [١].

ان الناظر المتأمل لصفات الله تبارك وتعالى يجدها جميعها صفات ايجابية :

قال تعالى : ﴿ **الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض** ﴾ [٢] وقال:﴿ **وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير** ﴾[٣] وقال :﴿ **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فهو على كل شيء قدير** ﴾ [٤] وقال :﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم** ﴾ [٥]

---

[١] – خصائص التصور الاسلامي ٢٤٥

[٢] – البقرة ٢٥٥

[٣] – الأنعام ١٨

[٤] – الأنعام ١٧

[٥] – المجادلة ٧

إن هذه الايجابية في علاقة الله سبحانه وتعالى بخلائقه كلها هي مفرق الطريق بين العقيدة الجدية المؤثرة والعقيدة الصورية السلبية وشمول هذه العقيدة وتوحدها [1] وفرق كبير بين انسان يتصور أن إلهه لا يحفل به ولا يحس بوجوده ولا يعلم به أصلا وإنسان يعتقد أن إلهه يراه ويسمعه وهو خالقه ومالك أمره ويكلؤه برعايته وعنايته .[2]

وفرق كبير بين انسان يتعامل مع إله كريم عادل رحيم يكره الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبين انسان ينظر الى خالقه نظرة مليئة بالتشاؤم والعداء .

قال تعالى : ﴿ **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ [3] وقال : ﴿ **قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق** ﴾ [4] وبين انسان يتعامل مع اله يأمره بالفحشاء والمنكر قال تعالى : ﴿ **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾[5]

وفرق كبير بين انسان يتعامل مع إله واحد صرف حبه وطاعته وعبادته وتوكله وتوجهه اليه وبين انسان يتعامل مع آلهة متعددة ان رضي عنه بعضها ؛ أسخط البعض الآخر ، وان توجه الى بعضها عاتبه الآخرون . قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا للّه** ﴾ [6] وقال : ﴿ **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .[7]

---

[1] - خصائص التصور الاسلامي ٢٥٣

[2] - خصائص التصور الاسلامي ٢٥٣ بتصرف

[3] - الانعام ١٥١

[4] - الأعراف ٣٣

[5] - الأعراف ٢٨

[6] - البقرة ١٦٥

[7] - الزمر ٢٩

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذه الآية ضربت مثلا للمشـرك والمخلص ولما كان هذا المثل ظاهرا جليا قال الحمد لله [1] .

وأخيرا فهناك فرق هائل بين انسان يظن أن آلهة الطبيعة الخرساء التي لا تطالبه بعقيدة ولا شعيرة ولا منهج ولا نظام حياة ولا خلـق ولا أدب ولا ضمير ولا سـلوك ولا تحس لوجوده أصلا ... ولا تحاسب من ثم على خير أو شر وانسان يعرف أن إلهه الله الحي القيوم الذي لا يموت ، الصمد المقصود بالحاجات الرقيب الذي لا يغفل ولا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، الحسيب الـذي لا ينسـى ، العـادل الـذي لا يظلـم الرحيـم الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء [2] .

قال تعال :﴿ **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسـه ونحـن أقـرب اليه من حبـل الوريـد** ﴾ [3] وقـــال ﴿ **ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** ﴾ [4]

هذه الايجابية هي التي جمعت بين القلوب المختلفة فوحدتها وجعلتهـا تشـكل خير أمة أخرجت للناس فوحدت لهـا الغايـات والأهـداف ، وأقـامت دولـة العـدل في خلال فترة وجيزة حارت العقول فيها ، فخـرج العرب مـن جزيرتهـم وأقـاموا دولـة العدل على أشلاء أقوى دولتين آنذاك " الروم ، وفارس " .

هذه الايجابية تتمثل في قول ربعي بن عامر عندما سأله رستم من ابتعثكم وما جاء بكم فقال ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العبـاد الى عبـادة رب العبـاد ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعـة الدنيا والآخرة [5] .

---

[1] – تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢ ، تيسير الكريم الرحمن ٣١/٧ عبدالرحمن ناصر السعدي

[2] – خصائص التصور الاسلامي ٢٥٥-٢٥٦ بتصرف

[3] – سورة ق ١٦

[4] – سورة ق ١٨

[5] –المنتظم ، ابن الجوزي ٤/ ١٦٧، ١٦٨ ، البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣٩/٧

والقرآن كله معرض هذه الايجابية وهي أساس التصور الاسلامي بعد التوحيد فالتوحيد يمتاز بأنه توحيد الفاعلية والتأثير وليس مجرد التوحيد السلبي كما يصفه أرسطو .[1]

والايجابية الثانية ايجابية الانسان مع الكون وايجابية المؤمن بهذه العقيدة وبالثقافة الاسلامية في واقع الحياة على وجه خاص ، ان هذا التصور ما يكاد يستقر في الضمير حتى يتحرك ليحقق مدلوله في صورة عملية ويترجم ذاته في حالة واقعية والمؤمن بهذا الدين ما يكاد يستقر الايمان في ضميره حتى يحس أنه قوة فاعلة مؤثرة فاعلة في ذات نفسه وفي الكون وفي المجتمع [2] .

﴿ والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [3] وقال تعالى : **﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾** [4] وقال : **﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾** [5] .

فالثقافة الاسلامية ثقافة تدعو الى كل خير وبر وتعاون عليه ، تدعو الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمبادرة الى كل احسان وخير وعمل نافع .

٧ – موافقتها للعقل والفطرة

موافقة الثقافة الاسلامية للعقل تعني أن كل ما ورد في هذه الثقافة لا يتعارض مع أحكام العقل السليم وأنها يمكن أن تفهم وتوضح في ضوء مقاييسه ، سواء كانت

---

١ – خصائص التصور الاسلامي ٢٦٢

٢ – خصائص التصور الاسلامي ٢٦٢ بتصرف

٣ – العصر ١–٣

٤ – التين ٦

٥ – الحجرات ١٥

هذه المعايير هي معايير المنطق والبرهان والدليل المقنع أو معيار مصلحة الانسان ومنفعته كنوع انساني أو كجماعة أو كأفراد ، فكل أمر أو نهي أو توجيه في هذه الثقافة ، ذات المصدر الإلهي ، يمكن أن يبرره العقل ، وهذا ما فعله الكثيرون من العلماء المسلمين في الماضي ، ولا يزالون يمارسونه حتى الآن ، فقد قدموا تفسيرات عقلية ، تعتمد أساليب المنطق والبرهان لتوضيح ما ورد في هذه الثقافة الاسلامية من أوامر ونواه وتوجيهات ومعلومات مختلفة . قال تعالى :﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [1]

والثقافة الاسلامية موافقة لفطرة الانسان بكل ما تشتمل عليه من معرفة كامنة بالله سبحانه وتعالى ، ووجدانيته في ذاته وربوبيته ، وبما تشتمل عليه هذه الفطرة من غرائز مختلفة ، فهي قد نبهت هذه الفطرة التي تنطوي على معرفة كامنة بالله سبحانه وتعالى ، وذكرتها بربوبية الله سبحانه وتعالى لها ، كما أنها في تعاملها مع الغرائز والشهوات الفطرية لم تقمعها ، ولم تترك لها العناية ، بل هذبتها وضبطتها حتى تتمكن هذه الغرائز من مساعدة الانسان على القيام بمسؤولياته التي طلبها منه خالقه في هذه الحياة . قال تعالى :﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [2]

٨- الواقعية

نقصد بالواقعية مراعاة واقع الكون من حيث حقيقته ووجوده ، وكذلك مراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر ، قال تعالى : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم**

[1] - الذاريات ٢٠-٢١

[2] - الروم ٣٠

أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ [1] وكذلك مراعاة واقع الانسان من حيث هو مزدوج الطبيعة فهو نفحة من روح الله في غلالة [2] من طين ، ومن واقعية الثقافة الاسلامية في التعامل مع الانسان أنها لا تكلفه فوق طاقته ولا تحمله فوق قدرته ، وهي لا تطلب منه أن يكون ملاكا من الملائكة لا يعصي أبدا وكذلك نهته أن يكون هابطا في مستواه هبوط الطين الى الأرض قال تعالى : **﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾** [3] وفي الحديث قال الله قد فعلت [4] . وقال عز وجل **﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾** [5] وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم "** [6] ونجد واقعية الثقافة الاسلامية في نواح أخرى تشمل كل جوانب حياة الانسان .

فهناك الواقعية في العقيدة التي تقوم عليها هذه الثقافة ، لأن هذه العقيدة تصف حقائق قائمة في الوجود وليست عقائد مستمدة من عالم الخيال ، لا أثر لها في الكون ، والقرآن الكريم عندما وصف الاله وصفه بكل الصفات الايجابية قال تعالى : **﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾** [7] فرد في

---

[1] - الملك ١ ، ٢

[2] - الغلالة شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أنظر مختار الصحاح ٤٧٩ مادة غلل

[3] - البقرة ٢٨٦

[4] - انظر تفسير الآية في فتح القدير ٣٠٦/١ ، ٣٠٧ وصحيح مسلم ٦٥/١ كتاب الايمان باب صدق الايمان

[5] - البقرة ١٨٥

[6] - رواه مسلم كتاب التوبة حديث ١١ وأحمد في مسنده ٣٠٩/٢

[7] - الاخلاص

ذلك على كافة الفرق المنحرفة التي أعطت تصورا خاطئا عن الإله ، إما بجعل شريك له ، أو ابن ، أو مماثل وظهير فبين القرآن الكريم أن الله جل وعلا أحد في ذاته وفي صفاته بل ذاته ليست كذوات المخلوقات ولا صفاته كصفاتهم قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [١] وقال عز وجل :﴿ **الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾ [٢] بل ونجد أن الله وصف نفسه بالرحمة لمن كان أهلا لها قال تعالى ﴿ **والهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم** ﴾ [٣] وقال تعالى ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ [٤] ، وكذلك وصف نفسه بالعزة والانتقام لمن أراد أن يخالف نهيه ومنهجه قال تعالى ﴿ **والله عزيز ذو انتقام** ﴾ [٥] وقال عز وجل ﴿ **وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير** ﴾ [٦]

ونجد مثل هذه الواقعية في توضيح حقيقة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنهم لا يتميزون عن الناس الا بما فضلهم الله به من الوحي والرسالة ، أما سائر النواحي البشرية فهم كغيرهم يأكلون ويشربون ، يفرحون ويحزنون ، ويصيبهم ما يصيب البشر من الأذى وقد تحدث القرآن الكريم عن قتل بعض الأنبياء من قبل أقوامهم ، وعن بشرية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى :﴿ **قل انما أنا**

---

١ - الشورى ١١

٢ - البقرة ٢٥٥

٣ - البقرة ١٦٣

٤ - آل عمران ٣١

٥ - آل عمران ٤

٦ - الأنعام ١٨

بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [1] وقال عز وجل :**﴿ وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾** [2] وعن بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام قال عز وجل :**﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾** [3] .

ونجد مثل هذه الواقعية في كل جوانب العقيدة الأخرى .

وهناك واقعية العبادة حيث راعى الاسلام ظروف الأفراد وحياتهم واحتياجاتهم المعيشية فهو لم يكلفهم فوق طاقتهم وقدرتهم ويجعل عليهم الحرج والمشقة في أدائهم لعبادتهم ، بل من ميزات التشريع في الاسلام رفع الحرج قال تعالى: **﴿ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ﴾** [4] وقال تعالى **﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾** [5] وتظهر واقعية العبادة في نواح متعددة من ذلك تعدد العبادات وتنوعها وما شرع فيها من رخص رفعا للحرج والعسر .

ونجد واقعية الثقافة الاسلامية في ميدان الأخلاق ، الأخلاق في الاسلام ليست أخلاقا نفعية وقتية وليست على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة كالمذهب الميكافيللي المعروف ، بل هي اخلاق واحدة في جميع الأحوال مع الأقارب والأباعد مع الأصحاب والأعداء ، والقرآن الكريم يحث على هذا المبدأ ، يقول عز وجل:**﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما**

---

[1] - الكهف ١١٠

[2] - الفرقان ٧

[3] - الفرقان ٢٠

[4] - البقرة ٢٨٦

[5] - الحج ٧٨

تعملون ﴾ [١] . وقال تعالى :**﴿ لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾** [٢] .

ومن واقعية الأخلاق في الثقافة الاسلامية أنها أقرت التعاون على البر والخير بين الأفراد ، وعلمت أن الأفراد ليسوا على درجة واحدة من التقوى فهي لا تطلب منهم أن يكونوا ملائكة لا يخطئون ، لكنها بينت طريق التوبة للمخطئ حتى لا يتمادى في خطئه قال تعالى : **﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾** [٣] ومن واقعية الأخلاق أنها راعت الظروف الاستثنائية للانسان فأباحت له الكذب في الحرب لخداع العدو وتضليله عن حقيقة جيش المسلمين .

فواقعية الثقافة الاسلامية ليست تبريرا للواقع الفاسد وانما واقعية تلائم الواقع الذي فطر عليه الانسان والواقع الذي يحيط بالانسان ملائمة تسمو بالانسان وحياته لتصل الى الكمال الانساني .

٩- الثبات والمرونة

تبين الثقافة الاسلامية للانسان - كما تقدم بيانه - مبادئ وطرق تعامله في الحياة مع نفسه ومع الآخرين ومع الكون الذي يعيش فيه ويحيط به ومع خالقه وخالق كل شيء سبحانه وتعالى .

وهذه الثقافة إلهية المصدر ، ولذلك كانت أكمل الثقافات لأنها ترجع في مبادئها وأسسها وتفصيلاتها الى الخالق سبحانه الذي يعلم حقيقة ما خلقه وطبيعتهم وما يلائم هذه الطبيعة ويحقق لها خيرها .

---

١ المائدة ٨

٢ - الأنعام ١٥٢

٣ - آل عمران ١٣٥

والناظر الى الانسان والى الكون وكافة المخلوقات يصل به نظره وتفكيره الى أن حقيقة الذات الالهية ثابتة منزهة عن التغيير - وان كنا لا نعرف كنه هذه الذات الإلهية - ، والى أن للانسان طبيعة وفطرة وغرائز ثابتة ومتشابهة في جوهرها لدى بني البشر منذ أن كانوا ، على اختلاف أجناسهم وأقطارهم ، والى أن هذا الكون الذي يعيش فيه الانسان له قوانين ثابتة برغم ما يجري فيه من تبدل مظاهره وأحواله، وكذلك الناظر الى الحياة الانسانية يجد أن أحوالهاوأساليبها ومشكلاتها تختلف من مكان لآخر ومن زمان الى زمان .

لهذا كله شاء الله أن تكون الثقافة الاسلامية ملائمة لكل هذه الاعتبارات ، فيكون في تعامله ثبات مع الأمور الثابتة ومرونة مع الأمور القابلة للتغير والتبدل ، وهذا ما نجده بالفعل في ثقافتنا الاسلامية .

هناك ثبات نجده في المجالات الآتية :

أولا : في تعامل الانسان مع الخالق سبحانه وتعالى ، هذا التعامل الذي يتجلى في : الايمان والاعتقاد بوجود الله وبكل ما طلب الله من الانسان أن يؤمن به - لما سيأتي بيانه فيما بعد - وأصول هذا الاعتقاد بينتها أكثر من آية كريمة وحديث شريف ، من ذلك قوله تعالى :﴿ **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربّه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ [1]

وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حديث عمر وأبي هريرة حيث قال : " **الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** " .

هذه الأركان والأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية فيها الثبات الكامل وذلك لأنها - كما أشرنا آنفا - متعلقة بالتعامل مع ذات ثابتة منزهة عن التغير ، لذا

١- البقرة ٢٨٥

فهي لا تقبل المرونة أبدا ، وكذلك لا تقبل المهادنة والمداهنة . وقد بين الله سبحانه هذا المعنى بقوله تعالى :﴿ ودّوا لو تدهن فيدهنون ﴾ . ولما طلب كفار مكة من الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه أن يعبد إلههم سنة ويعبدوا إلهه سنة ، أمر الله سبحانه وتعالى أن يرفض هذا الطلب رفضا قاطعا لا مرونة فيه وذلك في قول الله تبارك وتعالى :﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ [1] .

ويتجلى ثبات الثقافة الاسلامية في تعامل الانسان مع الخالق في أسس العبادات ؛ فالعلاقة التي تقوم بين الانسان وخالقه هي علاقة العبودية الكاملة ، فالإله إله والعبد عبد ، وتنظيم تلك العلاقة بما افترضه الله من عبادات على الانسان قائمة على الثبات أيضا فالعبادات كلها ، بأنواعها - كما سيرد بيانه فيما يلي - ثابتة في أسسها وأصولها ، وبعضها يؤدى بهيئة وكيفية ثابتة وأوقات ثابتة كالصلاة والصوم والزكاة والحج .

ولقد فهم سيدنا أبو بكر هذا المعنى لثبات احدى العبادات ، وذلك في محاربته للمرتدين وقوله :" **والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها** " [2] .

ثانيا : في تعامل الانسان مع نفسه ، حيث نجد أن الشريعة الاسلامية قد قررت عددا من المبادئ والقواعد الثابتة ليراعيها المسلم في تعامله مع نفسه ، من ذلك محافظته على عقله وعلى حياته وعدم تعريضها للأذى عامدا ، ولذلك حرّم الله الخمر لأنها تذهب العقل وحرّم الانتحار لأنه تصرف من الانسان في شأن لا يملكه وهو انهاء الحياة على الأرض ، وحرّم قتل الأبرياء عمدا ... الخ .

---

[1] - سورة الكافرون وانظر تفسيرها في فتح القدير ٥/٥٠٦، زاد المسير في علم التفسير ٩/٢٥٢

[2] - صحيح البخاري كتاب الزكاة حديث رقم ١٤٠٠ ج١ ص ٤٣٢

ومن المبادئ الثابتة في تعامل الانسان مع نفسه عناية الانسان ببدنه نظافة وطهارة ورعاية صحية .

هنا ، أيضا ، نجد أن الثبات في مثل هذه المبادئ راجع الى الطبيعة الانسانية الثابتة في جوهرها .

ثالثا : في تعامل الانسان مع الآخرين ، سواء كان ذلك في نطاق دائرة الأسرة أو دائرة الأرحام والأقارب ، أو دائرة الجوار أو دائرة المجتمع المحلي وتعامل المسلم مع أخيه المسلم بعامة أو دائرة المجتمع – الدولة .

في كل دوائر التعامل هذه نجد ثباتا في مبادئ التعامل وقواعده العامة ، وفي بعض الأحيان نجد تحديدا ثابتا لبعض أنواع التعامل كالذي نجده في تقسيم الميراث وفي بعض أنواع المحرمات والعقوبات كالحدود .

ومن أمثلة مبادئ التعامل الثابتة في هذه الدوائر المشار اليها نذكر في مجال تعامل الانسان مع زوجه : مبدأ التعامل بالمودة والرحمة والمعروف ، وفي التعامل مع الأرحام بصلتهم وفي التعامل مع الجار عدم ايذائه وبرّه ، وفي تعامل المسلم مع المسلم ، أن يحب له ما يحب لنفسه ، وفي تعامل الانسان مع الآخرين على نطاق المجتمع / الدولة نجد مبدأ العدالة مبدأ الشورى ومبدأ المصلحة المرسلة أو العامة وغير ذلك كثير من المبادئ العامة والقواعد الكلية الثابتة التي لا تنحصر الحالات الجزئية التي تندرج تحتها.

وينبغي التنويه الى أن لكل جوانب التعامل مع الآخرين وفقا للثقافة الاسلامية بعد أخلاقي ملازم لهذا التعامل تتجلى مظاهره في أمور عديدة ، كالصدق والأمانة والوفاء بالوعد ومساعدة الضعيف والمحتاج ، والاخلاص ، والبعد عن الرياء والغيبة والنميمة والحسد وغير ذلك مما فصلته الشريعة الاسلامية .

بعد أن ذكرنا بعض مجالات الثبات في الثقافة الاسلامية نذكر بعضا من مواطن المرونة فيها ، حتى يضع المسلم الثبات والمرونة في موضعهما ، لئلا يحصل اللبس والخلط فاذا أصبح الثابت مرنا أدى ذلك الى النفاق والمداهنة ، واذا أصبح المرن ثابتا أدى ذلك الى التشدد والتطرف . وكلاهما نهى عنه الاسلام .

وللجمع بين الثبات والمرونة نذكر الأمثلة التالية :

أ- الشورى : أمر القرآن الكريم الرسول عليه الصلاة والسلام بالشورى قال تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [1] وقال تعالى :﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ [2].

وتبدو المرونة في الشورى أنه لم يجعل لها أسلوبا واحدا محددا وشكلا خاصا لا محيد عنه بل ترك تحديد ذلك لرأي الحاكم المسلم .

ب- النهي عن الفساد في الأرض قال تعالى :﴿ **ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها** ﴾ [3] وقال تعالى :﴿ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ [4] الثبات هو النهي عن الافساد في الأرض وتحريم ذلك والمرونة الاستثناء في الحالات الاضطرارية والظروف الحربية قال تعالى : ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين** ﴾ [5] .

جـ- في تطبيق بعض العبادات كالصلاة والصوم ، فالقيام في الصلاة أحد أركانها ، لكن هناك مرونة ، من أجل رفع الحرج والمشقة ، كما في حال المرض ، حيث تصح الصلاة في حال الجلوس ويسقط التكليف بالقيام عن هذا المريض .

---

[1] - الشورى ٣٨

[2] - آل عمران ١٥٩

[3] - الأعراف ٥٦

[4] - البقرة ٦٠

[5] - الحشر ٥

وهناك مرونة في الثقافة الاسلامية نجدها في استيعاب المبادئ العامة والقواعد الكلية لكل ما يستجد في حياة الانسان من حوادث وأحوال نتيجة تقدم العلوم وتغير أحوال الناس في العصور المتتالية ، وتستطيع الشريعة الاسلامية والثقافة الاسلامية من خلال ثبات مبادئها وقواعدها الكلية أن تظل صالحة لكل زمان ومكان رابطة كل تعامل يقوم به المسلم بالله سبحانه وتعالى من خلال الاجتهاد في بيان مراده سبحانه في كل الأمور المستحدثة التي تظهر في حياة الناس ، والحق أن الاجتهاد (راجع ما كتب عنه فيما تقدم) هو أداة الاسلام والثقافة الاسلامية لتحقيق المرونة ، وجعل الاسلام صالحا لكل زمان ومكان دون تغييره أو تبديله أو تحريفه .

الفصل الرابع

قضايا ثقافية

الشخصية الاسلامية *

لعل من أبرز أهداف دراسة الثقافة الاسلامية الوقوف على معالم الشخصية الاسلامية ، والسعي لتحقيق هذه الشخصية على أرض الواقع ، فليست الثقافة الاسلامية معارف نظرية مجردة ولا معلومات يتحلى صاحبها بذكرها واستعادتها فحسب ، وانما هي حصاد هذه وتلك وانعكاساتها على سلوك الفرد والجماعة ، فالثقافة - كما ينبئ اسمها عنها - تستهدف التثقيف والتقويم والتهذيب . وما انفك هذا الهدف العريض هاجس هذه الدعوة منذ بزغت شمس الرسالة الاسلامية على وجه الأرض ، وما يزال هدفا أسمى وغاية ترتجى في الحاضر والغد.

لقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم زهاء ثلاثة وعشرين عاما وهو يسعى لصياغة الشخصية الاسلامية وفق منهج رباني رشيد ، على قاعدة عقدية راسخة من الايمان بالله تعالى وتوحيده ، بعيدا عن أدران الجاهلية وشوائبها ورعونتها وجهلها وعنتها وفجورها، حتى غدت هذه الشخصية نفضا جديدا ومثلا شرودا في دنيا الناس، في ايمانها وجهادها وتكافلها وتعاونها على البر والتقوى وتجافيها عن الاثم والعدوان . فأحل العلم محل الجهل ، والنور بدلا من الظلمة ، والهدى بدلا من الضلال، وأحال ضعف العرب في ذلك الحين قوه ، وتمزقهم وحدة ، وعصبيتهم

* كتبه د. كايد قرعوش

القبلية ولاء لله ورسوله . وبدل خوفهم أمنا ، فكان فضل الله على هذه الأمة عظيما ونعمته سابغة ، حتى جعل منها خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

ولقد مضى عهد الخلافة الراشدة من بعد ، والعمل على تحصين معالم هذه الشخصية على تمامه ، وجاء من بعدهم بنو أمية والعباس وحدثت ثغرات في بعض جوانب البناء ، لكن دون وجود شواهد تؤذن بالتداعي والانهيار ، اذ كان الاحتكام لشرع الله تعالى معلما بارزا حتى في أسوأ عهود الدولة الاسلامية في مختلف مراحلها التاريخية .

ومع انهيار الخلافة الاسلامية في نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، شهدت الشخصية الاسلامية على مستوى الأمة تراجعا ذريعا ، وتفككت عرى شخصية الفرد المسلم في كثير من بلاد المسلمين حتى كأن ليس له بالاسلام صلة . يصف الفيلسوف المسلم محمد اقبال حال المسلم في هذه الآونة الأخيرة بقوله ": ان المسلم القوي الذي نشأته الصحراء وأحكمته رياحها الهوجاء ، أضعفته رياح العجم ، فصار فيها كالناي نحولا ونواحا، وان الذي كان يذبح الليث كالشاة ، تهاب وطء النملة رجلاه ، والذي كان تكبيره يذيب الأحجار ، انقلب وجلا من صفير الأطيار ، والذي هزأ عزمه بشم الجبال ، غل يديه ورجليه بأوهام الاتكال ، والذي كان ضربه في رقاب الأعداء ، صار يضرب صدره في اللأواء .والذي نقشت قدمه على الأرض ثورة ، كسرت رجلاه عكوفا في الخلوة.والذي كان يمضي على الدهر حكمه ويقف الملوك على بابه ، رضي من السعي بالقنوع ولذ له الاستجداء والخنوع " [١] .

---

[١] – نقلا عن د. محمد البهي ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .ط٤، ص٤١٠،٤١١

ونحن اليوم على أعتاب صحوة اسلامية جديدة ، وبعث اسلامي واسع النطاق، نأمل معه اعادة بناء الشخصية الاسلامية المنشودة ، فما هذه الشخصية الاسلامية التي نريد؟ وما مقوماتها وسماتها ؟ وما وسائل بنائها ؟

مفهوم الشخصية الاسلامية

ان مفهوم الشخصية مفهوم مستحدث لا نكاد نجده متداولا في تراثنا الثقافي بالمعنى المقصود في أيامنا هذه . وهو مشتق من مادة (شخص)، والشخوص ضد الهبوط ، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور ، ويطلق على الانسان وغيره تراه من بعيد.[١] وهذه الكلمة هي المقابل للفظ **Personality** في اللغة الانجليزية . وأصله في اللاتينية لفظ Persona ويعني القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة حين كان يقوم بتمثيل دور من الأدوار ، وهو بهذا يعني المظهر الخارجي للشخص .

وعلى هذا فان مفهوم الشخصية له علاقة بما يظهر من الأنسان في اللغتين العربية والأجنبية .

أما من الناحية الاصطلاحية فقد ألفنا اطلاق هذا المفهوم اطلاقات شتى ، فنقول:

فلان مرح والآخر منقبض ، وفلان منفتح والثاني منطو ، وفلان شجاع والآخر جبان ، وفلان ذكي والآخر غبي ، وغير ذلك . ونحن في هذه الاطلاقات انما نتناول من الأشخاص صفات معينة نصفهم بها ، وهذه الصفات هي محور الشخصية سواء كانت ايجابية أو سلبية .

---

١ - ابن منظور ، لسان العرب . مادة شخص

وقد عرف بعضهم الشخصية بأنها " كل منظم يتضمن الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والروحية ، كما يتضمن الخلق والمزاج اللذين يعتبران من شخصية الفرد "[1] .

وهكذا يبدو واضحا أن الشخصية حصيلة من الصفات السلوكية التي تميز فردا ما أو جماعة ما عن غيرهم من الأفراد والجماعات .

هذا عن مفهوم الشخصية بالاعتبار العام ، أما الشخصية الاسلامية موضوع بحثنا فيمكن تعريفها بأنها " مجموع الصفات التي تطبع بها الثقافة الاسلامية الفرد المسلم والجماعة المسلمة في شتى المجالات، والتي تميز سلوكهم عن غيرهم من الأفراد والجماعات ".

وللشخصية الاسلامية هويتها الثقافية المستقلة ، وهذا أمر طبيعي ما دمنا نؤمن أن ثقافة أية أمة خاصة بها وتميزها عن غيرها .

مقومات الشخصية الاسلامية

يظهر لنا من التعريف المتقدم أن قوام الشخصية الاسلامية مجموعة من الصفات سواء كانت هذه الصفات عقلية أو نفسية أو روحية أو جسمية وغيرها ، وتتآلف هذه الصفات فيما بينها بحيث تؤلف نسيجا قويا متكاملا محكما ، وبناء متراصا يقوم على قاعدة من الايمان بالله تعالى .

ان وجود هذه القاعدة الايمانية أمر لازم لبناء هذه الشخصية ، فلا يقوم بناء على غير أساس . ان العقيدة الاسلامية هي القاعدة المنهجية التي تقوم عليها القواعد الأخرى التي تشكل عقل الفرد ونفسيته .[2] يؤيد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" **بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده**

---

[1] - د. نعيم الرفاعي ، الصحة النفسية . ص٩٣-٩٥

[2] - د.عبدالقادر رمزي . النظرية الاسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية .ص١٣٦

ورسوله، واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ".[1] فالايمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم أساس وغيره مبني عليه .

وسنقدم فيما يلي بيانا بكل جانب من جوانب الشخصية الاسلامية المذكورة.

١ – الجانب العقلي

ان العقل ، من حيث هو قوة مدركة ، أمر فطري لا يكاد يعرى عنه أحد، مسلما كان أو غير مسلم،كبيرا كان أو صغيرا.ولكن اعمال هذه القوة المدركة واعدادها على مدارج النضج والرشد مما يختلف باختلاف الثقافات والنظم والفلسفات.وعليه فان القدرات العقلية قدر تلتقي فيه الشخصية الاسلامية مع غيرها من الشخصيات الأخرى من شيوعية ورأسمالية وغيرها ، ولكن ما يميز الشخصية الاسلامية في هذا الجانب أنها " تفكر على أساس الاسلام ، أي تجعل الاسلام وحده هو المقياس الوحيد للأفكار (المفاهيم) عن الحياة والواقع (الأشياء والأفعال).[2]

ان تفكير المسلم بصورة مغايرة للمنهجية الاسلامية وأصول الثقافة يخلق نوعا من الازدواجية وعدم الاتساق في بناء شخصيته ، وهو أمر تأباه عقيدته الاسلامية. وهذه الازدواجية في محاكمة الأمور تبدو هجينة كذلك لدى أرباب الثقافات الأخرى ، فلا الشيوعية تقبل لمنتسبيها التفكير من منطلقات رأسمالية ، ولا الرأسمالية ترضى أن يكون تفكير الرأسماليين مبنيا على مبادئ وأسس شيوعية .

ولا بد لنا ونحن نقرر ما تقدم من أن نذكر ببعض المواقف والممارسات التي نراها في المجتمع الاسلامي مما يمكن أن يشكل شرخا في بناء شخصية أفراده ، فماذا يمكن أن نقول في تلك المناهج والمواد التعليمية والبرامج الاذاعية والتلفازية التي تعزو

---

١ – رواه البخاري في كتاب الايمان باب قول النبي (بني الاسلام على خمس). ورواه مسلم في كتاب الايمان باب أركان الاسلام .واللفظ لمسلم .

٢ – د. عبدالقادر رمزي : المرجع السابق .ص ١٣٨، وسميح عاطف الزين ، الثقافة الاسلامية ص١٤،١٥

الخلق الى الطبيعة مثلا، فتقدم الى الناشئة فكرا غريبا اذ تقول: لقد زودت الطبيعة طيور البطريق في منطقة القطب بطبقة دهنية كثيفة تقيها من البرد القارس ، وزودت السمكة في الماء بزعانف تمكنها من سرعة الحركة والانطلاق ؟ وماذا عسانا نقول في مناهج وبرامج تعليمية تجعل من نظرية دارون منطلقا لها في أصل الأنواع والنشوء والارتقاء ؟ هل يمكننا في حالة كهذه أن ندعي أن هذا الفكر يسهم في اعداد عقلية المسلم وبناء تفكيره على أساس اسلامي ؟

٢- الجانب النفسي (الوجداني)

نعني بهذا الجانب ما يجده الانسان في نفسه من عواطف وانفعالات وميول واتجاهات . والشخصية الاسلامية لها مثل ما للآخرين عواطف وميول واتجاهات ، انها تحب وتكره كما يحب الآخرون ويكرهون مصداقا لقوله تعالى :﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا . والله عنده حسن المآب**﴾[1].

ولكن محبته لهذه الأشياء تبقى ضمن حد لا يتعارض مع محبته لله ورسوله ، فعاطفته نحو الله ورسوله أسمى من كل عاطفة أخرى كما قال تعالى :﴿ **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[2].

ان محبة المؤمن وبغضه محكومان بدائرة الولاء والبراء ، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، والبراء من كل ما يتعارض مع هذا الدين . قال صلى الله عليه وسلم :

---

[1] - سورة آل عمران ١٤

[2] - سورة التوبة ٢٤

"من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنـع لله فقـد استكمل الايمـان ".١ وقـال صلى الله عليه وسلم :**" ثلاث من كن فيه وجد حـلاوة الايمـان وطعمـه، أن يكـون ا لله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ويبغـض في الله ، وأن توقـد نار عظيمة فيقع فيها أحب اليه من أن يشرك بالله شيئا "**.٢

في ضوء هذه الاعتبارات يمكننا الحكم على الشخصية الاسلامية ، فمن جعـل ولاءه لله ورسوله فوق ولائه لعشيرته وولائه لماله ووظيفتـه ، وولائـه لرقعـة جغرافيـة قدر له أن يولد فيها أو يحيا فيها ، فهو المؤمن حقا ، ومن اختلـت لديـه هـذه المعادلـة أورثه ذلك اختلالا في شخصيته التي ينشدها هذا الدين .

٣- الجانب الروحي

الروح سر من أسرار الله تعـالى في خلقـه ، استـأثر بمعرفـة كنههـا . قـال تعـالى **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ومـا أوتيتـم من العلم الا قليلا ﴾** ٣ وهي احدى الطاقات التي ينتظم بها الوجود الانسـاني بـل لعلهـا أسمـى هذه الطاقات حيث تصلنـا بـا لله سبحانه وتنعتـق مـن حـدود الزمـان والمكـان ، فـلا الطاقات العقليـة ولا الجسـمية قـادرة علـى الانعتـاق مـن إسـار المـادة كمـا الحـال في الطاقات الروحية .

ويمكن تحقيق الجانب الروحي في الشخصية الاسلامية من خلال ما يلي :

أ- استشعار الرقابة الدائمة لله سبحانه وتعالى وتنمية تقواه في قلوب المؤمنـين

ب - ايقاظ الروح بأداء الطاعات والقربات والأذكار والصدقات ، والتفكـر في القرآن الكريـم وتدبر آياته ، فمن شاء أن يناجي الله تعـالى فليعكـف علـى تـلاوة

---

١ - أخرجه أبو داود رقم ٤٦٨١ في السنة باب الدليل على زيادة الايمان . حديث حسن .

٢ - أخرجه النسائي ، باب حلاوة الايمان ٨/٩٦

٣ - سورة الاسراء ٥٨

كتابه . وكذلك الدعوة الى التفكر في ملكوت الله ، فان من شأن ذلك أن يربي المسلم على توثيق صلته بالله سبحانه وتعالى .

جـ- تربية الروح بالعبادة ، فالعبادة صلة مباشرة بين العبد وربه ، ومن شأن هذه العبادة تزكية النفس وتهذيبها [1].

٤- الجانب الجسمي

لعل أقل الجوانب أهمية في بناء الشخصية هذا الجانب المتعلق بالناحية الجسمية البدنية ، ذلك أن الجسم لا يعدو أن يكون اطارا ماديا يتضمن في ثناياه جوانب الشخصية الأخرى من عقلية ونفسية وروحية . وتستمد الصفات الجسمية أهميتها من مضامينها " فالانسان سواء كان طويل القامة أو قصير القامة ، وسواء كان ممتلئا شحما ولحما أو نحيفا متقحلا ، وسواء كان أبيض البشرة أو أسمر أو أسود ، وسواء كان جميلا أو دميما ، وسواء كان مدنيا أو قرويا أو بدويا ، وسواء كان غنيا أو فقيرا ، فان قيمته الحقيقية تبقى رهينة مضامينه العقلية والأخلاقية والوجدانية ، أي أن جملة القيم التي يشتمل عليها والتي تكون شخصيته هي التي تعطيه قيمته ووزنه "[2]

ومما يؤكد هذا المعنى ما ورد عن المنافقين من قوله تعالى:﴿ **واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾[3] .

---

[1] - د.علي عبدالحليم . فقه الدعوة الى الله ١/٤٦٤-٤٧٢

[2] - محمد الهادي زيان ، من أجل بناء الشخصية الاسلامية . ص١٧

[3] - سورة المنافقون ٤

وقال صلى الله عليه وسلم : " **ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم** ".[1]

غير أن هذا لا يدفعنا الى اسقاط البعد الجسمي من دائرة الاعتبارات في النظرة الى الشخصية . فقد جعل الحق تبارك وتعالى هذا الجانب أحد العوامل التي أهلت طالوت ليكون ملكا على بني اسرائيل . قال تعالى ﴿ **ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم** ﴾.[2]

وقد ذكر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن جمال المرأة من جملة المعايير التي تعتمد في خطبتها ، فقال :"**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** ".[3] فالدين أساس ومنطلق ، فاذا انضاف اليه شيء من المال والجمال والحسب فذاك موضع اعتبار لا شك في ذلك .

وقد كان من شأن سلفنا اذا أرسلوا شخصا في سفارة اختاروه من ذوي الحجا والكفايات الجسمية المميزة ، ويعلل ابن الفراء هذا الأمر في كتابه رسل الملوك بقوله :" وانما توجب ذلك في رسلها لئلا ينقص اختيارها خطا من خطوط الكمال، ولأنها تنفذ واحدا الى أمة ، وفذا الى جماعة ، وشخصا الى شخوص كثيرة ؛ فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون "[4]

---

١ - أخرجه مسلم رقم ٢٥٦٣ في البر والصلة باب تحريم الظن والتجسس والتنافس

٢ - سورة البقرة ٢٤٧

٣ - أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي

٤ - ياسين الغادي ، التمثيل السياسي في الاسلام (رسالة ماجستير مخطوطة) .ص٢٤١،٢٤٢

وكان دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه أحد هؤلاء السفراء الذين عرفوا بخصائص جسمية وجمالية مميزة ، وقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر سنة ست للهجرة .

وهكذا فاننا ننظر الى الجانب الجسماني في شخصية الفرد على أنه عنصر كمال وتمام عند اكتمال العناصر الأخرى . ومن هنا قيل : المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

وقال الشاعر :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها اذا لم يزن حسن الجسوم عقول

معالم الشخصية الاسلامية

للشخصية الاسلامية معالمها وشواخصها التي تعرف بها ، وسماتها الفارقة التي تدل عليها ، وهي معالم وسمات جد كثيرة تجدها مبثوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية نعرض لعدد منها ومن ذلك :

- ما ورد في قوله تعالى ﴿ **قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا. واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما . انها ساءت**

---

[1] - سورة المؤمنون ١-٩

مستقرا ومقاما . والذين اذا أنفقـوا لم يسـرفوا ولم يقـتروا وكـان بـين ذلـك قواما. والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس الـتي حرم الله الا بـالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانـا . الا مـن تاب وآمن وعمـل عمـلا صالحـا فـأولئك يبـدل الله سـيئاتهم حسـنات وكـان الله غفـورا رحيمـا . ومـن تـاب وعمـل صالحـا فانـه يتـوب الى الله متابـا . والذيـن لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مـروا كرامـا. والذيـن اذا ذكـروا بآيـات ربهـم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنـا وذرياتنـا قـرة أعين واجعلنا للمتقين اماما. أولئك يجزون الغرفـة بمـا صبروا ويلقـون فيهـا تحيـة وسلامـا ﴾ ١ وقوله تعالى :﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بـا لله ورسـوله ثـم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾٢

وبما ورد في الأحاديث الشريفة بهذا الصدد قوله صلىالله عليه وسلم :

" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن مـن أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " ٣ .

وقوله :" المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه " ٤ .

وقوله:" الايمان بضع وسبعون شـعبة فأفضلهـا قـول لا الـه الا الله وأدناهـا اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان " ٥ .

---

١ - سورة الفرقان ٦٣-٧٥

٢ - سورة الحجرات ١٥

٣ - رواه الترمذي رقم ٢٦٢٩ في الايمان ، والنسائي باب صفة المؤمن ٨ظ١٠٤،١٠٥

٤ - رواه أبو داود رقم ٤٨٩٣ في الأدب با ب المؤاخاة

٥ - رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب الحياء شعبة من الايمان

وقوله:" والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : من يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه "[1] .

وقوله:" المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس "[2] .

هذا الى آيات وأحاديث أخرى كثيرة ترسم لنا معالم الشخصية الاسلامية المنشودة . وبالوقوف على مجمل ما ورد في هذه النصوص وغيرها تتبين لنا المعالم والسمات التالية :

١- شخصية مؤمنة مسلمة

الشخصية الاسلامية شخصية ملتزمة ، وأساس التزامها ايمانها بالعقيدة الاسلامية التي تشكل المقوم الأساس في مقومات الشخصية كما ذكرنا .

الشخصية الاسلامية شخصية مؤمنة ، تجعل من ايمانها با لله تعالى عماد حياتها وقوام وجودها ، مع ما يرتبط بالايمان بالله من أمور تبعية هي الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

واذا كان الايمان با لله تعالى مما يتوافر عليه المسلم وغيره من أصحاب الديانات السماوية الأخرى ، فان ما يميز المسلم عقيدة التوحيد التي اضطربت كثيرا عند أرباب الديانات الأخرى ، وبقيت مشرقة في نفوس المؤمنين من أصحاب ملة الاسلام .

واذا كانت النظم الشيوعية الالحادية تفاخر بأنها تربي أتباعها تربية عقدية ، حتى أصبح من المألوف أن نسمع لديها تعبيرات (الحزب العقائدي) و (الجيش العقائدي) الىآخر ما هنالك من اطلاقات باهتة تكفل الزمن ببيان زيفها ، وقدر لنا

---

[1] - رواه البخاري في الأدب ، باب اثم من لا يأمن جاره بوائقه

[2] - رواه الدارقطني في سننه . حديث صحيح

أن نشهد تهافتها وأفولها في العقد الأخير من هذا القرن - اذا كانت هذه النظم تفاخر بالغثاء من عقائدها ، فان حقا على المسلم الذي يربط وجوده بخالق الوجود أن يفاخر بعقيدته أبلغ ما يكون الفخر والاعتزاز ، وبخاصة في هذه الأزمنة التي يحتدم فيها الصراع بين قوى الحق والباطل ، وبين الكفر والايمان ، والتي نرى فيها أفرادا تتجافى عن الايمان ، تحت ضغط الغزو الثقافي الجامح ، حتى ليصدق فيها قول الله تعالى: **﴿واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾** ١ .

ان الايمان لا يقتصر مداه على حدود عالم الشهادة ، بل انه يتجاوز ذلك الى عالم الغيب ، بل ان الايمان بالغيب من أخص صفات المؤمنين كما ورد في قوله تعالى : **﴿ ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾** ٢ .

ان الايمان مسألة قلبية ، ولا يعلم ما في القلب الا الله . وانما يعبر عنه النطق بالشهادتين الذي يعد اعلانا عن الاسلام .

والوضع الطبيعي والصحيح في معادلة الايمان أن يعرب اللسان عن مكنون القلب ، بمعنى أن ينطلق الاسلام من قاعدة الايمان ، فيوصف الشخص بأنه مسلم مؤمن . ومع ذلك فاننا نجد أقواما لا تقيم ارتباطا بين القلب واللسان ، فهم يزعمون بألسنتهم أنهم مؤمنون ، مع أن بضاعتهم من الايمان قليلة أو لا رابطة تربطهم به.وقد شدد القرآن الكريم النكير على هذه الفئة الموصوفة بالنفاق ، وفضحها في أكثر من مناسبة ، من ذلك قوله تعالى :

---

١ - سورة الزمر ٤٥

٢ - سورة البقرة ١-٣

- ﴿ **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون** ﴾ [1] .

- ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ..** ﴾ [2] .

- ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ...** ﴾ [3] .

ان الاسلام الذي يجعل اعلان الشهادتين شرطا لدخوله ، لا يجعل هذا لاعلان غاية في ذاته ، وانما هو بداية لتحقيق غاية قصوى تنسجم مع مضمون (**لا اله الا الله محمد رسول الله**) ، ذلك أن (**لا الـه الا الله**) اعلان عن العبودية لله تعالى وحده ، انها عبودية كاملة لله في المشاعر والشعائر والشرائع . انها منهج حياة شامل وكامل لا يقبع في زاوية قصية من زوايا حياة المجتمع،ولا يقنع حتى يصبغ الحياة جميعها بصبغة الله،ومن أحسن من الله صبغة ؟!. ان الاسلام يعني الاستسلام لأمر الله في كل أمر مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾[4]

ان الاستسلام لأمر الله يقتضي قبول منهجه دون توقف على اقتناع عقلي يتقدم الايمان بهذا المنهج ، ان المسلم لا يتوقف في منتصف الطريق ليعلن أنه لا يقبل الحكم الفلاني حتى يقتنع بجدواه ، وكيف يكون ذلك منه وقد آمن من قبل أن الله

---

[1] - سورة البقرة ١٤

[2] - سورة المائدة ٤١

[3] - سورة الحجرات ١٤

[4] - سورة الانعام ١٦٢،١٦٣

تعالى له الخلق والأمر ،وهو انما بعث رسله وأنزل كتبه لمصلحة العباد ، فما سميت الشرائع بهذا الاسم الا لأنها كالماء الذي هو عماد الحياة ، والايمان يقتضي التصديق بكل ذلك . قال تعالى :﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [١] .

٢- شخصية بشرية

لقد جرت عادة الباحثين والخطباء والوعاظ أن يقدموا الشخصية الاسلامية في أسمى كمالاتها ، حتى انه ليكاد يظن ظان أن المسلم الحقيقي هو الذي تخلو ساحته من كل شائبة أو معصية ، وأنه الى عالم الملائكة أقرب منه الى عالم الانس والبشر .

ونعاجل بالقول ان المسلم لا يعدو كونه بشرا مهما سما حاله وشأنه ، تتنازعه أهواؤه وشهواته ، وقد يخضع لحالات ضعف انساني يجد نفسه فيها في وهدة الخطأ والخطيئة ، انه يعتريه ما يعتري غيره فيتكاسل عن أداء فريضة في حينها ، أو القيام بنافلة يرغبه الشرع في أدائها ، أو يتأخر عن الجهاد لعلة أو لغير علة ، وقد يطغيه بريق المال في بعض المواطن ، وقد يغض طرفه عن منكر وجب انكاره ، وقد يجبن عن المواجهة في موقف لله فيه مقال ثم لا يقول فيه ، وقد يظلم أو يغتاب أو يقع في عرض الآخرين ، وقد يشح حيث يجب البذل ، وغير ذلك كثير، فهل هذا يدفعنا الى الحكم بأن فاعل ذلك لا يتمتع بشخصية اسلامية ؟ وهل المجتمع المسلم هو المجتمع النقي من الأخطاء والخطايا بحيث اذا وقعت المعاصي انتفت عنه الهوية الاسلامية ؟

ان المسلم ، من حيث هو بشر ، ليس معصوما من الخطأ ، والعصمة لا تكون الا للأنبياء والمرسلين ضمانا لسلامة التبليغ كما قال تعالى : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ [٢] .

---

[١] - سورة النساء ٦٥

[٢] - سورة الحاقة ٤٤-٤٦

ان المسلم ليس ملكا يدب علـى الأرض ، انـه مـن الطـين خلـق والى الـتراب يعود. وان من الخطورة بمكان أن يقتصر وصف الشخصية الاسلامية على وجه واحـد هو الى الكمال المطلق ، فذلـك أحـرى أن يوصلنـا الى مفـرق طـرق مخيـف ، فامـا أن نتصور أن الاسلام لا يمكن تطبيقه لعدم انسـجامه مـع الطبيعـة البشـرية ، أو أن نصـل بالشباب الى ردود فعل مـن الاحبـاط والقنـوط أن ليـس باسـتطاعتهم بلـوغ الصـورة الاسلامية المنشودة . وفي هذا تقول الدكتورة بنت الشاطئ :" ويصطدم هـذا التصـور بواقعنا على الأرض فيدعو الى يأس وقنوط ، وأبناؤنا يدركـون اسـتحالة تحقـق هـذا الطهر الملائكي في البشر ، ويعطيهم العصر جرأة على التمرد ان لم يدفع بهم اليأس الى سخرية وضلال. ومنهم من تتعقد شخصيته بصدمة المفارقة بين المثال والواقع ، وأزمـة الحيرة بين ملكـوت الله وجاذبيـة الأرض ، سـواء كانت هـذه الصدمـة مـن سـلوكهم الشخصي أم كانت ممن يرون فيهم القدوة الصالحة والمثـل الأعلـى فيخيـب الرجـاء وتهتز الرؤية حين يشهدونهم يتعثرون ويزلون ويخطئون" ١ .

ان المسلم يخطئ ويخطئ ، والخطأ مـلازم للطبيعـة البشـرية ، يقـول صلـى الله عليه وسلم " **كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** " ٢ . ووجـود الخطـأ ليـس هـو القاصمة ، انما الكبيرة أن يمضي الانسان في خطئه مدافعـا عـن باطلـه ، سـادرا في غيه ، مستحـلا للمعاصي . ومن هنا قيل :" **لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغـيرة مـع الاصرار** ".

ان التوبة والعزم على الاقلاع عن المعصية هما الفيصل بين المؤمن وغـيره ، ان الاسلام يربي عند أتباعه ما يسمى " النفس اللوامة "، وقد أعلـى الله سـبحانه وتعـالى

---

١ – د. عائشة عبدالرحمن ، الشخصيه الاسلاميه ص٤٢

٢ – رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك .حديث صحيح

من شأن هذه النفس اللوامة ، فأقسم بها كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾[1] .

يقول الحسن البصري في هذه الآية الكريمة :" **ان المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وان الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه** "[2] .

لقد سجلت لنا وقائع السيرة مواقف شاهدة على رسوخ النفس اللوامة في الشخصية الاسلامية التي بناها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبخاصة عند حدوث الخطأ الذي لا سبيل للقيادة للاطلاع عليه ، فدفعها ايمانها الى المكاشفة به لشعورها العميق برقابة الله سبحانه وتعالى .

يروي مسلم في صحيحه أن رجلا من أسلم يقال له ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، اني زنيت . فأعرض عنه فتنحى تلقاء وجهه . فقال له : يا رسول الله ، اني زنيت ، فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع مرات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **أبك جنون** ؟ قال: لا ، قال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به **فارجموه** "[3] .

وعندما حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريظة ، بعد خيانتهم في غزوة الأحزاب ، طلب هؤلاء من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل اليهم أبا لبابة بن عبدالمنذر ليستشيروه فيما يفعلون ، هل يستسلمون أولا . فلما جاءهم أبو لبابة قام اليه رجالهم وجهشت اليه نساؤهم وصبيانهم يبكون في وجهه ، فرق لهم

---

[1] - سورة القيامة ١، ٢

[2] - تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٧،٤٤٨

[3] - رواه مسلم في كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا

وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده الى حلقه (يعني أنهم سيذبحون اذا نزلوا على حكمه).

عندها شعر أبو لبابة أنه لم يحسن السفارة . قال أبو لبابة : فو الله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه و لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ربط نفسه بعمود من أعمدة المسجد . وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت ، وأعاهد الله ألا أطأ بني قريظة أبدا ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا .

ظل أبو لبابة على حاله هذه زهاء عشرين ليلة حتى نزلت آية كريمة بقبول توبته في قوله تعالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم** ﴾ [1] .

وعندما جاء الناس يبشرونه أبى أن يفكوا وثاقه وقال :" والله لا يحلني منه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صلاة الفجر حله من رباطه [2] .

والأمثلة بعد ذلك كثيرة يطول الحديث عنها .

ان غاية ما يطلبه الاسلام من أتباعه أن يجتهدوا في سلوك طرق الهداية والابتعاد عن سبل الغواية والضلال، فاذا ما قصر أحدهم أو أخطأ فليجتهد في استدراك ما فاته وليسارع الى اصلاح الخلل، ولعله بذلك يدرك منزلة الملائكة بل يفوقهم منزلة . قال بعض العلماء :" ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة ، وركب البهائم من شهوة بلا عقل ، وركب ابن آدم من

---

[1] - سورة التوبة ١٠٢

[2] - ابن كثير . السيرة النبوية ٣/٣٣١،٢٣٣

كليهمـــا، فمـــن غلب عقلـــه علـــى شهوتـــه فهو خير من الملائكـة ومـن غلبـت شهوته على عقله فهو شر من البهائم ".

ان وجود ثغرات في سـلوك المسـلم ، ضـاقت هـذه الثغـرات أو اتسـعت ، لا يخولنا فرصة القدح في الآخرين ، وجعلهم مضغة في الأفواه تتسلى بخطيئتها في المجـالس، ما دام صاحب الخطأ قد أقلع عن خطئه . فقد نهى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم عن سب المرأة الغامدية التي أقيم الحد عليها بعد زناها ، وقال مخاطبا خـالد بـن الوليـد رضي الله عنه بعد ما سمعه يسبها :" مهلا يا خالد ، فو الذي نفسي بيـده لقـد تـابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له " [١] .

ومن جميل ما يروى بهذا الصدد أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر بقوم يعنفـون رجلا اقترف اثما ويسبونه ، فوقف ينظر ما يفعلون ، فقالوا له : ألا تنكر عليه ، ألا تكره فعلـه ؟ فقال : انما أكره فعله فاذا تركه فهو أخي .

٣- شخصية مجاهدة

الشخصية الاسلامية شخصية مجاهدة لنفسها ، مجاهدة بنفسـها ، تـتربى على هذه المعاني ليكون الجهاد دينهـا وديدنهـا ، وأول مراتـب الجهـاد جهـاد النفـس ضـد أهوائها وشهواتها . هذا الجهاد الـذي كـان سمـة سـائدة في المرحلـة المكيـة مـن عمـر الدعوة طوال ثلاثة عشر عاما ، لم تمتد فيها للمسـلمين يـد في وجـوه أعدائهـم ، انهـا مرحلة تأسيس للنفسية الاسلامية على الضبط والانضباط ، فلا تثور تطلـب الثـأر مـن أعدائها لأول بادرة من اعتداء كما كان الحـال في الجاهليـة ، وانمـا تصـدع بمـا تؤمـر وتعرض عن الجاهلين ، ولا غرابة أن يوصف هذا النوع من الجهـاد بأنـه كبـير كمـــا قـــال تعالى : ﴿ **فلا تطع الكافرين وجـاهدهم بـه جهـادا كبـيرا** ﴾ [٢] . ومعلـوم أن

---

١ - رواه مسلم في كتاب الحدود

٢ - سورة الفرقان ٥٢

سورة الفرقان التي وردت فيها هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة ، وقبل الأمر بالقتال.[1]

وما كان مقبولا ولا معقولا أن يقتصر المسلمون على جهاد النفس وكف اليد ضد المعتدين ، في وقت تمضي فيها قوى الشرك من حولهم تهدد وتوعد ، وتضرب وتقتل ، وتحاصر وتهجر المسلمين ، ثم لا تنفك تقاتلهم وتؤلب عليهم الخصوم . هكذا فقد انتقل المسلمون الى مرحلة جديدة من الجهاد هي الجهاد بالنفس، وأصبح الجهاد فريضة في حقهم ، حتى انطلقوا يحملون مصابيح الهدى وبشائرالتحرير للناس من حولهم ، لا يعبأون بما يرتبه عليهم جهادهم هذا من تكاليف وأعباء ، واستطاعوا أن يطيحوا بدولتي الفرس والروم ، ودخلوا أوروبا من طرفها الغربي ، ثم ما لبثوا بعد حين أن دخلوها من طرفها الجنوبي حتى اصبح اسم الاسلام والمسلمين يثير لدى الأوروبيين حساسية من نوع ما . وترقبوا الفرصة للغارة على العالم الاسلامي ، وقد فعلوا ، فكانت الحروب الصليبية التي خرجت منها أوروبا مدحورة بعد قرنين ، ثم جاءت الحروب الاستعمارية لبلاد المسلمين ، وكانت لصيحات الجهاد أثرها الكبير في مقاومة المستعمر الغاصب ، وما زالت هذه الصيحات تتوالى .

ان أكثر ما يعني الغرب هو السيطرة على عالمنا الاسلامي ونهب خيراته ، ولقد أرقه وجود الصحوة الاسلامية التي وقفت دونه تحول دون تحقيق مآربه . فاذا بهم يصفون الشخصية الاسلامية المعاصرة بأنها ارهابية ، حتى لقد أصبح اسم الاسلام قرينا بالارهاب نتيجة لحملاتهم الاعلامية المسعورة ضد هذا الدين وأهله .

ان من حق المسلمين أن يمارسوا حق الدفاع الشرعي عن وجودهم ومقدساتهم ، وهو حق مقرر من حقوق الانسان حيث كان :

ولا يقيم على خسف يراد به   الا الأذلان عير الحي والوتد

---

[1] - تفسير القرطبي ٥٨/٧

هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرثي له أحـد

وفرق بين حق الدفاع الشرعي وبين الارهاب، فرق ما بين المفروض والمرفوض ، واذا كان يستوي في نظر الغرب هذان الأمران ، فلن يضيرنا أن نكون ارهابيين على معنى ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ ١

وان حقا على المسلمين أن ينتبهوا لهذه المكيدة الغربية التي تصف الشخصية الاسلامية بأنها ارهابية ، فماذا عسى أن تولد سياسات العنف والعسف منهم ضد المسلمين الا مزيدا من التصدي والتحدي من المسلمين لهم .

ان رسالتنا الى الناس كلمة نحرص على ايصالها الى مسامعهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، ولكن أصحاب السلطة يقفون أمام كلمة الاسلام بالقوة ، فلا بد من مقابلة القوة بمثلها كما قيل :" فكرة باطلة تدفعها فكرة محقة ، ومقاومة الفكر بالقوة أشبه بمقاومة النار بقاذفات اللهب ".وليس مطلوبا من المسلم أن يبقى صامدا يتلقى الصفعات يمنة ويسرة ، ثم لا يحير جوابا ، فذلك هو العجز بعينه، ورحم الله المتنبي اذ يقول :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

ان القتال في حق المسلم ليس هدفا في ذاته ، انما هو وسيلة الى غاية أسمى بينها قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .٢

واذا أمكن الوصول الى هذا الهدف دون قتال فان المصير الى القتال حينئذ يعد ضربا

---

١ - سورة الأنفال ٦٠

٢ سورة الأنفال ٣٩

من اللغو لا مسوغ له . قال صلى الله عليه وسلم " **لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** ".[1]

٤- شخصية لها ذاتيتها المستقلة غير المقلدة

الشخصية الاسلامية لها ذاتيتها المستقلة التي تميزها عن غيرها . تلمس ذلك في عبادتها وعاداتها ومظهرها وفي كل شأنها ، وهذه الاستقلالية في المنهج أمر طبيعي ينسجم مع طبيعة هذا الدين ، كما أنها ترجمة للنداء المتكرر الذي يهتف به المسلم آناء الليل وأطراف النهار ، في صلواته وخلواته ، وهو قوله تعالى :﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾. وهو نداء واعلان عن المفاصلة الكاملة بين المسلمين وغير المسلمين ممن يدخلون تحت وصف المغضوب عليهم والضالين.

فمن أمثلة الاستقلال في العبادات موضوع تشريع الأذان للصلاة ، فقد استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في موضوع إشعار الناس بدخول وقت الصلاة ، فماذا كان ؟ " قيل : انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رأوها آذن بعضهم بعضا ، فلم يعجبه ذلك . فذكر له القنع – وهو شبور اليهود [أي البوق] – فلم يعجبه ذلك فقال: هو من أمر اليهود . فذكر له الناقوس . فقال : هو من أمر النصارى . فانصرف عبدالله بن زيد الأنصاري وهو مهتم لهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأري الأذان في منامه – فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: يا رسول الله ، اني لبين نائم ويقظان اذ أتاني آت فأراني الأذان . وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك فكتمه عش رين يوما ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما منعك أن تخبرنا ؟ قال: سبقني عبدالله بن زيد

[1] – رواه البخاري في الجهاد ، باب لا تتمنوا لقاء العدو

فاستحييت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **قم يا بلال فانظر ما يأمرك به عبدالله بن زيد فافعل ، فأذن بلال**"[1]

وقريب من هذا ما كان بخصوص صوم يوم عاشوراء ، فقد روى أبو داود أنه " حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا : يا رسول الله ، انه يوم تعظمه اليهود والنصارى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **فاذا كان العام القابل – ان شاء الله – صمت اليوم التاسع** " فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ".[2]

وقل مثل ذلك في التأريخ بالهجرة النبوية دون ما سواه من تواريخ الجاهلية والأمم الأخرى.

ومن أمثلة الاستقلال في السمت العام والمظهر الخارجي ، نهى الاسلام عن التشبه بالآخرين ، فقال:"**من تشبه بقوم فهو منهم** ".[3] وقال كذلك :" **خالفوا المشركين،وفروا اللحى وأحفوا الشوارب** ".[4] ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما له قرنان (ضفيرتان) فقال :" **احلقوا هذين أو قصوهما فان هذا زي اليهود** ".[5] أما موضوع اللباس فالأمر فيه أكثر وضوحا ، فقد نهى الاسلام عن التشبه بالآخرين .

وقد قسم أبو الأعلى المودودي التشبه الى الصور التالية :

---

١ - رواه أبو داود في الصلاة ، باب بدء الأذان برقم ٤٩٨ . واسناده صحيح

٢ - رواه أبو داود في الصوم ، باب ما روي أن عاشوراء يوم التاسع رقم ٢٤٤٥

٣ - رواه أبو داود في حديث طويل برقم ٤٠٣١

٤ - رواه البخاري في اللباس باب اعفاء اللحى

٥ - رواه أبو داود في الترجيل باب ما جاء في الرخصة

جنسي

أي تشبه أحد الجنسين بالآخر . وهذا يدل على انحراف في الفطرة ، وقد أصبح هذا الأمر شائعا في أيامنا هذه من مثل اقدام بعض الشباب المعاصر على لبس الحرير والذهب ، واقدام بعض الشابات على مشابهة الرجال في لباسهم كذلك.

ب – التشبه القومي

أي تشبه أمة بأخرى . وهو مناف للفطرة والعقل ولا يتولد الا عند انحطاط الأمة وتدهورها .

وقد عقد ابن خلدون فصلا في مقدمته (في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده) قال فيه :" والسبب في ذلك أن النفس ابدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه ، اما لنظر بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب...ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله " [1] .

جـ – التشبه الفردي

أي تشبه أفراد من أمة بأفراد أمة أخرى ، وهو دليل على ضعف السلوك الفردي ، وهو فعلة شنيعة أشبه بمن ينسب نفسه الى غير ابيه " [2] .

وأنى كان من أمر فان التشبه بالآخرين تعبير عن الهزيمة النفسية التي يعاني منها المقلد لغيره ، سواء وقع ذلك من الفرد أو من المجتمع . وقد كان ينبغي أن يجابه الغازي بالتحدي والمواجهة لا بالاستجابة التي تشعر باستمراء الغلبة والهزيمة أمامه .

---

[1] مقدمة ابن خلدون ص١٤٧

[2] – المودودي . الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة . ص١٦٨،١٦٩

ولا يقال ان اللباس أمر شكلي لا علاقة له بالمضمون ، بل ان اللباس تعبير عن فلسفة معينة يعتقدهـا ، وهو ينسجم مع طبيعة المبادئ التي يؤمن بها صاحبه .

وان من المفارقات المذهلة ما نشهده من حالة التردي التي وصل اليها كثير من المسلمين اذ صيروا أنفسهم تبعا للآخرين في عاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم وأزيائهم وأنماط حياتهم حتى باتت شخصيتهم صورة باهتة لشخصية الأجنبي ورجع الصدى لكل وافد دخيل على ديار الاسلام .

٥- شخصية تقوم على التكافل

التكافل في مفهومه الشامل معلم من معالم الأمة الاسلامية . وهو في اللغة مشتق من كفل يكفل ، وتكافل القوم أي كفل بعضهم بعضا وواله ووقف الى جانبه ، أما اصطلاحا فهو التزام الأفراد بعضهم نحو بعض في المجالات المادية والمعنوية على حد سواء.[١]

ويخطىء بعضهم حين يقصر التكافل على الجوانب المادية والمعاشية فقط ، في حين أنه أوسع مدى وأرحب مجالا . وقد قسم الدكتور مصطفى السباعي التكافل الى عشرة أقسام هي :

١- **التكافل الأدبي**: ويكون ذلك من خلال وحدة المشاعر ، وأن يحب كل فرد لأخيه ما يحب لنفسه.

٢- **التكافل العلمي** : ويتحقق من خلال اشاعة العلم وعدم كتمه ، فزكاة العلم نشره حتى لا يبقى هنالك أمي ولا جاهل.

٣- **التكافل السياسي** : فلكل مواطن الحق في المراقبة والنصح لأولياء الأمور. كما أن من حق الحاكم على الرعية السمع والطاعة .

٤- **التكافل الدفاعي** : ويظهر ذلك في الدفاع عن الأمة والجهاد في سبيل الله تعالى.

---

١ - محمد شوقي الفنجري ، المذهب الاقتصادي في الاسلام ، ص١٦٥

٥- **التكافل الجنائي** : ويظهر ذلك في نظام العاقلة في حالة القتل ، حيث يقوم أقارب الجاني بالتكافل فيما بينهم لدفع الدية ، فاذا لم يستطيعوا وجبت الدية في بيت المال .

٦- **التكافل الأخلاقي**: ويظهر في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٧- **التكافل الاقتصادي** : ويتمثل في النهي عن التبذير والتلاعب بالأسعار والمكاييل والاحتكار ..الخ.

٨- **التكافل العبادي** : ويتمثل في القيام بالعبادات التي تعد من فروض الكفايات كالأذان والاقامة وصلاة الجنائز .

٩- **التكافل الحضاري** : وذلك بانشاء المؤسسات الزراعية والصناعية والتجارية التي تبرز دور الأمة الحضاري واسهامها في الحضارة الانسانية .

١٠- **التكافل المعاشي** : وذلك بالتزام المجتمع برعاية ذوي الحاجة من فقراء ومرضى.[1]

وهذا النوع يطلق عليه بعضهم تعبير (التكافل الاجتماعي) . وهو خطأ منشؤه مجاراة الغربيين الذين يرون في هذا الجانب المادي غاية الغايات .

وعلى هذا فان التكافل في المجتمع الاسلامي عملية مستمرة متعددة الأبعاد ، وهو " ليس جهاز اسعاف يتحرك عند دواعيه - كما يتصور البعض _ ، انما هو تفاعل مستمر يتضمن مسؤولية متبادلة بين الأفراد عن رعاية الرخاء العام وتنميته ، بحيث يحس كل منهم ، وجدانيا وعمليا - ان هذا الرخاء العام موصول بحياته الخاصة، وأن ما ينال أخاه من خير أو شر عائد عليه لا محالة . وأن عملية الاسعاف أو الانقاذ جزء من منهاج ذلك التجاوب أو التكافل ، وليست هي كل ذلك المنهاج".[2]

---

[1] - د.مصطفى السباعي، اشتراكية الاسلام ص١٧٩-١٨٦

[2] - البهي الخولي، الثروة في ظل الاسلام ، ص٢٣٦

ان التكافل في المجتمع المسلم ان هو الا ضرب من موالاة المسلم لأخيه كما قال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ [1] . حتى لكأن المجتمع بأسره شخص واحد. قال صلى الله عليه وسلم " **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**".[2]

٥ - شخصيــة سويــة

الشخصية الاسلامية شخصية سوية ، فهي " **سوية في صفاتها وخصائصها، في آمالها وطبائعها ، في مقاييسها وموازينها ، هي الشخصية السوية التي لم تمسخ فطرتهـــا ولم تشوه جبلتها** ".[3]

انها تحيا في نور الله ، تتغشاها السكينة والرحمة ، قال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ [4] .

انها لا تعرف القلق والتوتر ، وعلام القلق وهي تؤمن أن الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه ، وليست هذه الدنيا أكبر همها ولا مبلغ علمها .

انها لا تعرف الهلع ولا الجزع . قال تعالى : ﴿ **ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا . الا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم ..**﴾[5] .

انهـــا تؤمـــن بالقـــدر خيره وشـــره مـــن عنـــد الله ، وأن مـــا أخطـــأك لم يكـــن ليصيبـــك ومـــا أصابـــك لم يكـــن ليخطئـــك ، وبهـــذا

---

١ - سورة التوبة ٧١

٢ - رواه البخاري في الأدب باب رحمة الناس والبهائم

٣ - د. عمر الأشقر ، معالم الشخصية الاسلامية ص.٢١

٤ - سورة الأنعام ٨٢

٥ - سورة المعارج ١٩-٢٥

توطـــــن النفـــس علـــى استقبـــال الأحـــداث بمـــا تقتضيـــه المواقـف . قـال تعالى : ﴿ **ما أصـاب مـــن مصيبـــة في الأرض ولا في أنفســكم الا في كتــاب مـــن قبـل أن نبرأهـــا ان ذلـك على الله يسير . لكيـــلا تأسوا على ما فاتكــم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [1] .

٦- شخصية واعية مخلصة

أما أنها واعيـة فلأنهـا تستجيب للنـداء الربـاني بضـرورة النظـــر والتفكر والتدبـــر والاشـادة بـالعلم والعلمـاء وأولي الألبـاب . انهـا ترتقـي في أسباب العلـم وتجعل من العلم سبيلها لتقوية دينها كمـا قـال تعـالى :﴿ **انما يخشـى الله مـن عبـاده العلماء** ﴾[2] .

والوعي لازم من لوازم اعداد الشـخصية وان لم يكـن شـرطا في وجودهـا ، فالحد الأدنى المطلوب أن يكون تفكير المسلم على أسـاس الاسـلام ، وأن يجعـل هـواه تبعا للاسلام كذلك . وزيادة الوعي والعلم أساس لترقية هذه الشخصية وسموها ، ولا يليق بالمسلم الا هذا . ومن هنا وجدنا أمة الأميين تنطلق بصورة سـريعة لتتبـوأ مركـز الصدارة بين الأمم في مجال العلم والمعرفة .

والوعي بحقائق هذا الدين وزيادة العلم والمعرفة ليس كافيا حتى يتمحص ذلك كله لله . قال تعالى ﴿ **فاعبد ا لله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص** ﴾ [3] .

ان الاخلاص لهذا الدين دون وعي قد يرتد على الدين بآثار سالبة ، فلم يكن الخوارج في مبدأ نشوئهم مظنة تهمة في اخلاصهم لهذا الدين ، ولكنهم أتوا مـن بـاب الوعي والفقه بهذا الدين ، فكـان خروجهـم وبـالا عليهـم وعلـى المسلمين ، وكـان

---

[1] - سورة الحديد ٢٢ ، ٢٣

[2] - سورة فاطر ٢٨

[3] - سورة الزمر ٢ ، ٣

حالهم أشبه بحال من يبني قصرا ويهدم مصرا . وما أكثر ما ابتلي الامام علي رضي الله عنه من هؤلاء وأضرابهم حيث كان يقول:" **قصم ظهري رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك** ".

وعلى الجانب الآخر فنحن ما زلنا نشهد في كل زمان ومكان من يشار اليه بالبنان في مجال الوعي والفقه ، ولكن اخلاصه لهذا الدين ليس بذاك . ألم يكن ابليس مشهودا له بالعلم والمعرفة ولكنه ارتكس في الجانب الآخر فابى واستكبر ؟!

٧- شخصية تجمع بين الأصالة والتجديد

والشخصية الاسلامية لا تنسلخ عن ماضيها وثوابتها ، ذلك أن من لا قديم له لا جديد له ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما الأصلان اللذان لا محيد عنهما . قال صلى‌الله عليه وسلم :" **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله** ".[١]

ولربما أغرى اهتمام العديد من الجماعات والمجتمعات الاسلامية بالقرآن والسنة ودعوتها الى العودة اليهما والتمسك بهما أن يقوم أعداء الاسلام من الغربيين بوصف هذه الجماعات والحركات بأنها أصولية . وهو وصف أقل ما يقال فيه انه كلمة حق أريد بها باطل ، ذلك أن هذا التعبير غربي المنشأ يحمل في ثناياه معاني سالبة ونذر شر بالنسبة للأنظمة السياسية القائمة .

ومع احتفاظ هذه الشخصية بأصالتها ، فانها تسعى الى التطور والتجديد دون أن تنكفئ على الأعقاب ، أو الوقوف عند حدود الثوابت التي تجسدها نصوص الشارع الحكيم . غير أننا ينبغي علينا أن نضع التجديد في اطاره المنضبط . تقول الدكتورة بنت الشاطئ : "ليس حتما في المنهج العلمي أن يكون الجديد نسخا للقديم. مجال التجديد يتسع لكل اضافة تكون بالنسخ أو التعديل ، وتكون كذلك بتصحيح

---

[١] - رواه مالك في الموطأ في القدر ، باب النهي عن القدر بلاغا

الفهم لقديم لابسته شوائب دخيلة عليه ، وتحرير مبادئ أسيء فهمها أو أسيء تطبيقها. بل ان المنهج يعد من التجديد أيضا ، تناول نظرية متداولة ومبادئ قديمة بمزيد بحث وتحقيق ، يؤيدها بأدلة لم تكن معروفة ، ويدعمها بتجربة أو استقراء كانت في حاجة اليه ".[1]

ومع أخذ ما ذكرته الدكتورة بنت الشاطئ بعين الاعتبار ، فاننا يمكن أن نشير الى بعض جوانب التجديد في المجالات التالية :

أ- مجال الفقه والاجتهاد، اذ يطلب في كل مسألة مستجدة بيان حكم الشرع فيها .

ب - مجال العلوم الانسانية والطبيعية ، فهي بحر لا ساحل له ، والله تعالى يقول:﴿**وما أوتيتم من العلم الا قليلا** ﴾[2] . ويقول بعض العلماء :" لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته لكنا قد بدأنا العلم بالنقيصة ، ولكنا نطلبه لننقص في كل يوم من الجهل ، ونزداد في كل يوم من العلم"[3]

جـ- رفض التقليد ، فالتقليد داء الأفراد والشعوب،وهو يقتل المواهب والابداع .

د- تغيير الأوضاع الفاسدة . قال تعالى : ﴿ **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [4] .

هـ- أساليب عرض الدعوة ، والادارة والتخطيط ، فكل هذه الأمور مما يمكن أن يدخلها التجديد والتطوير ، والمطلوب من المسلم أن يكون دائما في مستوى العصر الذي يعيش فيه .

---

[1] - د.عائشة عبدالرحمن ، الشخصية الاسلامية ، ص١٦٩

[2] - سورة الاسراء ٨٥

[3] - الماوردي ، أدب الدنيا والدين ص٤٣

[4] - سورة الرعد ١١

ونحن اذ نكتفي بعرض السـمات المتقدمة للشخصية الاسلامية ، فاننا نعتقد أن هنالك سمات أخرى بحاجة الى بيان ، أتينا على ذكر بعضها فيما عرضنا من نصوص قرآنيـة وأحاديث شريفة .

وسائل تربية الشخصية الاسلامية ووسائطها

هنالك وسائل ووسائط كثيرة يمكنها أن تسهم في بناء الشخصية الاسلامية المنشودة نذكر منها [1] :-

١- الأسرة المسلمة

تعد الأسرة المسلمة المحضن الأول الذي يتم فيه تشكيل شخصية الطفل ، وحتى يكون هذا البناء في صورته المثلى فقد أرسى الاسلام الأسس السليمة لتكوين الأسرة اياها ، فحض على حسن اختيار كل من الزوجين للآخر وأن ينظر أحدهما الى الآخر قبل الخطبة ، وأن يكون لاعتبار الدين أولوية على ما سواه من اعتبارات المال والحسب والجمال، حتى اذا تم الزواج أمرهما الشرع بتقوى الله ورتب لكل منهما حقا على الآخر ، فاذا رزقا طفلهما طلب أن يحسنا تسميته وجعل له حقوقا ثلاثة : حق النسب وحق الولاية وحق الرضاعة . فاذا تجاوز مرحلة الرضاعة كان لا بد من من الشروع في تربيته تربية أخلاقية رفيقة على الآداب والفضائل الاسلامية مما له صلة بالأكل والشرب والتعامل مع عناصر البيئة المجاورة .

وتعد هذه الفترة المبكرة مهمة جدا في تكوين الشخصية ، فالوفاق الزوجي المضمخ بالمحبة والود كفيل بأن يزرع السكينة في نفس الطفل ، فيشب صحيحا سويا . قال تعالى :﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [2] .

---

[1] عبد الرحمن النحلاوي ، أصول التربية الاسلامية وأساليبها ص١١٩-١٦٧

[2] - سورة الروم ٢١

وان من الأهمية بمكان أن يفرغ الأبوان في نفس طفلهما العطف والحنان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال :" قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع :" ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ". فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :"من لا يرحم لا يرحم ".[1]

ان علينا أن نتذكر أن الصحة النفسية للطفل لها من الأهمية مثل ما للغذاء ، ولا أدل على ذلك مما نراه في مؤسسات الأحداث الجانحين الذين يتحمل الأباء من جنوحهم الوزر الأكبر .

فاذا بلغ الطفل مرحلة التمييز كان لا بد من تربيته تربية دينية على أركان الاسلام من صلاة وصيام ، حتى اذا بلغ الطفل مرحلة البلوغ كان قد مرن على هذه الأركان وأصبحت العبادة في حقه عادة تتعزز يوما بعد يوم . قال صلى الله عليه وسلم :" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليه وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع ".[2]

هذا ولا يتوقف دور الأسرة عند هذا الحد ، فدورها مستمر بالتعاون مع المؤسسات الأخرى .

٢- المؤسسات التعليمية

تسهم المؤسسات التعليمية من مدارس وكليات وجامعات بصورة مباشرة في تغذية الجوانب العقلية والنفسية والجسمية للناشئ ، وهي في رسالتها هذه تحقق التكامل مع رسالة الأسرة .

---

[1] - رواه البخاري في الأدب باب رحمة الولد وتقبيله

[2] - رواه أبو داود في الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة

وقد تجاوزت المؤسسات التعليمية الاهتمام بالجانب المعرفي الى الجوانب الأخرى في بناء الشخصية ، فبعد أن كانت تسمى الوزارة المعنية بالتعليم " وزارة المعارف " أصبحت تسمى " وزارة التربية والتعليم "، وهذه التسمية ذات دلالة تحمل في طياتها معالم تغيير واسعة في الأهداف . وقد روعي مثل هذا التوجه في تسمية المواد التعليمية المقررة ، فلم تعد هذه المواد باسمها القديم (رياضة ، صحة ، فن ...) وانما تربية رياضية ، تربية صحية ، تربية فنية وهكذا .

وان أداء هذه المؤسسات لدورها التربوي منوط بمقدار ارساء مناهجها على أسس اسلامية،بحيث لا تتعارض فلسفات مناهجها تعارضا ينعكس على الناشئة في المحصلة النهائية .

ويعنينا أن نشير الى أن هنالك مؤسسات أخرى لها أثرها الواضح في الجانب العلمي والتربوي للناشئ مثل وزارة الثقافة ، ولا بد هنا من تحقيق التنسيق والتكامل بين هذه المؤسسات ، والا كان الحصاد غير ما نتمناه .

٣- المجتمع

أما دور المجتمع الاسلامي في تشكيل الشخصية الاسلامية للفرد فمتعدد الأبعاد، ومن ذلك :

أ- القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [١] . والقيام بهذا الواجب يكفل تقويم الناشئ وتهذيبه .

ب – تأديب الفرد الناشز عن طرق شتى منها الهجر والمقاطعة كما حصل مع كعب بن مالك رضي الله عنه عندما تخلف عن جيش العسرة المتجه الى تبوك دونما عذر ، ومنها النقد اللاذع والضرب على يده كما قال صلى الله عليه وسلم :"

---

١ - سورة آل عمران ١١٠

أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ". فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما ، أفرأيت اذا كان ظالما أنصره ؟ قال : **تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره**"[1] وقد يكون ذلك بايقاع العقوبة عليه ، سواء كانت عقوبة حدية أو تعزيرية أو قصاصا .

جـ- التوجيه عن طريق مجتمع الرفاق ، ومعلوم أثر الصديق في توجيه صديقه. قال صلى الله عليه وسلم:" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[2] . ويقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

د- القيام بنشاطات اجتماعية في مجال التعاون وغيره . قال تعالى :﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**﴾ [3] . وهذه النشاطات تشحذ الفرد وتوجهه توجيها ايجابيا يغني الجانب الاجتماعي والنفسي في شخصيته .

هـ- وهناك مجالات التكافل الاجتماعل المتنوعة سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو العبادي أو المعاشي وغيرها مما يسهم في صقل شخصية الفرد وتوجيهها.

٤- القدوة الحسنة

الانسان مفطور بطبيعته على تقليد الآخرين منذ سني طفولته الأولى ، يقلد الطفل أباه ، ويقلد معلمه ، ويقلد عظيما من العظماء يحبه ، ولكنه قد لا يجد من هؤلاء جميعا من يروي حبه للعظمة ، ولذا فان على المسلم أن يتوجه الى القرآن الكريم والى السنة الشريفة يرى النموذج الأرفع للقدوة ممثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [4] .

---

[1] - رواه البخاري في الاكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه

[2] - رواه ابو داود في الأدب ، باب من يؤمر أن يجالس

[3] - سورة المائدة ٢

[4] - سورة الأحزاب ٢١

وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : **كان خلقه القرآن** ".

ولما كان الطفل شديد التعلق بوالديه ومعلميه ، فان حقا على هؤلاء أن يجتهدوا في أن يكونوا نماذج تحتذى لهذا الطفل ، فان الطفل يرقب سلوكاتهم ويحاول أن ينسج على منوالهم ، فليكونوا من أمرهم على بصيرة . ومما يروى بهذا الصدد أن ابن حبيب كتب كتابا الى معلم بنيه يقول فيه :" أما بعد ، فلتكن أول ما تؤدب نفسك ، فان عيني متعلقة بهم ، وأعينهم متعلقة بك ، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت ".[1]

٥- الدولة

يظهر أثر الدولة الاسلامية في اعداد الشخصية الاسلامية من خلال ما يناط بها من مهمات ومسؤوليات شتى على كافة المستويات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وفي مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والتربوية والعمرانية .. الخ ، يعزز ذلك كله وجود سلطة مسؤولة ذات قدرة على الزام الفرد والمجتمع وتوجيههما نحو الغاية التي تريد ، وهي هنا في الدولة الاسلامية ، القيام بواجب الخلافة في الأرض . ووجود السلطة ذات الطابع الالزامي هو ما يميز الدولة عن غيرها من الوسائل والوسائط الأخرى في تكوين الشخصية الاسلامية وتربيتها ، ومن هنا قيل : يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ان غياب وجود هذه الدولة الملتزمة بشرع الله ، الحريصة على نشر الاسلام وتحقيق الأخوة الاسلامية ومبادئ العدل والمساواة ، العاملة على حمل راية الجهاد وضد أعداء الاسلام، القائمة على حدود الله وتطبيق منهجه ، أدى الى اضطراب في تشكيل ملامح هذه الشخصية المنشوده ، حتى أصبحت صوره هذه الشخصيه مهتزة

---

[1] - د.عبدالهادي التازي ، المغراوي وفكره التربوي ص٨١

في نظر أبنائها قبل أن تكون كذلك في أعين الآخرين . وأصبح حمى الاسلام نهبا مستباحا وهدفا سهلا لكل طامع . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول:" **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها** ". فقال قائل: من قلة نحن يومئذ؟ قال : **بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن** ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : **حب الدنيا وكراهية الموت** ".[١]

الغزو الثقافي *

تمهيد

لقد أدرك أعداء الاسلام وأعداء ثقافته أن مواجهة الاسلام بالقوة العسكرية وأساليب القمع والارهاب لن تحقق مآربهم في التخلص من الاسلام ، والحد من انتشاره ، وقد جربوا ذلك في الحروب الصليبية المتكررة في العصور الوسطى والعصر الحاضر ، التي اجتاحت العالم الاسلامي فلم يفلحوا في ذلك .

وأدركوا كذلك أن الغزو العسكري لديار الاسلام غير مجد لأنه كثير التكاليف المادية والبشرية فلا بد اذا من طريقة أخرى يدخلون بها الى ديار الاسلام فتوجهوا الى غزوه ثقافيا وفكريا وعقليا.

والاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الاسلامي من بضعة قرون كان مزدوج الهدف ، فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة حيث يراها ميراثا لا صاحب له ، وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة ، حيث يكره الاسلام وأهله كراهية شديدة ،

---

١ – أخرجه أبو داود في الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الاسلام رقم ٤٢٩٧

* كتبه د.خالد القضاة

ويشتد كرهه للعرب خاصة ، فهم قوم محمد صلى الله عليه وسلم وحملة رسالته ، وما تزال لغتهم مستودع كتابه وسنته .

فلما واتته الفرصة ووضع يده على أقطارهم شرع يضرب الاسلام بقوة ومكر، ومضى دون هوادة يجهز على فلوله الثقافية الخائرة بعد ما دحر جيوشه العسكرية في مواطن كثيرة .

وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين ، المغلوب أهله على أمرهم ، في جميع الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية . وأفلحت في تكوين أجيال تنظرالى ماضيهاكله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغي أن تختفي ليحل محلها البناء الجديد الذي وضع الغرب حقيقته وصورته .

و لم تكن المعركة سهلة على أية حال ، فالمقاومة شديدة ، ورجالها مخلصون ، وكلما ظن الغزاة أنهم انتصروا بدت لهم الغاية أبعد والعقبات أشد .

مفهوم الغزو الثقافي :

يقصد بالغزو الثقافي : الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الاسلام لازالة مظاهر الحياة الاسلامية ، وصرف المسلمين عن التمسك بالاسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك .[1] ويمكن أن يطلق عليه ما يسمى اليوم " الحرب الباردة " أو بعبارة أخرى : هو قيام مجتمع ما أو حضارة بمحاولة لفرض ثقافتها على مجتمع آخر بنيّة الاعتداء والسيطرة والهيمنة . ولهذا فالغزو الثقافي الذي هو شكل من أشكال الغزو ، يختلف عن التبادل الثقافي بين مجتمعين ، والذي يتم باختيار الطرفين المتبادلين ، ويختلف عن التأثير الثقافي الذي يحدثه كنتيجة طبيعية للاحتكاك والاتصال بين المجتمعات .[2]

---

١ - واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، ص١٩٥

٢ - مدخل جديد الى الثقافة الاسلامية ، د.عزمي طه السيد ، ص ٧١

أهداف الغزو الثقافي

أولا: القضاء على الاسلام وتمزيق المسلمين وعزلهم عن دينهم وتراثهم وثقافتهم :-

أدرك أعداء الاسلام أن الاسلام خطر عليهم فهو يهدد الغزاة الطامعين في عقر دارهم فتوجسوا خيفة من القرآن العظيم ، ومن وحدة المسلمين ، ومن نظام الاسلام ، وأدركوا أن القوة كامنة في مصادر ديننا العظيم ، ومن هذا المنطلق كانت مخططاتهم لمحاربة الاسلام ، ونزع القرآن العظيم من صدور أبنائه والقضاء على كل وحدة بين أبناء المسلمين وجعلهم أمما وشيعا .

يقول المستر " غلادستون " وزير بريطانيا الأول وأحد المؤسسين الكبار للاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط : " ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، بل ولا أن تكون هي نفسها في مأمن "[1]

ويقول وليم جيفورد بالكراف :" متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه " [2]

وأما عن خطر وحدة المسلمين على الغرب فيقول القس سيمون :" ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر ، وتعبر عن آمانيهم ، وهي التي تساعدهم على رفض السيطرة الأوروبية والتخلص منها "[3]

وصدق الله العظيم اذ يقول :﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾ [4]

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ [5]

---

١ - الغزو الفكري - أهدافه ووسائله ، د. عبدالصبور مرزوق ص ١٥

٢ - الغارة على العالم الاسلامي ، ترجمة محب الدين الخطيب ،ص٩٤

٣ - العزو الفكر - أهدافه ووسائله ، ص١٥

٤ - آل عمران ١٠٣

٥ - الأنفال ٤٦

ومما تجدر الاشارة اليه أن ما نقلناه من هذه الأقوال وغيرها انما يمثل موقف كل القوى المعادية للاسلام سواء في ذلك الاستعمار أم الشيوعية أم القوى المحركة لها جميعا وأعني بها الصهيونية العالمية ، فهذه الجبهات - على ما قد يبدو بينها من عداء ظاهري ، أو تنازع على المصالح ، أو تعارض في بعض وجهات النظر السياسية ، الا أنها جميعا - وبلا استثناء - تتخذ من الاسلام موقفا موحدا في معاداته ، وتتعاون جميعا في العمل على تصفيته والقضاء عليه باعتباره - كما يعتقدون - الخطر الحقيقي الذي يتهددهم والعقبة التي تحول دون أطماعهم المشتركة في السيطرة على الكون والانسان ، وخير شاهد على ذلك ما يجري في الشيشان والبوسنة والهرسك وكشمير، والفلبين وغيرها من تصفية للمسلمين على مرأى ومسمع من العالم أجمع .

ثانيا : منع الاسلام من الانتشار خارج ديار المسلمين :

لقد كان من استراتيجية الأعداء محاولتهم محاصرة الاسلام داخل ديار المسلمين وأن يعملوا بكل الوسائل والطاقات لوقف انتشاره خارج دياره ، حتى لا يتأثر الناس من غير المسلمين به ، فأخشى ما يخشاه الغربيون هو انتشار الاسلام في البلاد الغربية ، ولكن ولله الحمد والمنة أصبحنا نشاهد الاسلام ينتشر في تلك البلاد رغم ما يضعونه أمام انتشاره من عراقيل وعقبات .

وكانت لهم في ذلك وسائل متنوعة تقوم أولا وأخيرا على تشويه حقائق الاسلام واظهار أتباعه في أبشع وأسوأ صوره . وسأبين هذه الوسائل فيما بعد ان شاء الله .

ثالثا : التمهيد للاستعمار في صوره المختلفة :

ان ما سبقت الاشارة اليه من تخطيط الغزاة لا يمثل الا الجانب السلبي في الموقف ، وهو الذي يحقق أخيرا شل فاعلية هذا الدين وعزله وتحديد اقامته داخل دياره .

أما الجانب الأكبر في الموضوع فهو التحرك الايجابي لضرب هذا الدين داخل حدوده وتقويض الايمان به بين أتباعه ، وهو يشبه في العمل العسكري تصفية قوات العدو بفرض الحصار عليها .

وهذا الضرب من الداخل وما نسميه نحن " الغزو الثقافي " وان كان لا يعتمد على المواجهة العنيفة ، ولا يستخدم القوة المباشرة كما في حالة الغزو العسكري لكنه مع هذا أعظم خطرا وأجدى على الغزاة من نواح كثيرة منها :

أ- يفقد المستهدفين بالغزو حالة الانتباه اليه والاستعداد له .

ب- يتفادى جميع أسباب المقاومة التي يمكن أن يتعرض لها في حالة المواجهة السافرة .

جـ- قليل التكلفة على الغزاة ، بينما نتائجه وآثاره أبعد مدى من نتائج أي غزو عسكري ، لأن الغزو العسكري تنتهي آثاره بانسحاب قوات الاحتلال ، أما الغزو الثقافي فيبقى مع الناس لأنه يستعمر العقول والقلوب .

د- وسائل الغزو العسكري بشعة ومنفرة قوامها الدم والتضحيات والخراب، بينما وسائل الغزو الثقافي خادعة ومحفوفة بالشهوات .

وقد اتخذوا في تحقيق أهدافهم هذه عدة طرق أهمها :

١- نشر الأباطيل حول شريعة الاسلام ومهاجمتها .

ومن هذه الأباطيل الزعم بأن القرآن الكريم لم ينزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ، ولكنه افتراه وتقوله ، وهي فرية قديمة نطقت بها أفواه المشركين منذ صدر الدعوة الأولى ، ورد عليها القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية وكلها ترد على مزاعمهم وتبطل شبهاتهم .

وزعموا كذلك أن الاسلام ليس سوى اقتباس من كثير من الشرائع والديانات السابقة ؟ والهدف من وراء ذلك واضح وهو محاولة صرف أنظار أتباعهم عن التأثر بهذا الدين أو حتى عن مجرد النظر فيه بدعوى أن ما جاء فيه موجود عندهم .

ومن ذلك ما قام به أعداء الشريعة الاسلامية من هجوم عليها وتنفير أتباعهم من الاسلام واستنفروهم ضده فصوروه لهم على أنه الدين الذي لا يسير الا بالسيف، والذي يحول أتباعه الى متوحشين وقتلة وارهابيين .

وآثاروا بأن الاسلام مصدر خطر ، لأنه الدين الذي يقر العنف ويبيح رؤية الدماء بدليل قطع يد السارق ، ورجم الزاني المحصن ، وضرب عنق القاتل وكذلك سعوا الى الانتقاص من التشريع الاسلامي وابراز محاسنه في صورة عيوب ونقائص . فموضوع الطلاق وتعدد الزوجات الذي يعتبر - بكل ما يكتنفه من ضوابط - رحمة من الحق سبحانه بعباده ، صوره هؤلاء لأتباعهم وللعالم كله على أنه ضرب من الهمجية وفوضى الجنس يبيحها هذا الدين للمسلمين .

ومن الغريب أن الغزاة الذين يعيبون تعدد الزوجات أو الطلاق تعترف مجتمعاتهم علانية بحق الرجل وهو متزوج بأن تكون له خليلة بل خليلات بالحرام وأن يكون له منهن أولاد وذرية.

٢- تجسيم مظاهر الضعف في ديار المسلمين وحملها على الاسلام :

ولكي يحول الأعداء بين أتباعهم وبين الاتصال بهذا الدين العظيم والتعرف على خصائصه ، حاولوا بتخطيط واع وماكر أن يلصقوا بالاسلام كل الأخطاء والانحرافات التي كان يتورط فيها بعض المسلمين ، وكانوا بوسائلهم المختلفة يصفون صورة المجتمع الاسلامي في أسوأ ظروفه السياسية والاجتماعية يضعونها تحت أعين أتباعهم ويقولون لهم : هذا هو الاسلام ، وقد نتج عن هذا أن كانت الصورة الشائعة

- وما تزال عند كثير من الغربيين حتى اليوم - أن كلمة مسلم تعني التخلف والعجز وعدم الصلاحية لممارسة أي دور حضاري .

ولكن الاسلام اذا ما مارسه المسلمون على وجهه الصحيح يصنع منهم العجائب أفرادا وجماعات ، أما اذا تخلوا عنه تعرضوا للتخلف والانحدار ، فالذنب ذنبهم وليس ذنب الاسلام وهذا ما يسلم به الأعداء جميعا ويدركونه في أعماقهم - لكنهم - يحاولون أن يشوهوا صورة الاسلام حتى تفقد اغراءها وتأثيرها على أتباعهم ، ومن ثم يحمّلون الاسلام - بالباطل وبالتضليل - أخطاء المسلمين .

أساليب الغزو الثقافي

لقد اتخذ الغزو الثقافي أنماطا وأساليب متعددة من أبرزها :

أولا: التبشير أو التنصير

التبشير في أصل اللغة العربية هو الاخبار المفاجئ بخبر يظهر أثره على بشرة الوجه خاصة ، وعلى باقي الجسم عامة . سواء أكان هذا الخبر سارا أم سيئا .

ولكن غلب استعماله في الاخبار المفاجئ بخبر سار وطيب ، يسر له الانسان، حين يسمعه ويقابله : الانذار . وقد جاء في القرآن الكريم كثيرا استعمال هذه المادة " بشر وما يؤخذ منها " ، في الاخبار بخبر سار قال الله تعالى : ﴿ **يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان** ﴾ [1] ويقول تعالى أيضا : ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ [2] الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ويكون اطلاق لفظ التبشير " على ما يقوم به المبشرون من نشر للدين المسيحي ، وما يقومون به في خدمة المسيحية ودولها هو من واقع نظرتهم هم .

---

[1] - التوبة ٢١

[2] - الزمر ١٧، ١٨

ونحن نستعمل هذه الكلمة مجاراة لهم ، حيث أطلقوها على عملهم في تدمير الاسلام وغيره ، مدعين أنهم يزفون للعالم الاسلامي وغيره طريق الخلاص عن طريق المسحية ، ويبشرونه بهذا ، على حين نحن نعتقد أن ما يفعلونه هو طريق الهدم للاسلام . وعملهم هذا هو شر بالنسبة لنا في حقيقته ، وليس فيه بشارة لنا بل هو انذار بعاقبة وخيمة بالنسبة لديننا وبلادنا .

وقد اتخذت حركة التبشير طرقا متعددة ووسائل مختلفة لتحقيق أهدافها في نشر ثقافة الغرب وجعلها تسود مكان ثقافة البلاد التي يصل اليها التبشير ورجاله ومن هذه الوسائل ما يلي :

أ- التعليم : لقد اهتم المبشرون بانشاء المدارس والمعاهد والكليات الجامعية في الدول الاسلامية ، وتنحصر السياسة التعليمية عند المبشرين بأنها سياسة تهدف الى استخدام العلم وسيلة لأغراض التبشير من جهة - ولأغراض الدول الاستعمارية من جهة أخرى، وذلك بنشر أفكارهم العامة وثقافتهم من خلال المناهج الغربية التي يدرسونها لابناء المسلمين .ومن هذه المعاهد والكليات الجامعة الأمريكية في بيروت ، وكلية " غوردن " في الخرطوم (أصبحت فيما بعد جامعة الخرطوم ، وغيرها .

يقول نفر من المبشرين عن أهداف هذه المدارس والكليات :" ان أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الارساليات في جميع البلاد كان دائما متشابها ، ان المدارس والكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى وسيلة لتحقيق أهداف التبشير حتى ان الموضوعات العلمية البحته التي تعلم من كتب غربية وعلى أيدي مدرسين غربيين تحمل من الآراء التبشيرية "١

---

١ - أجنحة المكر الثلاثة ص ٦١ - التبشير والاستعمار ص٦٦

وتقول المبشرة "انا ميليجان" : "ان المدارس التبشيرية في بلاد العرب والمسلمين أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي ، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم "[1]

ب- اقامة المستشفيات والعيادات الطبية ، التي تقدم للفقراء العلاج المجاني .

لقد استغل المبشرون آلام البشر فخرجوا عن كل نبل في الطبيعة الانسانية ، وسخروا الطب في سبيل غاياتهم ، وحسبنا دليلا قولهم :" حيث تجد بشرا تجد آلاما، وحيث تكون آلام تكون الحاجة الى الطبيب ، وحيث تكون الحاجة الى طبيب فهنالك فرصة مناسبة للتبشير ، وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستارا يتقربون به من المريض "[2]

ولقد استغل المبشرون كل شيء في سبيل التنصير أو محاولة التنصير ، حتى الممرضات فيرى هؤلاء أن الممرضة لا تعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط ، بل تحمل اليهم رسالة المسيح .

جـ- انشاء المكتبات ونشر المطبوعات واستخدام الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة .

استغل المبشرون جميع أوجه النشاط الاجتماعي للتبشير من انشاء المكتبات وتأليف الكتب واستخدام الصحافة والنشرات وذلك لنقل صور الثقافة الغربية المختلفة وتزيينها عند أبناء المسلمين .

د- انشاء الجمعيات والنوادي التي تضم اليها أبناء المجتمع العربي والاسلامي ، وادارة هذه الجمعيات والنوادي ورسم سياستها وأهدافها خاضعة للمبشرين ، وقد استطاعت هذه الجمعيات والنوادي من التأثير في ثقافة قطاع كبير من أبناء المسلمين من خلال أساليبهم الجذابة كالحفلات والرياضة وغيرها .

---

[1] - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص٩٢ ، أجنحة المكر الثلاثة ص٦٢

[2] - التبشير والاستعمار ص٥٩

ثانيا : الاستشراق

الاستشراق : مصدر الفعل استشرق أي اتجه الى الشـرق ، وتزيا بـزي أهلـه وتعلم لسانه لغته .

ولقد أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسـات الـتي يقـوم بهـا علمـاء مـن الغرب لعلوم الشرقيين ، ولغـاتهم ، وأديـانهم ، وتـاريخهم ، وأوضـاعهم الاجتماعيـة ونحو ذلك .

والاستشراق : حركة ولدت منذ قـرون وهـي في ظاهرهـا - حركـة علميـة يراد منها دراسـة الـتراث الشـرقي في معتقداتـه وآدابـه ، ولكنهـا تريـد مـن وراء هـذا التعرف على منابع هذا الـتراث ، محاولـة صرف أهلـه عنـه ، ليولـوا وجوههـم شـطر الغرب ويتعلقوا بركاب حضارته .[١] وعمر هذه الحركة طويل يعود الى مئات السنين.

والمستشرق : هو من درس لغة أو أكثر من لغـات الشرق ، ثـم درس بهـذه اللغة علوم تلك اللغة وفنونها وآدابها ومعتقدات أهلها .

طبيعة عملهم

بدأ الغرب دراسة العربية للترجمة منهـا في وقـت مبكـر بقصـد الاسـتفادة مـن علوم العرب ، وفيه اشباع رغبتهم في التهجم على الاسلام والنيل منه ، واسـتمر هـذا قرونا ، ثم بدأت بعض دراسات حيادية من بعضهم القليل ولكن هذا قليل جدا .

يقول الدكتور اللبان :" ان الاستشـراق عمليـة قديمـة بـدأت منـذ قـرون ثـم تطـورت ولبست أثوابا شتى ، واستعملت أساليب مختلفة وتحكمت فيها نـوازع متباينـة ، وقـد

---

١ - القرآن والمنهج العلمي المعاصر ، المستشار عبدالحليم الجندي ، ص ١٧٩

قاموا بترجمة القرآن أيام الحروب الصليبية بقصد العثور على مطاعن يطعنون بها الاسلام ".[1]

ويقول أيضا :" ثم تطور الاستشراق تطورا جديدا وهاما جدا ، بخاصة من ناحية المقاصد ، فبعد أن كان مسخرا لخدمة التبشير ، ومقتصرا على رجال الدين وحدهم دون سواهم من الطبقات المثقفة ، لبس ثوبا جديدا فصار علما قائما بنفسه، هدفه دراسة اللغات الشرقية وآدابها ، وأنشئت لذلك أقسام وكليات في بعض الجامعات "[2] .

دوافع الاستشراق

باستطاعتنا تلمس دوافع الاستشراق من أعمال المستشرقين أنفسهم ، وما حققوه من أهداف ، ومن النظرة التاريخية الى واقع الدولة الغربية قبل أن تنبت فيها ظاهرة الاستشراق والى واقع حالها بعد ذلك ، ومن النظر الى صلة الاستشراق بالتبشير بالمسيحية والى صلته بالاستعمار نخلص الى هذه الدوافع وهي :-

أ- الدافع الديني التبشيري

ان الدافع الأول للاستشراق هو الدافع الديني ، فقد بدأ بالرهبان ثم استمر ، ومعظم المستشرقين من رجال الكهنوت الذين كان يهمهم أن يطعنوا في الاسلام ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الاسلام دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي .

ويزينوا لهم ما في المسيحية من تعاليم وأحكام ، واستدراج المسلمين للأخذ بالحضارة المادية الحديثة ، وما فيها من مغريات للنفوس ، لادخال الوهن الى العقيدة

[1] - الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستفزاء ، د. عبدالمنعم نمر ص ١٧٦

[2] - القرآن والمنهج العلمي المعاصر ، ص١٧٩ ، الثقافة بين الغزو والاستفزاء ص١٧٦

الاسلامية ، والتشكيك في التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية وكل ما يتصل بالاسلام من علم وأدب وتراث .

ب – الدافع الاستعماري

لم ييأس الغربيون بعد هزائم الصليبيين في الحروب الصليبية من العودة الى احتلال البلاد العربية والاسلامية ، فاتجهوا الى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وأخلاق وتراث ولغات وتاريخ ، من أجل أن يتعرفوا الى مواطن القوة فيها فيضعفوها والى مواطن الضعف فيغتنموها .

ولما تم لهم الاستيلاء والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا ، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث ، وما عندنا من عقيدة وقيم انسانية ، والغرض من ذلك أن نفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية ، والمبادئ العقائدية وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة .

ومنها احلال مفاهيم جديدة أو احياء مفاهيم جاهلية ماتت منذ تمكن الاسلام في قلوب المسلمين ، كالقوميات الفرعونية ، والفينيقية والآشورية والعربية والكردية والرومانية والتركية والفارسية وغير ذلك ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الاسلامية وتمزيق وحدتها .

جـ – الدوافع الاقتصادية

ومن الدوافع التي حرضت كثيرا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الاسلامية غزوا اقتصاديا ، يهدفون منه الى الاستيلاء على الاسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة والاستيلاء على الثروات الأرضية ،

واستغلال الموارد الطبيعية ، والحصول عليها بأبخس الأثمان ، واماتة الصناعات المحلية، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الآلية الغربية .

د- الدافع السياسي

لقد أخذ هذا الدافع يتجلى في عصرنا الحاضر وبعد استقلال أكثر الدول العربية والاسلامية استقلالا شكليا فقد رأت البلاد الاستعمارية حاجتها السياسية تقضي أن يكون لها في كل سفارة من سفارات الدول الغربية من لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة في بلاد المسلمين ، منها الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم، وبث الاتجاهات السياسية التي تريدها الدول الاستعمارية فيهم ، ومنها الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية في البلاد .

هـ- الدافع العلمي

هناك نفر قليل من المستشرقين أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغتها ، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الاسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف ، فجاءت أبحاثهم أقرب الى الحق والى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين ، بل ان منهم من اهتدى الى الاسلام وآمن برسالته .

على أن هؤلاء لا يوجدون الا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف الى الاستشراق بأمانة واخلاص ، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا ، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين ، لذلك فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا ، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين [1].

---

[1] - أجنحة المكر الثلاثة من ٩١-٩٤

أهداف الاستشراق

من الواضح أن أبرز هدف للمستشرقين من دراساتهم ، هو تحويل المسلمين عن دينهم، واضعاف مثل الاسلام وقيمة العليا من جانب ، واثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر ، واظهار أي دعوة للتمسك بالاسلام بمظهر الرجعية والتأخر وتقطيع أوصال جماعتهم وبثها الى وحدات صغرى متقاطعة متنافرة متدابرة فقصارى القول في هذا ما قاله الله تعالى فيهم :﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا** ﴾[1] .

ويمكن تلخيص هذه الأهداف والوسائل فيما يلي :-

أ- انكار أن يكون القرآن الكريم كتابا سماويا منزلا من عند الله تعالى . فيزعمون أنه مستمد من أناس كانوا يخبرون الرسول صلى الله عليه وسلم بها ، ويجعلون القرآن الكريم مأخوذا من كتب أهل الكتاب ، ويتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا .

ب- التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهم ينكرون أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا موحى اليه من عند الله تعالى ، وأنزل عليه كتابا من لدنه .

جـ- انكارهم أن يكون الاسلام دينا من عند الله ، وانما هو ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية .

د- التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماء المسلمين المحققون ، ويتذرع هؤلاء بما دخل على الحديث النبوي الشريف من وضع ودس ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماء الاسلام لتنقية الحديث الصحيح .

والذي حملهم على ذلك ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماء المسلمين من ثروة فكرية وتشريعية مذهلة .

---

[1] - البقرة ٢١٧

هـ- التشكيك بقيمة الفقه الاسلامي ، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور ، فلما رأوا عظمة هذا الفقه لم يجدوا بدا من الزعم بأن هذا الفقه مستمد من الغربيين وعلى الأخص الفقه الروماني .

و- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ، لتظل الأمة العربية المسلمة عالة على مصطلحات الغربيين ، وبذلك تشعر الأمة بفضل الغربيين وسلطانهم الأدبي .

ز- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري بدعوى أن الحضارة الاسلامية منقولة عن حضارة الرومان واليونان ، ولم يكن العرب والمسلمون الا نقلة لفلسفة تلك الحضارات وآثارها ، ولم يكن لهم ابداع فكري ولا ابتكار حضاري ، وحين يتحدثون بشيء من الحضارة الاسلامية وحسناتها ، فانما يذكرونها على مضض ومع انتقاص كبير [1].

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم الا سلكوها ومنها :

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والتاريخ الاسلامي ، وفي أكثرها من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو في فهمها واستنباط المعاني منها .

٢- اصدار المجلات الخاصة لبحوثهم حول الاسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم .

٣- امداد ارساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ، ودعمها بما تحتاج اليه من جهودهم .

٤- القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، ومن المؤسف أن أشدهم خطرا وعداء للاسلام كانوا يستدعون الى الجامعات العربية والاسلامية لالقاء المحاضرات التي يتحدثون فيها عن الاسلام ، ويدسون فيها ما يتيسر لهم دسه من أفكار .

---

[1] - أجنحة المكر الثلاثة . ص ٩٤-٩٨

٥- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق ومـا زالـوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣م حتى الآن .

٦- نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد الاسلامية ، وقد استطاعوا أن يستأجروا عـددا من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم .

٧- انشاء الموسوعة الاسلامية " دائرة المعارف الاسلامية " وقد أصدروها بعدة لغـات وقـد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عـداء للاسـلام ، ودس فيهـا السـم بالدسـم وملئت بالأباطيل عن الاسلام وما يتعلق به ١ ، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفـين من المسلمين اذ يعتبرونها حجة فيما تورده من معارف .

ثالثا : التغريب

يعني مفهوم التغريب ايجاد عقلية جديدة تعتمد على تصـورات الفكـر الغربـي ومقاييسه ثم تحاكم الفكر الاسـلامي والمجتمـع الاسـلامي مـن خلالهـا بهـدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم ولا سيما الحضارة الاسلامية ٢.

والتغريب حركة موجهة لصبغ الثقافة الاسلامية بصبغة غربية ، واخراجها عن طابعهـا الاسلامي الخالص ، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانهـا وتـذوب فيما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر الأممي .

والتغريب حركة كاملة البناء له نظمه ووسائله وأهدافه وقادته ودعاته ، وهـو يعتمد على وسائل الاعلام المختلفة من مذياع ، وتلفاز ، وصحافة ، كما يعتمد علـى دور الثقافة والمدارس .

---

١ - التفكير الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ؛ د. محمد البهي ، ص ٥٣٠-٥٣٦

أجنحة المكر الثلاثة ص ٩٨-٩٩

٢ - شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي . أنور الجندي ص ١٣

ولا ريب أن هذا المخطط من أقسى ما يواجهه الفكر الاسلامي في العصور المختلفة لأنه وليد الاستعمار ، وربيب الاستشراق ، وابن التبشير ، وهو فوق ذلك مؤامرة الصهيونية مع الصليبية الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين .

أهداف التغريب

أ- تنشئة أجيال جديدة من العرب والمسلمين تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية بل الشرقية ، وابعاد العناصر التي تمثل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه .

ب- تدمير الشخصيات العربية الاسلامية الباهرة والتشكيك في عظمتها وفي مقدمتها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وأبطال الاسلام ، ومفكروه كما ركزت على احياء النماذج الشاذة والاذاعة بها.

جـ- اثارة الخلافات والخصومات بين العرب والمسلمين .

د- رد التراث الاسلامي الى الفرس ، والهنود ، واليونان ، والرومان ، لذا نجد أن التغريب يهتم بدراسة عالم ما قبل الاسلام واحيائه في صور شتى ، كصورة الفرعونية والجاهلية والوثنية والفارسية والرومانية ، واثارة دعوات حديثة كالبهائية والقاديانية والبهرة وغيرها .

هـ- نشر الالحاد والاباحية والدعاية لهما ، لأن الانسان انما يكون له وجوده وشخصيته بمبدئه الذي يعتقده وبقيمه التي يؤمن بها ، فاذا ضاعت المبادئ والقيم انهار الانسان الذي هو نواة المجتمع . وكذلك عزل الاخلاق عن التربية ، والدين عن الأدب والسياسة عن الدين .

و- وضع البديل في مواجهة الأصيل والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع، وتحوطها هالة من الضجيج لكل فكرة أصيلة في محاولة لخنقها ولتحويل الرأي العام عنها في ظل طوابع من الاغراء والتزييف ، وتحت اسم البحث العلمي والعبارات البراقة الخادعة .

ز- تفريغ العقل والقلب الاسلاميين من القيم الأساسية المستمدة من التوحيد ، والأخلاق ، والايمان بالله ، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق التعليم والصحافة والكتاب والمسرحية والفيلم والأزياء والملابس .

ح - اثارة عالمية الثقافة والحضارة البشرية ووحدة الفكر البشري ، وكلها دعوات لها دواخلها وغاياتها المريبة ، التي تتمثل في مفهوم واضح هو تذويب الفكر العربي الاسلامي واضواؤه وصهره في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي السياسي المسيطر .[1]

ويحسن أن نلفت الانتباه الى احدى الوسائل القوية في نشر التغريب في الوقت الحاضر، وهي استخدام وسائل الاتصالات الحديثة من سينما وتلفزيون ومحطات فضائية ، هذه التي تنقل الى ابنائنا ، وفي داخل بيوتهم ، صور الحياة الغربية وطرائق تعامل الناس في الغرب مع أنفسهم وغيرهم ومع الكون بل ومع خالقهم ... الخ ، وهي صور في التعامل تختلف في الكثير جدا من جوانبها ومنطلقاتها مع صور التعامل الموجودة في ثقافتنا الاسلامية ، والغرب هو الذي يملك زمام هذه المادة الثقافية ، ويختار بعناية خبيثة ما يقدم الى بلادنا الاسلامية .

وهناك جانب مؤلم في هذا الأمر ، وهو أننا كثيرا ما نستجلب بأنفسنا مثل هذه الصور الثقافية المخالفة لثقافتنا فنكون عن قصد أو عن غير قصد ، قد ساعدنا عدونا على غزونا، حين نسعى الى مثل هذه الأفلام ونبثها عبر محطاتنا التلفزيونية لأبناء مجتمعنا الاسلامي .

وخطورة هذه الوسائل الاعلامية الحديثة في تلقي الأطفال ومن هم في مرحلة الشباب الأولى لها ، حيث يكون هؤلاء في سن التلقي والتقليد ، فيرسخ في نفوسهم

---

١ - شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي ص١٣-١٨

أن ما يعرض عليهم من صور الحياة الغربية هـو صـواب وخـير لا ضـرر فيـه ، مـع أن حقيقة الأمر أن فيه السم القاتل .

مواجهة الغزو الثقافي

مواجهة الغزو ، مثلها مثل مواجهة أي غزو ، تحتاج من حيـث المبـدأ الى أمـر هام ألا وهو : التحصين من الداخل ، فحين نكون محصنين في داخل بلادنا ، فان هذه الحصانة تقف سدا أما هجمات الأعداء وتجعل جهودهم تذهب هباء الرياح .

والتحصين من الداخل لمواجهـة الغـزو الثقـافي يتـم بطريقـة سـهلة وصعبـة في الوقت نفسه، وهي أن نعلم الثقافة الاسلامية لأبنائنا في البيـت والمدرسـة وفي الشـارع وفي المؤسسات ومن خلال وسائل الاعـلام كـالمجلات والصحـف والاذاعـة والتلفـاز، وأن لا تكون جهود بعض هذه الجهات في تعليم الثقافة متعارضة مـع جهـود جهات أخرى ، وانما تكون متكاملة ومتعاونة نحو هدف واحد ، هـو ترسيخ هـذه الثقافـة في نفوس الأفراد .

ومن هنا فان نشر الثقافة الاسلامية في المجتمـع وتعويـد النـاس علـى ممارسـتها والالتزام بها عن وعي وعن قناعة كافية بأفضليتها وتميزها علـى غيرهـا مـن الثقافـات الأخرى ، أمر يحتاج الى تضافر جهود أبناء المجتمع بأسره وجهود مؤسساته المختلفـة ، فهي مسؤولية الدولـة ، ولكنهـا أيضـا مسـؤولية الأفـراد والآبـاء ، وكـل المؤسسـات القائمة في المجتمع ، وينطبق على هذا الأمر قول الرسول صلى الله عليـه وسلـم :
" كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته "

هناك وسيلة أخرى لمواجهة الغزو الثقافي والتقليل منـه ، وهـو أن نكـف عـن استجلاب بعض جوانـب هـذا الغـزو ، كـالذي أشـرنا اليـه آنفـا مـن جلـب الأفـلام

والمسلسلات التي تعلم ثقافة مخالفة لثقافتنا وعرضها على أبناء مجتمعنا ، فاذا أوقفنا هذا النوع من الغزو – وهو بقدرتنا وفي يدنا – نكون قد خففنا جانبا من هذا الغزو .

وقد يقال ان هذه الأفلام وغيرها ليس عندنا مثلها ، وهي مقصودة للترفيه ، فنقول في الجواب على هذا القول : ان علينا أن لا نرفه عن أنفسنا بأمور تعارض ثقافتنا وتغضب خالقنا وتعارض شريعتنا أو عقيدتنا ، ولا نرى بأسا من الترفيه لكن علينا أن ننتج نحن أفلامنا ومسلسلاتنا التي تقوم بالترفيه عنا عندما نحتاج اليه ، وتعبر في الوقت نفسه عن ثقافتنا وقيمنا ومشكلاتنا ، فتكون منسجمة معها لا معارضة لها.

وهكذا يكون السبيل الثالث لمواجهة الغزو الثقافي هو أن نصنع أو ننتج بأنفسنا ما نحتاج اليه من أمور في حياتنا وتعاملاتنا ، فان لم نستطع ، فانه يمكننا أن نأخذ من الثقافات الأخرى ما كان محايدا ونحن بحاجة اليه ، ولا يخالف أو يعارض ديننا وثقافتنا .

ولعله من الأمور التي نحتاج اليها ، هو أن نغرس في نفوس أبنائنا حبّ الثقافة الاسلامية والاعتزاز بها ، والقناعة الواعية بتميزها على غيرها من الثقافات ، لأن مثل هذه العواطف تشكل لدينا ولدى أبنائنا حصنا قويا ليس من اليسير اقتحامه.

الباب الثاني

مجالات الثقافة الاسلامية

(علاقات الانسان)

تمهيد

الشريعة الاسلامية مصدر التنظيم

تبين الثقافة الاسلامية وتنظم كل مجالات تعامل الانسان في هذه الحياة مع جوانب الوجود الذي يعيش فيه ويحيط به ، ومع خالقه وخالق هذا الوجود . وقد بان في تحديد الثقافة الاسلامية أنها مستمدة من الشريعة الاسلامية ومؤسسة على العقيدة الاسلامية ، ومن هنا يكون كل ما في الثقافة الاسلامية - مما يوضح وينظم علاقاته وتعاملاته في حياته على هذه الأرض - راجعا الى الشريعة الاسلامية ، هذه الشريعة الالهية التي لم يصبها التحريف والتغيير على أيدي البشر ، وهذه - كما تقدم بيانه - هي ميزة الثقافة الاسلامية الكبرى .

فتعامل الانسان مع الخالق سبحانه وتعالى ، وتعامل الانسان مع نفسه وتعامله مع الآخرين وتعامله مع الكون الطبيعي ومع أجزائه المختلفة ، وتعامله مع الزمان والأفكار ، وكل ما يصدر عنه من أنواع السلوك ، يرجع - وفقا للثقافة الاسلامية - الى الشريعة الاسلامية ، فمن الشريعة تؤخذ بعض أنواع التعامل على صورة محددة ثابتة ، كما تؤخذ منها أنواع اخرى على هيئة مجملة غير مفصلة في صورة مبادئ عامة وقواعد كلية وتوجيهات عامة ، بحيث تراعي صورة التعامل والسلوك هذه المبادئ والقواعد والتوجيهات فلا تتعارض معها أو تخرج عنها .

فاذا كانت الشريعة الاسلامية من وضع الله سبحانه وتعالى الكامل في علمه كمالا مطلقا والمنزه عن حاجته الى خلقه والمنزه عن العبث ، كما توضحه الآية

الكريمة :﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا** ﴾ [1] ، وإذ كان خلق الله للانسـان انما كـان لغاية حددها الخالق سبحانه ، و لم يكن عبثا – وهو منزه عن العبث – فان ما شرعه للانسان من أوامر ونواه لم يكن عبثا ، وانما كان لمقاصد فيها خير الانسـان ،لأن الله غير محتاج الى أي خير من خلقه فهو مصدر الخير ، وهو " الغني الحميد " والناس هم " الفقراء الى الله " المحتاجون لإرشاده وعونه .

لذا كان لا بد للشريعة الاسلامية ، التي هي مصدر تنظيم علاقات الانسان من غايات ومقاصد متعلقة بهذا الانسان .

---

[1] – المؤمنون ١١٥

الفصل الأول

علاقة الانسان بالخالق سبحانه وتعالى

تمهيد

تحديد علاقة الانسان بالخالق يحتاج الى علم كامل بحقيقة الانسان وعلم كامل بحقيقة الخالق ، ومعلوم أن الانسان ، على كثرة ما يعرفه عن نفسه ، فإنه لا يزال يجهل الكثير عن حقيقته ، بل ان ما يجهله أكثر مما يعرفه ، كما يقرر الأطباء والعلماء والحكماء أما الذي يعرف حقيقة الانسان فهو خالق الانسان سبحانه وتعالى وخالق الوجود وكل شيء فيه . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين يمارون في معرفة الله لحقيقة المخلوقات مستنكرا ذلك بقوله :﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾[1]، كما أن الانسان ان كان عاجزا عن معرفة حقيقة نفسه ، فهو عن معرفة حقيقة خالقه أعجز ، ومن هنا اذا كان هدفنا أن نصل الى العلاقة الأكمل بين الانسان والخالق ، فلا مناص لنا الا التعرف على هذه العلاقة كما بينها الخالق سبحانه وتعالى ، وهذا ما يميز الثقافة الاسلامية في كل مجالاتها بعامة وفي مجال تعامل الانسان مع الخالق بخاصة ، ونعني أن هذه الثقافة حدد معالمها الخالق سبحانه وتعالى.

وقبل أن نشرع في بيان علاقة الانسان بالخالق سبحانه وتعالى ، يجدر بنا أن نبين أولا معنى الاسلام في اللغة والاصطلاح ، ثم ذكر الأسس والأركان التي يقوم

---

[1] - الملك ١٤

عليها ، وكذلك بيان معنى الايمان لغة واصطلاحا ، والأصول التي يقوم عليها مع التركيز على أعظمها وأهمها وهو الركن الأول ، الايمان با لله سبحانه وتعالى الذي هو الأساس لما بعده من الأركان ، وعليه تبنى العقيدة كلها ، والعبادة بأنواعها ، والتشريع بأجمعه، وذلك لأن هذين المفهومين هما منطلق تحديد علاقة الانسان بالخالق سبحانه. ثم سنتبع ذلك بتوضيح معنى العبادة وأنواعها وخصائصها ، لتتم بذلك رسم صورة وافية عن علاقة الانسان بالخالق سبحانه وتعالى .

وهكذا سينقسم حديثنا عن علاقة الانسان بالخالق الى قسمين : قسم في الاعتقاد وقسم في العبادة .

أولا : في الاعتقاد *

معنى الاسلام في اللغة والاصطلاح

الاسلام في اللغة مأخوذ من أسلم : أي انقاد وصار مسلما . وأسلم أمره الى ا لله تعالى ، سلمه [1] والسَّلَم بفتح السين واللام معناه الاستسلام والاذعان والانقياد والخضوع .[2] .

وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان .[3]

الحالة الأولى : أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الايمان . وفي هذه الحالة يراد به الدين كله ، أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله . كقوله تعالى :﴿ **إن الدين عند الله الاسلام** ﴾ [4] وقوله تعالى :﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو**

---

* كتبه د. وليد السعد

[1] - القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ص ١٤٤٨ ط٢ . ١٩٨٧ م

[2] - النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، المكتبة الاسلامية ٣٩٤/٢

معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول ، حافظ احمد حكمي ٢٤/٢ ، دار الافتاء - الرياض

[3] - معارج القبول ٢٤/٢-٢٥

[4] - آل عمران ١٩

في الآخرة من الخاسرين ﴾ [1] وقوله تعالى : **﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾** [2] .

فلفظ الاسلام يطلق على الدين ، والدين بالكسر هو الاسلام ، وهو اسم لجميع ما يتعبد الله سبحانه وتعالى به .[3]

الحالة الثانية أن يطلق الاسلام مقترنا بالاعتقاد ، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة ، وهو ما يفهم من قوله تعالى :**﴿ قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾**[4]

وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قاله له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:" **مالك عن فلان ، فوالله اني لآراه مؤمنا . فقال صلى الله عليه وسلم : أو مسلما** "[5] .

يعني أنك لم تطلع على ايمانه ، وانما اطلعت على اسلامه من الأعمال الظاهرة.[6]

وبناء على ما مر من معنى الاسلام في اللغة وفي القرآن والسنة فان معنى الاسلام يشمل الانقياد والاتباع والطاعة لمنهج الله الذي ارتضاه لهم في جميع مناحي الحياة ؛ في العقيدة والعبادة ، والأخلاق والسلوك والمعاملات .[7]

وسنرى فيما يلي أن علاقة الانسان بالخالق لن تستقيم الا بالخضوع التام والانقياد والاستسلام في الظاهر والباطن لكل ما أمر الله سبحانه وتعالى به .

---

[1] - آل عمران ٨٥

[2] - المائدة ٣

[3] - القاموس المحيط / ١٥٤٦

[4] - الحجرات ١٤

[5] انظر ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - كتاب الايمان ١/٧٥

[6] - انظر معارج القبول ٢/٢٥

[7] - في ظلال القرآن - سيد قطب ، ٢/٨٤٦ ط دار الشروق .

أما الأسس والأركان التي يقوم عليها الاسلام فهي : الشهادتان ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان . فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان** " [1] .

معنى الايمان في اللغة والاصطلاح

الايمان في اللغة التصديق ، نقول آمن به إيمانا صدقه .

والايمان : الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة [2]

وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان أيضا : [3]

الحالة الأولى : أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الاسلام فحينئذ يراد به الدين كله كقوله عزوجل :﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور** ﴾ [4] .

ولهذا حصر الله الايمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا في قوله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ [5]

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في حديث وفد عبد القيس فقال عندما أمرهم بالايمان بالله وحده " **أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله**

---

١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، كتاب الايمان ، باب دعاؤكم إيمانكم ٤٩/١

٢ - القاموس المحيط / ص١٥١٨

٣ - معارج القبول ، حافظ حكمي ، ٢/٢٥-٣٣

٤ - البقرة ٢٥٧

٥ - الأنفال ٢-٤

ورسوله أعلـم. قـال : شـهادة أن لا إلـه الا الله ، وأن محمـدا رسـول الله ، وإقـام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ...." [1]

الحالة الثانية : أن يطلق الايمان مقرونا بالاسلام ، وحينئذ يفسر بالاعتقـادات الباطنـة . كمـا في حديـث جبريل المعروف وهـو سـؤاله عـن الايمـان والاسـلام والاحسان. فجاء معنى الايمان مغايرا لمعنـى الاسـلام . قـال **" الايمـان أن تؤمـن بـا لله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ، قال :وما الاسلام ؟ قال: الاسلام أن تعبد ا لله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان".** [2]

وكما في قوله عز وجل **﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** [3]

أما تعريف الايمان فقد اختلف العلماء فيه على أقوال .

فعند أهل السنة هناك تعريفان مشهوران للايمان .

والاختلاف بينهما هو اختلاف صوري ، والنزاع حولهما نزاع لفظي لا ينبني عليه فساد اعتقاد .[4]

الأول : الايمان اسم يقع على الاقرار باللسان والتصديق بالجنـان والعمـل بالأركـان . والى هـذا التعريف ذهب أهل الحديث وأهل المدينة ، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين .

الثاني : الايمان ، اسم يقع على الاقرار باللسان والتصديق بالقلب .[5]

وهـذا التعريـف لا يدخـل فيـه العمـل بـالجوارح . واليـه ذهـب أبـو حنيفـة وأصحابه. وأصحاب هذا التعريف لا يقللون من أهمية العمل بالجوارح بل يعتبرون أن

---

١ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، كتاب الايمان باب أداء الخمس من الايمان ١٢٩/١

٢ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ١١٥/١

٣ – النساء ٥٧

٤ – شرح العقيدة الطحاوية ، ابن ابي العز الحنفي ، ص/٣٧٤

٥ – المرجع السابق / ص ٣٧٣، ٣٧٤ . وفتح الباري ، ابن حجر ٤٦/١

العمل بكل ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان حق وواجب على المؤمنين ، اكتسبوه من الاقرار والتصديق .[1]

وهكذا فالثقة التامة بالله ، واظهار الخضوع والتذلل لله عز وجل ، واعتقاد اللسان وتصديق الجنان ، كلها أمور متكاملة تؤدي الى استقامة ودوام العلاقة بين العبد وخالقه ، وهي علاقة العبودية المطلقة لله سبحانه .

أصول الايمان

ورد ذكر هذه الأصول في الكتاب الكريم والسنة المطهرة . وهذه الأصول هي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

ويجب على كل مسلم أن يؤمن بهذه الأركان جميعا لأن الكفر بواحد منها كفر بالجميع يقول تعالى ﴿ **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾ [2]

وهذه الأصول تنتظم ستة أمور :[3]

أولا: المعرفة بالله ، أي المعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، ودلائل وجوده ومظاهر عظمته في الكون والطبيعة ، ومن شأنها أن توقظ حواس الخير وتربي ملكة المراقبة عند الانسان . وتحثه على طلب معالى الأمور . وتبعده عن محقرات الأعمال ورديئها .

ثانيا : المعرفة بالملائكة ، وهي تدعو الى الوعي الكامل واليقظة التامة بحيث يحاسب الانسان نفسه على كل تصرف يصدر منه جل أم صغر .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية / ص ٣٠٤

٢ - النساء /١٣٦

٣ - العقائد الاسلامية ، سيد سابق / ص٨-١٠

ثالثا : المعرفة بالكتب الالهية ، وهي تدل البشر على المنهج الرشيد الذي رسمه الله للانسان كي يصل بالسير عليه الى الكمال المنشود بقسميه المادي والمعنوي .

رابعا : المعرفة بالرسل ، والقصد منها التخلق باخلاقهم وترسم خطاهم والتآسي بهم في العقيدة والعبادة ، والأخلاق والسلوك . وفي كل مناحي الحياة .

خامسا : المعرفة باليوم الآخر ، وهي أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر . وهذا من شأنه أن ينعكس على أفكار البشر ونفسياتهم وأخلاقهم .

سادسا : المعرفة بالقدر ، وفيها الزاد المعنوي الذي يقوي طاقات البشر وبها يستطيع أن يتحدى كل الصعاب والعقابيل (الشدائد) . وبها تصغر في نظره الأحداث الجسام والعظام .

فهذه الأصول الستة لم ينفرد بالدعوة اليها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. وإنما هي دعوة الرسل جميعا عليهم السلام يقول تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ [1] ويقول تعالى :﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون** ﴾ [2] .

من خلال هاتين الآيتين وأمثالهما يتبين لنا أن الدعوة الى الايمان بالله وإفراده وتنزيهه عن الندّ والشريك والصاحبة والولد . وعن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه هي لب دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام .

والايمان بالله تعالى هو أهم هذه الأصول الايمانية الاعتقادية ، وعليه مدار الاسلام . وعليه تبتني كل الأصول ، فهو بالنسبة للأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للسوق والفروع . فهو أصل الأصول . وقاعدة الدين . وكلما كان حظ المرء

---

١ - سورة الشورى /١٣

٢ - الأنبياء / ٢٥

من الايمان بالله تعالى عظيما كلما كان حظه في الاسلام كثيرا [1] ، ذلك أن الايمان بالله يستلزم الايمان بكل ما طلب الله أن نؤمن به ، وبقية أصول الايمان هي أمور طلب الله سبحانه وتعالى أن نؤمن بها ، فكانت تابعة ومكملة للايمان بالله .

والايمان بالله سبحانه وتعالى أمر فطري مركوز في النفس البشرية مذ أخذ الله العهد على ذرية آدم حين كانوا في عالم الذر قبل وجودهم في هذه الحياة بأنه ربهم وخالقهم وشهدوا بذلك . فذكرت بذلك الميثاق الذي نسيه الكل ولم يولد أحد منهم وهو ذاكر له . ثم أرسل اليهم الرسل بعد ذلك .[2] يقول تعالى :﴿ **واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين**﴾[3]

فالاعتراف بربوبية الله وحده ، فطرة في الكيان البشري ، أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته ، وحكم ما يستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة . أما الرسالات فانها تذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى . ولقد اقتضت رحمة الله سبحانه أن لا يكل الناس الى فطرهم فقد تنحرف وتزيغ . وأن لا يكلهم الى عقولهم فتضل . ومن ثم بعث اليهم الرسل تترى (متتابعين) مبشرين ومنذرين .[4]

ويقول تعالى ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [5].

ومعنى هذه الآية أن هذا الدين الحق الذي أمرناك بالاستقامة عليه ومتابعته مستند على خلقة الله التي خلق الناس عليها ، وهو عقيدة التوحيد الثابتة

---

[1] - العقيدة في الله ، د.عمر الأشقر ، ص / ٦٠، ٦١

[2] - أضواء البيان ، الشنقيطي ، ٢/٣٣٥، ٣٣٦ صفوة التفاسير ، الصابوني ، ٤٨١/١

[3] - الأعراف /١٧٢

[4] - في ظلال القرآن ١٣٩١/٣

[5] - الروم /٣٠

التي لا تؤدي الى التفرق كما تفرق المشركون شيعا وأحزابا مع الأهواء والنزوات .[1]

ان هذه الفطرة السليمة لا تتغير ولا تتبدل من جهته تعالى والمطلوب المحافظة عليها كما خلقها الله عزوجل وذلك باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، والثبات والاستقامة على شرع الله سبحانه .

يقول ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿ **لا تبديل لخلق الله** ﴾ لفظه لفظ النفي ، ومعناه النهي أي لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها.[2]

وقد بينت الأحاديث النبوية الشريفة كذلك أن الانسان يولد على التوحيد . وأنه لولا تدخل الغير في فطرته لنشأ على الايمان ، ولتأكد ذلك في نفسه بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريره ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ما من مولود الا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها** "[3]

أدلة وجود الله سبحانه وتعالى

قضية وجود الله من قضايا الوجود الكبرى ، بالاضافة الى قضيتي الانسان والكون وهذه القضايا كانت مدار البحث عند علماء الكلام والعقيدة من المسلمين واهتم بها الفلاسفة والمفكرون على اختلاف مللهم ونحلهم ، واحتلت مساحة كبيرة في كتبهم .

---

١ . في ظلال القرآن ٢٧٦٦/٥ ، صفوة التفاسير ٤٨١/١

٢ – صفوة التفاسير ٤٧٨/٢

٣ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، ٤٩٣/١١ كتاب القدر

هذا ولقد خاطب القرآن الكريم أصحاب العقائد جميعا سواء أكانوا من العرب أم من غيرهم وقدم لهم الحجج الكثيرة التي لا تخالف العقل الصحيح ، ولا الفطرة السليمة ، ودعاهم الى التأمل والتدبر في هذا الوجود ليصلوا الى أنه لا خا' لهم الا الله سبحانه الذي تنزه عن الشريك والصاحبة والولد فهو وحده سبحـ يستحق أن يفرد بالخلق والرزق والعبادة .

ومن الأدلة على وجوده سبحانه ، دليل الفطرة ، ودليل الآيات الكونية . ودليل الآيات المعجزة ، ودليل التسوية ، ودليل الخلق ، ودليل التقدير ، ودليل الهداية ...الخ.

وجميع هذه الأدلة يدركها العقل السليم بأدنى تأمل فلا يحتاج الى الغوص والاستدلال واتعاب العقل واشغاله من أجل الوصول الى القناعة الكاملة بوجوده سبحانه . وأهم هذه الأدلة :

أولا: دليل الخلق (ظاهرة الخلق)

الخلق في اللغة : التقدير والخالق المبدع للشيء والمخترع له على غير مثال سابق .[1]

والمستعرض للآيات الكريمة يجد أن القرآن الكريم قد اهتم بهذه الكلمة التي شملت خلق الأرض والسموات والانسان ، والأرواح والليل والنهار والشمس والقمر والزوجين الذكر والأنثى ، والجان والملائكة وكل شيء .﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [2]

ويقول تعالى : ﴿ **ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون**

---

[1] – القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، / ص ١١٣٧

[2] – الأعراف /٥٤

في خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ ١ .

ويقول تعالى :**﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾**٢

ويقول تعالى : **﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾** ٣

ويقول تعالى : **﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾** ٤

والنصوص التي تتحدث عن هذا النوع من الأدلة كثيرة في كتاب الله ، وكلها تبين أن الله سبحانه أبدع الأشياء وأوجدها على غير مثال سابق ، وهو القادر على اعادتها . فالخلق أمر تفرد الله سبحانه وتعالى به يقول تعالى :**﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾** ٥ ويقول تعالى :**﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾** ٦

وبناء على هذه النصوص الكثيرة المنبثة في القرآن الكريم والتي تتكلم عن ظاهرة تفرد الله عز وجل بالخلق فانه لا مناص للعقل السليم من رفض القول بأن جميع هذه الموجودات وجدت من غير موجد ، أو أنها أوجدت نفسها بنفسها ، والجزم بأن وراء هذا الكون المتناهي في الدقة والإحكام إله خالق عظيم له جميع صفات الكمال والقدرة وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء يقول

---

١ - آل عمران ١٩٠ ، ١٩١

٢ - النور / ٤٥

٣ - الفرقان /٥٤

٤ - يونس / ٣٤

٥ - الأعراف /١٩١

٦ - النحل /١٧

تعالى :﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون** ﴾ [1]

دليل الهداية

نحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الكائنات وأحسن صنعها . وهداها طريقها ، وحدد لها الغاية التي خلقت من أجلها . وكل من يفكر في هذه الكائنات، ودقتها في العمل يستطيع القول أن هناك غرائز عجيبة خص الله بها كل حيوان بما أراده له وجهزه بعد ذلك بما يصلح في جسده لبلوغ الغرض الذي وجهه اليه .

ومن الأمثلة على ذلك :

١- ثعبان الماء متى اكتمل نموه هاجر من مختلف البرك والأنهار قاطعا آلاف الأميال في المحيط ، قاصدا الى الأعماق السحيقة جنوب (برمودا) حيث ملتقى ثعابين الماء في كل أنحاء العالم ، وهناك يموت . أما صغارها تلك التي لا تملك وسيلة تتعرف بها على أي شيء ، سوى أنها في مياه قفره فانها تعود أدراجها ، وتجد طريقها الى الشاطئ الذي جاءت منه أمهاتها . ومن ثم الى كل نهر أو بحيرة . أو بركة صغيرة ، ولذا يظل كل جسم من الماء آهلا بثعابين البحار ، ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوروبية أو العكس .

٢- الزنبور يصيد الجندب النطاط وينخزه بابرته في مكان معين بحيث يفقده وعيه مع بقائه حيا كنوع من اللحم المحفوظ فلا يكثر السم فيه بحيث يميته ، أو يسمم لحم الأولاد اذا أكلوا منه ، ولا يقلله بحيث يبقى محتفظا بوعيه فيفر . وبعد ذلك يحفر له حفرة في الأرض . ثم تأتي أنثى الزنبور وتضع بيضا في المكان المناسب بالضبط . ثم تغطي هذه الحفرة وترحل فرحة ، ثم تموت بعد أن أمنت وسيلة الحياة لأولادها وهم

---

[1] - الطور ٣٥-٣٦

صغار لا يستطيعون الحركة . ولا بد أن الزنبـور قـد فعـل ذلـك مـن البداية مـن يـوم وجوده أول مرة وكرره دائما . والا ما بقيت زنابير على وجه الأرض .[١]

والى هذه الغرائز أشار القرآن الكريم في ذكر النحل خاصـة لأنهـا أوضـح في الدلالة على خلق الله وهديه ووحيه والهامه يقول تعالى : ﴿ **وأوحى ربك الى النحـل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر وممـا يعرشـون ثـم كلـي مـن كـل الثمـرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شـفاء للنـاس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ [٢] هذه النحـل الـتي أشـار اليهـا القـرآن الكريـم يقـف الانسان أمام ما تقوم به متعجبـا متحـيرا مندهشـا كيـف تبـني بيوتهـا ، كيـف تصنـع العسل، وكيـف تقسـم البيـت الى غـرف في نظـام هندسـي عجيـب ، فغرفـة للعمـال وأخرى كبيرة لذكور النحل وثالثة للملكات الحوامل . وأنظر كيف يتقاسمن الأعمال. من اعداد الطعام ومضغه للاطفال ليسـهل هضمـه فـاذا بلـغ الأطفـال الحـد الـذي بـه تستغني عن المساعدة كفت العاملات الطابخات عن المضغ . ولكن هـذا الـدلال يبقـى للمرشحات للعرش وهكذا يستمر هذا التعاون الجماعي دون أن يختـل أو يتبـدل بدقـة لا يتيسر لنا أن نراها .[٣]

وقل مثل ذلك في عالم النمل والعناكب والطيور والحيوانـات ممـا يضيـق هـذا البحث عن ذكره ولا ننسى أن نذكر عمل القلـب والكبـد والطحـال والمعـدة وجميـع أجهزة الجسم .

والسؤال اذن بأي عقل ، بل بأي غريزة تقوم هذه الكائنات بأعمالها المدهشة المحيرة ليبقى جنسها في الكون ؟ انها الهداية ، هداية الله لكل مخلوقاته حتى يعمـر هـذا

---

١ – الله ، سعيد حوى ، ص ٦١ ط ٣ ١٩٧٨

٢ – النحل ٦٨-٦٩

٣ – قصة الايمان ، نديم الجسر ، ص / ٣٦٦

الكون ولتستمر الحياة فيه الى الأجل الذي قـدره الله سبحانه يقول تعالى:﴿ **قال ربنـا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ [1] ويقول تعالى :﴿ **سبح اسم ربك الأعلـى الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى** ﴾ [2] اذن فنحن عندما ندرس الكون كله نرى فيه هداية كاملة من أصغـر ذراتـه الى أكـبر أجرامـه ، ومـن أبسـط أشـكاله الى أعقـد مظاهره وكل هذا يدلك على وجود ذات هادية .[3]

دليل التقديـــر

ومعناه ايجاد كل شيء بمقدار معين وترتيب خاص وميزان دقيق وحساب بحيث يكون متلائما مع ظروف زمانه ومكانه ومتناسقا مع غيره من الموجودات حتـى يسود الوجود كله توازن شامل ونظام دقيق .[4]

يقول تعالى :﴿ **انا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ [5] ويقول تعالى :﴿ **وكل شـيء عنده بمقدار** ﴾ [6] ويقول تعالى : ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون** ﴾ [7]

هذه الآيات وأمثالها تبين لنا أن كل مخلوق في الكون من أحيـاء وجمـاد خلقـه الله في دقة واحكام فلا مجال للمصادفة العمياء أو عدم التخطيط ولقـد أثبـت العلم أنه:

---

١ – طه ٥٠
٢ – الأعلى ١-٣
٣ – الله جل جلاله ، سعيد حوى / ص٦١
٤ – مذكرة في المدخل الى الثقافة الاسلامية . جامعة الملك سعود تحت الطبع ص ٧٨
٥ – القمر ٤٩
٦ – الرعد ٨
٧ – الحجر ١٩

١- لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي عليه بمقدار بضع أقدام لامتص ثاني أكسيد الكربون والأكسجين ، ولما أمكن وجود الحياة .

٢- ولو كان الهواء أقل ارتفاعا مما هو عليه فان بعض الشهب التي تحترق بالملايين كل يوم في الهواء الخارجي كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية ، وكان في امكانها أن تشعل كل شيء قابل للاحتراق .

٣- ولو أن شمسنا أعطت نصف اشعاعها الحالي ، لكنا تجمدنا ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رمادا منذ زمن بعيد .

٤- ولولا الجبال لتناثرت الأرض ولما كان لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة .[١]

٥- كما أثبت العلم أن الأرض بشكلها الحالي وحجمها وبعدها عن الشمس والقمر وبما فيها من معادن ملائمة للحياة ولو كانت بغير ذلك لما أمكن العيش عليها . فلو أخذنا مثالا على ذلك التكوير وايلاج الليل في النهار ، وايلاج النهار في الليل وطلب كل منهما للآخر لرأيت فيها البيان الصريح منذ خمسة عشر قرنا لكروية الأرض وحركتها اليومية اللتين يتم بهما اختلاف الليل والنهار . اذ لا يكون معنى التكوير واضحا لو نحن تصورنا الأرض مبسوطة تطلع الشمس عليها وتغيب عنها فكلما لف الليل على النهار في جزء من الأرض لف مثله النهار على الليل في الجزء الذي يليه ولا يتصور هذا المعنى مع تصور الأرض مبسوطة ساكنة لأن الشمس اذا طلعت إنارتها من أولها الى آخرها دفعة واحدة . واذا غابت عنها أظلمت دفعة واحدة .

أما الأوكسجين فان أجسامنا تفتقر الى توليد حرارة دائمة ، والحرارة تفتقر الى الوقود والوقود هو الأوكسجين الذي تتنفسه فيدخل من طريق الرئتين ويحرق طعامنا ، ولكن كمية الأوكسجين في الهواء محدودة ، ولا بد لها على مر الدهور أن تنفذ لأن الأكسجين الذي نأخذه يتحد بالاحتراق مع الكربون الذي في طعامنا

---

١ - الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ٣٢-٣٥

فيتكون من هذا الاحتراق ثاني أكسيد الكربون وهو سم قاتل لنا نلفظه بالزفير الى الهواء . فلا بد اذا استمر الحال على هذا المنوال أن ينفذ ما في الهواء من الأوكسجين. ولذلك فمن حكمة الخلق أن النبات قد جعل مفتقرا في حياته وغذائه وتكوين ثماره الى الكربون وأنه لا يستطيع تناوله من الطبيعة مباشرة بل قضي عليه أن يتناوله عن طريق ثاني أكسيد الكربون ، ولكن كمية ثاني أكسيد الكربون لا بد أن تنفذ . وهنا تجلت حكمة الخلاق العظيم بأعجوبة المقايضة بيننا وبين النبات فثاني أكسيد الكربون سم قاتل وغذاء كامل في آن واحد وهو سم للحيوان وغذاء للنبات ولولا هذه المقايضة المدهشة لتعطلت الحياة على الأرض .[1]

وقل مثل ذلك في المطر والقمر وقوانين الجاذبية وجميع أشياء هذا الكون . كل هذا دليل على وجود الله الذي خلق كل شيء بقدر .

علاقة الانسان بالخالق

المطلع على الآيات القرآنية التي أشارت الى خلق ا لله للانسان يظهر له عناية ا لله بخلق هذا الانسان ابتداء في أحسن تقويم ، بقوله تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم** ﴾ [2] فتخصيصه بحسن التركيب وحسن التقويم وحسن التعديل فيه فضل عناية بهذا المخلوق ، وعناية ا لله بأمر هذا المخلوق على ما به من ضعف وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة تشير الى أن له شأنا عند ا لله ووزنا في نظام هذا الوجود ، وتتجلى هذه العناية في تكوينه الجثماني البالغ الدقة ، والتكون العقلي الفريد والروحي العجيب . [3]

---

[1] - قصة الايمان . نديم الجسر ، ص ٣٢١

[2] - التين ٤

[3] - في ظلال القرآن ٣٩٣٣/٦

وكرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه ، كرمه بخلقته على تلك الهيئة بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة الالهية ، وكرمه بالاستعدادات الفطرية المختلفة والتي استأهل بها الخلافة في الأرض ، وكرمه بتسخير القوى الكونية له . وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود ، وبذلك الموكب الذي سجد فيه للملائكة وأعلن الخالق فيه تكريم هذا الانســـان . وكرمه باعلان هذا التكريم في الكتاب الكريم . يقول تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم ...** ﴾ [1]

لقد زود الله سبحانه وتعالى الانسـان باستعدادات أو قـدرة كامنـة متسـاوية للخير والشر ، والهدى والضلال .

وبهذه القدرة الكامنة في الحياة والتي يعبر عنها القرآن بالالهام تارة ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواهـا** ﴾ [2] ويعبر عنهـــا بالهدايـــة تـــارة أخــرى ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ [3] يستطيع الانسان أن يوجه نفسه الى الخـير والى الشر سـواء. أمـا دور الرسـالات والتوجيهات والعوامل الخارجية فيكون في ايقاظ هذه الاستعدادات وشحذها وتوجيهها مـن قبل الانسان نفسه نحو الخير أو الشر ، كما يبينه قوله تعالى : ﴿ **قـد أفلـح مـن زكاهـا ، وقـد خاب من دساها** ﴾ [4]

والحق أن خلق الله سبحانه وتعالى للانسان لم يكن عبثا بلا هـدف ، بـل كـان لغايـة وحكمة حددها له خالقه منذ البداية ، وقد أخبرنا الحق سـبحانه وتعـالى بهـذا كلـه في كتابـــه حيـث خاطب الجاحديــن وجــود الحكمة والغايــة مــن خلقهــم قائــلا ﴿ **أفحسـبتم أنمـا خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون** ﴾ [5] كما أبان للانسان بعامة الغاية من خلقه له ، وذلـك

---

[1] – الاسراء ٧٠

[2] – الشمس ٧–٨

[3] – البلد ١٠

[4] – الشمس ٩–١٠

[5] – المؤمنون ١١٥

في قولـه الكريـم :﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ [١] وهذه الآية الكريمة الجامعة فيها التحديد الدقيق لعلاقة الانسان بخالقه سبحانه وتعالى ، هـذه العلاقـة الـتي تلخصها لفظة " ليعبدون " ، فالانسان ينبغي أن يكون سلوكه كله محققـا للغايـة الـتي من أجلها خلق ، وهي أن يعبد الله ، فيكون عابدا لله في كل سلوك يصدر عنه وكل تصرف يقوم به ، صغيرا كان أم كبيرا ، حقيرا كان أم جليلا .

ان الاسلام لله والتسليم له في كل أمر من أمور حياتنا هو تحقيق لمعنى العبودية ، كما أن الايمان به سبحانه ، والايمان بكل ما طلب الله أن نؤمـن من أمور، هو أيضا تحقيق للعبودية له سبحانه .

والحق أن الايمان بالله وبما طلب منا أن نؤمن بـه مـن قضايـا يـأتي منطقيـا في الدرجة الأولى ، لأن الاعتقاد الصادق والتصديق الجازم مرحلة تأتي قبل مرحلة الفعـل والعمل والتطبيق ، وحتى تكون العبودية لله سبحانه على أتم وجه ممكن ، كان لا بد أن تقوم على أساس الايمان والاعتقاد الراسخ ثم يأتي العمل والفعل بعـد ذلـك موافقـا لهذا الاعتقاد مؤسسا عليه .

ولأهمية العبادة في توضيح علاقة الانسان بخالقه سبحانه ، سنقوم ببحثها بحثـا أكثر تفصيلا فيما يلي :

ثانيا : في العبـــادة *

تمهيـــد

لا ريب أن العبادة هي التطبيق العملي للعقيدة ، كما تقدمت الاشارة اليـه في الحديث عن العقيدة ، فالانسان مفطور على عبادة الله سـبحانه وتعـالى ، وهـو عـابد بطبعه ولا يوجد انسان على سطح هذه الأرض غير عابد ، من لدن آدم عليـه السـلام الى أن تقوم الساعة ، غير أن كل ما في الأمر نوع العبادة والمعبـود ، فالانسـان اما أن

---

[١] - الذاريات ٥٦

* كتبه د. محمد الشلبي

يعبد الإله الحق الجدير بالعبادة ، وإما أن يعبد ما ليس جديرا بالعبادة وعندئذ يضل ضلالا بعيدا ، ويهبط عن مستواه الرفيع ، ومعدنه النفيس الذي استحق من أجله التكريم ، وهو خلق الله تعالى له بيديه ، ونفخه فيه من روحه ، والذي به استحق الاستخلاف في الأرض ، ليعمرها بالطاعات والقربات ، وينشر فيها الحق ، والخير ، والعدالة ، وكل معاني البر والرحمة .

وكون الانسان عابدا بطبعه حقيقة ينبغي ادراكها من استقراء التاريخ البشري، وليس الفرق بين انسان وانسان – في الحقيقة – هو أن انسانا يعبد والآخر لا يعبد ، بل الفرق أن انسانا يعبد الله تعالى والآخر يعبد الها آخر غير الله تعالى ؛ قد يكون صنما أو وثنا . أو يكون الهوى كما قال عز وجل :﴿ **أفرأيت من اتخذ الهه هواه** ﴾ [1] .

وليس الأمر كما خيل للجاهلية الحديثة أن يخير بين العبادة ، وعدم العبادة ، انما الخيار فقط في نوع المعبود ، هل يكون هو الله عز وجل ، أو يكون معبودا آخر ، كما قال سبحانه :﴿ **ألم . أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** ﴾ [2] .

والناظر في المعبودات الجاهلية المعاصرة ، يجد أنها مهما تنوعت ؛ فانها لا تعدو هذا الوصف الرباني (عبادة شيطان) في صورة من الصور ، فقد عبد (الدولار) ، (والهوى)، (والشهوات) ، (والانتاج) ، والمصالح والأرض والطبيعة ، والانسانية وغير ذلك من ضروب العبادة ، وكلها مردودة الى عبادة الشيطان .

---

١ – الجاثية ٢٣

٢ –يس ٦٠/٦١

وسنرى فيما يلي أن العبادة ، باعتبارها الغاية التي من أجلها خلق الله الانسان ، ينبغي أن تشمل كل سلوك يقوم به الانسان بلا استثناء ، وأن في تحقيقه العبودية لله سبحانه ، خيره الأقصى وسعادته الحقيقية في الدارين، وأن فيها كمال حريته .

تعريف العبادة لغة

ورد في قواميس اللغة تعاريف شتى للعبادة نذكر منها ما يلي :

جاء في تاج العروس . والمعجم الوسيط : العبادة بالكسر الطاعة ، وقال بعض أئمة الاشتقاق : أصل العبودية الذل والخضوع وقال آخرون : العبودة : الرضا بما يفعل الرب ، والعبادة : فعل ما يرضى بالرب . ولا يقال: عبد يعبد عبادة الا لمن يعبد الله .[1] وقال في اللسان : ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبد ، اذا كان مذللا بكثرة الوطء .[2] وجاء في الصحاح : العبادة ، الطاعة ، والتعبد والتنسك .[3]

واستعمل القرآن لفظ العبادة في العبادة الحقة والعبادة الباطلة قال تعالى: ﴿ **ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدو الشيطان انه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** ﴾ [4] ، وقال سبحانه :﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد** ﴾ [5]

---

[1] - انظر تاج العروس ٨/٢٦٦ لمحمد مرتضى الزبيدي ، والمعجم الوسيط ص ٣٣٠-٣٣١ لابراهيم مصطفى ورفاقه .

[2] - لسان العرب ص٦٦٥ لابن منظور

[3] - الصحاح ٢/٥٣ لاسماعيل بن حماد الجوهري

[4] - يس ٦٠، ٦١

[5] - الكافرون ١-٣

تعريف العبادة اصطلاحا

وقد تطلق كلمة عبادة على إطاعة البشر كما جاء عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية :**﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون﴾** [1] فقلت له : انا لسنا نعبدهم ! قال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحرمونه ؟ فقلت : بلى ! قال : فتلك عبادتهم [2] .

عرفت العبادة شرعا بتعريفات عديدة منها :

- " العبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ، ولا اقتضاء عقلي والمأثور عن السلف تفسير العبادة " بالطاعة " فيدخل في ذلك فعل المأثور ، وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه .

- وعرفها البعض بأنها " كمال الحب مع كمال الخضوع "

ومن تعريفات ابن تيمية للعبادة قوله:

" العبادة هي طاعة الله تعالى بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل "

ويقدم ابن تيمية تعريفا للعبادة بالمعنى العام ، وهو قوله :

" العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمربالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان الى

---

١ التوبة :٣١

٢ - رواه أحمد والترمذي وحسنه

الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين ، والبهائم ، والدعاء والذكروالقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة .[1]

وكذلك حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وخشية الله تعالى والإنابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر والحكمة ، والشكر لنعمه والرضاء بقدره ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه وأمثال ذلك . فالدين كله داخل في العبادة .

وعرفها ابن القيم بقوله " العبادة توحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح فمن أحب شيئا وخضع له ؛ فقد تعبد قلبه له ، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة . ولا الخضوع بلا محبة عبادة ، فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر "

فالعبادة عنده تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع .

وقد أضاف ابن كثير عنصرا ثالثا الى العنصرين آنفي الذكر ، وهو عنصر الخوف من الله تعالى حيث يقول :وفي الشرع (العبادة) عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع ، والخوف .

وبالنظر في هذه التعريفات يبدو اتساع مفهوم العبادة بحيث تشمل كل سلوك في الحياة اذا ما ابتغي به مرضاة الله عزوجل ، وحقق الخضوع لله الواحد الأحد .

ويرى العديد من العلماء أنه لن يتحقق مدلول قوله تعالى :﴿ **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** ﴾[2] . الا اذا انتظمت العبادة أقطار الحياة كلها، كما جاء في تعريف ابن تيمية العام ، اذ هو يشمل المعنى الخاص للعبادة

---

[1] - العبودية ، ابن تيمية ، ٣١

[2] - الذاريات ٥٦

الذي يشير الى الصلاة ، والزكاة والصيام ... الخ ، كمـا يشـمل المعنـى العـام الذي يتناول الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة بلا استثناء .

والأعمال الاجتماعية النافعة بأسرها عبادة ، اذا ابتغـي بهـا وجـه الله تعالى فقد جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسـلم :" **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام ، والصلاة والصدقة قالوا : بلـى ! قـال : اصلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هـي الحالقـة ، لا أقـول : تحلق الشـعر ، ولكن تحلق الدين** "[1] بل ان الصلات الاجتماعية تبلغ عند الله مبلغـا عجبـا لا يمكن أن يتصوره الانسان الا في هذا المشهد من مشاهد يوم القيامـة فقـد جـاء فيالحديث الشـريف :" **ان الله عـز وجـل يقـول يـوم القيامـة : يـا ابـن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب ! كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قـال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمـت أنـك لـو عدتـه ؛ لوجدتني عنده ، يا ابن آدم : استطعمتك فلم تطعمني ! قال : يا رب كيـف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال: ما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلـم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته ؛ لوجـدت ذلـك عنـدي ؟ يـا ابـن آدم استسقيتك فلم تسقني ! قال : يا رب ! وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما انك لو سقيته ، لوجدن ذلك عندي** "[2]

وأعجب من كل هذا في الدلالة على شمولية العبادة أنها تتناول أخص جوانب حياة الانسان بحيث تجعل مباشرته لذات الحياة عبادة ، اذا ابتغى بها وجه الله والتمـس

---

١ – موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ص ٤٨١

٢ – انظر صحيح مسلم ، والترغيب والترهيب ٤/٣١٧-٣١٨ للحافظ ابي محمد زكيالدين عبدالعظيم عبدالقوي المنذري

المرء اعفاف نفسه وزوجته ، فقد جاء في حديث طويل :" ..... ان كل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، والأمر بالمعروف صدقة ، والنهي عن المنكر صدقة الى أن قال : وفي بضع أحدكم صدقة ، والإمساك عن الشر صدقة " ١

ومن الأحاديث الجوامع في هذا المعنى الشمولي للعبادة ما أخرجه الترمذي – وحسنه – مرفوعا من حديث ابي ذر رضي الله عنه : **" تبسمك في وجه أخيك صدقة لك ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة لك ، واماطتك الحجر ، والشوك ، والعظم عن الطريق صدقة لك ، وافراغك من دلوك الى دلو أخيك صدقة "** ٢

والمضيُّ مع الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة . يظهر أن أي عمل ، أو قول ، أو حركة تصدر عن المسلم مبتغي بها وجه الله تعالى هي عبادة بالمفهوم العام لكلمة عبادة .

ثانيا : العبادات القولية :

وأبرز هذه العبادات :

أ- النطق بالشهادتين

النطق بالشهادتين هو رأس العبادات القولية اذ لا يصح اسلام امرئ ، ما لم ينطق بالشهادتين فيهما يعصم دم المرء وماله كما جاء على لسان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : **" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم ، وأمواله الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله "** ٣

---

١ سبل السلام . الصنعاني . ٤/٣٠٩

٢ – ابن حبان في صحيحه ، وأنظر سبل السلام شرح بلوغ المرام ٣٠٩/٤

٣ – متفق عليه

والنطق بالشهادتين أول أركان الاسلام الخمس التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :" **بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله .....** " [1] .

ب – ذكر الله تعالى والتسبيح والاستغفار

فمن صفات العابد أن يكون دائم الذكر لله تعالى وهو أمر مطلوب من المؤمن ، قال سبحانه :﴿ **يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ [2] ومثله الاستغفار ، قال سبحانه :﴿ **وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** ﴾ [3] .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الذكر والذاكرين في أحاديث كثيرة منها هذا الحديث الجليل :

أخرج مسلم ، والترمذي عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **ما من قوم يذكرون الله ، الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده** "

جـ – الدعاء والاستغاثة

طلب الله من عباده أن يدعوه ، وأن يطلبوا منه الغوث والعون ، قال جل شأنه :﴿ **وقال ربكم أدعوني أستجب لكم** ﴾ [4]

وقد جاء في فضل الدعاء أحاديث كثيرة منها :

---

[1] متفق عليه

[2] – الأحزاب ٤١، ٤٢

[3] – هود الآية ٣

[4] – غافر ٦٠

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ قوله تعالى :﴿ وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾** [1]

وقد وعد الله سبحانه عباده باستجابة دعائهم ، شريطة أن يستجيبوا هم أولا لأوامره ونواهيه فقال سبحانه: **﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾** [2]

أنواع العبادة

انتهى بنا القول آنفا الى أن العبادة بالمعنى العام تشمل كل ما يصدر عن المرء من قول أو فعل ، ظاهرا كان أم باطنا ، وعليه يمكن تقسيم العبادة الى أنواع ، من ذلك قسمها الى :

أ – عبادات اعتقادية ، وهي تدخل في الأفعال الباطنة ، والمعول فيها على ما يعتقده الانسان في قلبه وباطنه .

ب – عبادات قولية ، والمعول فيها على النطق واللسان .

جـ – عبادات عملية ، المعول فيها على القيام بالأعمال والأفعال الظاهرة ، حيث يتم القيام بهذه وفق هيئات معينة أو وفق مبادئ عامة دون تحديد لشكل معين .

وستحدث عن كل نوع من هذه الأنواع فيما يلي :

أولا : العبادات الاعتقادية

هذه العبادات تدخل ضمن ما يسمى بالأفعال الباطنة ، حيث محلها باطن الانسان أو قلبه ، لأن هذه الأفعال اعتقادات يعتقدها المرء في نفسه ، ويعقد عليها

---

[1] - تنبيه الغافلين . السمرقندي ص١٤٩

[2] - البقرة ١٨٦

قلبه، فلا يكون لديه مجال للشك فيها ، وهي كما سنرى مرتبطة بالله سبحانه وتعالى تعبر عن طاعته والخضوع له ، وأهم هذه العبادات الاعتقادية :

أ- اعتقاد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله . قال سبحانه : **﴿فاعلم أنه لا اله الا الله﴾** [١] ، والنطق بالشهادتين هو مدخل الانسان الى الاسلام، وأحد أركانه ، كما هو معلوم .

ب- محبة الله سبحانه وتعالى : لا تتم عبادة الانسان لربه الا اذا أحب المسلم ربه عز وجل محبة تفوق محبته لنفسه ، وماله ، وزوجه ، وولده ، ووالديه ، وأقربائه، ومسكنه وتجارته والدنيا كلها ، قال تعالى :**﴿ قل ان كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، واخوانكم ، وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** [٢] وقال سبحانه :**﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبّ الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله﴾** [٣]

جـ- الخوف من الله تعالى وخشيته مع الرجاء والطمع في رحمته : ذلك لأن حياة المؤمن تدور بين الخوف من الله تعالى وخشيته والرجاء والطمع في رحمته . لأن القنوط من رحمته سبحانه صفة الضالين ، والكافرين ومن على شاكلتهم قال سبحانه:**﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا ، وقائما يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** ، وبين جلت حكمته أن المؤمن

---

١ - محمد ١٩

٢ - التوبة ٢٤

٣ - البقرة ١٦٥

٤ الزمر ٩

يقوم بما يقوم به ، من الطاعات وقلبه يرتجف من خشية الله تعالى قال سبحانه:

﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ [1]

د- الإنابة الى الله عز وجل : وهي الاسراع الى مرضاة الله تعالى ، والرجوع اليه ، واستغفاره وطلب مثوبته ، قال تعالى : **﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد ﴾** [2] وقال تعالى : **﴿ وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾** [3]

هـ- التوكل على الله والاستعانة به : التوكل صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في كل شؤون الحياة التي يسعى المرء فيها الى استجلاب المنفعة ودفع المضار.

وقد طلب الله من عباده أن يتوكلوا عليه ، وجعل ذلك من صفات المؤمنين ، قال تعالى : **﴿ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ﴾** [4] ، وقال سبحانه : **﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾** [5] ، وقال عز وجل : **﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾** [6] بل ان الله سبحانه وتعالى ، فضلا عن كونه يحب من عباده أن يتوكلوا عليه ، يحب المتوكلين ، قال تعالى : **﴿ ان الله يحب المتوكلين ﴾** [7] .

---

[1] - المعارج ٢٧، ٢٨

[2] - الزمر ١٧

[3] - الزمر ٥٤، ٥٥

[4] - المائدة ٢٣

[5] - آل عمران ١٦٠

[6] - الأنفال ٢

[7] - آل عمران ١٥٩

والتوكل على الله لا يعني عدم اتخاذ الأسباب الموصلة الى النتائج وفق سنن الله في خلقه ، وقد أساء بعض المسلمين في الماضي - ولا يزال بعض آخر في زماننا - فهم معنى التوكل فتوهموا أنه القعود التام عن السعي والكسب والاجتهاد في اتخاذ الأسباب ؛ فالانسان لا يترك الطعام والشراب توكلا على الله أن الطعام والشراب سيلقيه الله في جوفه ، ولا يترك التداوي اتكالا على أن الله سيشفيه دون علاج ، ولا يهمل الاستعداد لمواجهة عدوه ظنا منه أن الله سينصره بمجرد أن يقول : توكلت على الله ، أو يجلس قاعدا منتظرا أن تمطر عليه السماء ذهبا وفضة ...

لقد وجه القرآن الكريم والسنة النبوية الى الأخذ بالأسباب على أتم وجه ممكن ، وبقدر الاستطاعة ، ثم يتوكلوا على الله الذي بيده في النهاية مقادير الأمور كلها ، عظيمها وضئيلها ؛ قال تعالى في مواجهة أعداء الاسلام : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ [1] ، وقال تعالى :﴿ **خذوا حذركم** ﴾ [2] وقال أيضا :﴿ **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** ﴾ [3] ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول للأعرابي الذي أراد أن يهمل ناقته ظنا منه أنه بهذا يتوكل على الله : " **اعقلها وتوكل** ".

وقريب من معنى التوكل على الله ، الاستعانة بالله ، على مواجهة أمور الحياة المختلفة ، وهو دعاء المؤمن الى الله في كل ركعة يصليها حين يطلب العون من ربه وخالقه ، رب العالمين :﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾ ، وهذان المعنيان ، (التوكل والاستعانه) متقاربان لأنهما يقومان على الايمان بالله والاعتقاد الجزمي بقدرته على كل شيء ، وأنه لا يحدث في ملكه أمر الا بعلمه وارادته .

---

١ - الأنفال ٦٠

٢ - النساء ٧١

٣ - النساء ١٠٢

وقد أمر الله تعالى عباده أن يتوجهوا اليه وحده بالدعاء ، وأيأسهم من التوجه لأحد سواه ، اذ أنهم لن يجدوا عنده غناء فقال تعالى :﴿ **فأدعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** ﴾ [1] وقال تعالى :﴿ **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ....** ﴾[2]

وجاء في الحديث :" **اذا سألت فاسأل ا لله ، واذا أستعنت فاستعن با لله ...**"

و- الحلف بالله عز وجل : الحلف بالشيء يعد تعظيما وتوقيرا له ، وقد حرم ا لله على المسلم ذلك ، فالتعظيم والاجلال الحق لا يكونان الا لله تعالى ، ولـذا يجب الحلف به وحده ، وبأسمائه وصفاته ؛ ومع ذلك فقد أمر الله العبد أن يكون مؤدبا مع مولاه وخالقه ، فقال سبحانه : ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** ﴾ [3] . وقـال : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ [4]

وفي الحديث الشريف جاء قوله صلى الله عليه وسلم : " **من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** " [5]

وقد ورد النهي عن الحلف بالآباء لما في ذلك من التقديس ، وعدم القناعة بالحلف بالله تعالى فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" **ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض ؛ فليس من الله** " [6]

ز- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة اليهما : فهذا العمل أساس يقوم عليه بنيان الاسلام في جميع ميادينه العبادية ، والجهادية ، والسلوكية ، وغير

---

[1] - غافر ١٤

[2] - النمل ٦٢

[3] - البقرة ٢٢٤

[4] - القلم ١٠

[5] - رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

[6] - رواه ابن ماجة بسند حسن / قرة عيون الموحدين ص٢٤٩ للشيخ عبدالرحمن بن عبدالوهاب

ذلك ، اذ به ربط الله تعالى فلاح هذه الأمة وقلدها وسام الخيرية من بين سائر الأمم، ولكي يؤدي هذا الواجب على خير وجوهه لا بد للقائم به من أن يعلم الأمور أولا ، ثم يعمل بها ، ثم يعلمها غيره ويأمره ، وينهاه ، ثم يصبر على ما يتعرض له من آلام في سبيل ذلك قال تعالى: ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** ﴾ [١] . وقال سبحانه : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ..** ﴾ [٢] وقال سبحانه:﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين** ﴾ [٣]

وقد جاءت أحاديث كثيرة تحض المسلمين على وجوب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبين ثمرتهما ، ومضار تركهما منها : ما روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول :" **مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا اجيبكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم** " قالت : فما زاد عليهن حتى نزل عن المنبر [٤] .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **اذا رأى أحدكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع ، فبلسانه ، فان لم يستطع ، فبقلبه وذلك أضعف الايمان**" أي أضعف فعل أهل الايمان [٥]

ثالثا : العبادات العملية

هذه العبادات هي أكثر ما تبدو للمشاهدة والعيان لأنها هي التي تنصرف اليها أذهان عامة المسلمين عندما تذكر كلمة عبادة ، اذ يتبادر الى أذهانهم

---

١ - آل عمران ١٠٤

٢ - آل عمران ١١٠

٣ - فصلت ٣٣

٤ - موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان للهيثمي ص ٤٥٦

٥ - بستان العارفين . السمرقندي ص٥٢

الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان والحج ، اذ أن هذه - مضمونة الى الشهادتين - تشكل أركان الاسلام المعروفة .

١- اقامة الصلاة

الصلاة عماد هذا الدين وهي فريضة على كل مسلم راشد ، قال تعالى: **﴿ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾** [١] وقال تعالى: **﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾** [٢]

وبين جلت حكمته أن عباده المؤمنين لا تلهيهم مشاغل الدنيا كلها مهما تراكمت عن دوام ذكره واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة لأن حياتهم تدور كلها بين الخوف والرجاء فقال سبحانه: **﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾** [٣]

والصلاة من الصلة ، فهي تربط العبد بربه ، وتقوده الى مرضاته ، وتمهد له الطريق الى العناية الربانية ، وهي لأهميتها لا تسقط عن الانسان حتى في حالة الحرب، عند التقاء الجيوش [٤] .

ولأهمية الصلاة بين سائر العبادات فقد فرضت كفاحا دون واسطة جبريل عليه السلام فقد فرضهاالله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته فوق سبع سماوات ليلة أسري بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى فلاح هذه الأمة منوطا باقامة الصلاة فقال تعالى: **﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾** [٥] وقال عز من قائل

---

[١] - النساء ١٠٣

[٢] - طه ١٣٢

[٣] - سورة النور ٣٧

[٤] - الصلاة ، حكم وأسرار ، د. عبدالحليم محمود ، ص ٦

[٥] - المؤمنون ١ ، ٢

:﴿ **قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ [1] كما انه سبحانه وتعالى استثنى المصلين من المثالب ، والنقائص المخلة بشرف الرجولة فقال سبحانه :﴿ **ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ [2]

وغاية القول: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتزكي النفس وتتسامى بها ، وتحمي المصلي من غوائل الشح ، والجبن ، والخور وتجعله انسانا ربانيا ، موصولا بالله عز وجل مترفعا عن الدنايا ، وسفاسف الأمور ومن أراد التأكد من ذلك فليقم موازنة بين فريقين من الناس فريق نشأ في طاعة الله تعالى مقيما الصلاة بشروطها ، وآدابها ، ومقتضياتها وفريق آخر استهان بالصلاة ، وتربى في دور الملاهي ، وبيوت القمار وشواطئ البحار ليرى أن الفريق الأول هو الذي يقام به المجتمع الصالح لخلافة الله تعالى ، بينما الفريق الثاني لا يكون الا مجتمعا والغا في الشهوات هابط النظرة الى الكون والخالق والحياة يصدق فيه قول الحق تبارك وتعالى :﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** ﴾ [3]

٢- ايتاء الزكاة

الزكاة فريضة يثبت فيها حق الفئات الكسيرة والمجروحة في المجتمع ، حق لا منة فيه ، ولا تفضل بل واجب يؤدى على أنه ركن أساسي من أركان الاسلام لا يصح اسلام المرء الا بأدائه مع سائر الأركان ، اذ به يشعر الفقير ، والمحروم بانسانيته، وأهميته عند اخوته من المسلمين قال تعالى :﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما**

---

١ - الأعلى ١٤، ١٥

٢ - المعارج ١٩ - ٢٢

٣ - مريم ٥٩

تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [1] وقال سبحانه وهو يعدد صفات المؤمنين المفلحين : **﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ﴾** [2]

والزكاة طهرة للإنسان من أوضار الشح ، وتزكية له عن معايب قبض اليد عن البذل عند الملمات ، والكوارث التي تحل بالأمة وقد سماها الله تعالى بذلك ، فخاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله **﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** [3]

وقد جاءت السنة تبين أهمية الزكاة وتبين مقاديرها ، ونكتفي هنا بايراد بعض الأحاديث المبيينة لأهمية الزكاة منها: حديث جبريل عليه السلام الذي سأل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة فانه عندما أجابه عن الاسلام قال : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة .... [4] .

وكذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فان فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله "**[5]

وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة في بيان فضل الزكاة والحث على أدائها ، والتحذير من منعها ، وبينت أن ذلك مما يكون سببا في استحقاق العذاب

---

[1] - البقرة ١١٠

[2] - المؤمنون ١-٤

[3] - التوبة ١٠٣

[4] - متفق عليه

[5] - متفق عليه

الشديد في نار جهنم ، ولقد أوجب الله تعالى قتل مانعها ، وتـم تنفيذذلك عمليا في خلافة أبسي بكر الصديق ، وقد اشتهرت تلك الحروب بالردة حيث اعتبر مانعو الزكاة مرتدين عن الاسلام رغم أنهم كانوا يؤدون سائر الأركان . وفي ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه :"والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه .. "[١] .

وبتتبع آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة يظهر جليا أن الزكاة مما يثبت من الدين بالضرورة ، وعليها اجماع الأمة جيلا اثر جيل ، وقد دل العقل أيضا على فرضيتها .

وقد ذكر الكاساني أن العقل دل على فرضيتها من وجوه :

١- ان أداء الزكاة من باب اغاثة الضعيف ، واغاثة اللهيف ، واقدار العاجز، وتقويته على أداء ما افترض الله عز وجل من التوحيد ، والعبادات ، والوسيلة الى أداء الفرائض المفروضة .

٢- الزكاة تطهر نفس المؤدي من أنجاس الذنوب ، وتزكي اخلاقه بتخلق الجود والكرم ، وترك الشح والغبن ... وقد تضمن ذلك قوله تعالى :﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾[٢]

٣- ان الله تعالى قد أنعم على الأغنياء ، وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية ، وخصهم بها ؛ فيتنعمون ، ويستمتعون بلذة العيش وشكر النعمة فرض عقلا وشرعا . وأداء الزكاة الى الفقير من باب شكر النعمة فكان فرضا[٣] .

---

[١] - رواه الجماعة الا ابن ماجة

[٢] - التوبة ١٠٣

[٣] - فقه الزكاة ، حاشية ، د. يوسف القرضاوي ،ص ٨٤

٣- صوم رمضان

ولما كان الصوم - بالاضافة الى أنه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى - فريضة تربي النفس على الفضائل الخلقية والسلوكية ، ومنها مواساة البائسين والمحرومين لما ينتج عنه من وحدة في المشاعر فقد جعل الله سبحانه صيام شهر رمضان فرضا وبين أنه حبل متين من حبال التقوى التي تربط الأجيال اللاحقة بالسابقة برباط التقوى قال تعالى :﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ [١] . وقال سبحانه : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ [٢]

وجاءت في الحث على الصيام وبيان فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم :" **من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** "[٣] .

وحيث أن الصوم يربي الانسان المسلم على كثير من الكمالات النفسية ، ويرتقي به عن العبودية للنفس والشهوات أعظم الباري عز وجل شأنه فقال فيه:" **كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به** "[٤] .

ولقد أدرك المؤمنون حقائق الصوم . وأدركوا أثره في سمو النفس البشرية طاعة لله تعالى وامتثالا لأوامره ، فحرموا أنفسهم لذة الطعام والشراب شهرا كاملا من كل سنة .

والصوم مشقة محدودة لتربية الناس على المعنويات العالية ، وتعليمهم كيف يفعلون الخير ، ويتركون الشر، أو كيف يعشقون الحسن ويكرهون القبيح ، أو كيف

---

١ - البقرة ١٨٣

٢ - البقرة ١٨٥.

٣ - البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة

٤ - متفق عليه

يسارعون الى مرضاة الله تعالى ، ويفرون من مساخطه ، انه ليس معركة مبهمة ضد الجسد، ولكنه خطة واضحة لتزكية القلب ، ودعم الايمان ، واحتساب التعب عند الله تعالى - لا عند أحد من الناس ، وقصارى القول في الصوم هو قول الله تعالى فيه :﴿ **يأأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾.[1]

٥- الحج

الحج فريضة العمر للقادر المستطيع ، وهو بمثابة مؤتمر عام يعقد في رحاب بيت الله الحرام مرة في كل عام حيث يجتمع عباد الله المستجيبين لنداء ابراهيم عليه السلام ، فيتم بينهم التعارف والتآلف ، وتطارح المشاكل ، وبث آلالام ، ووصف الأسقام ، واقتراح سبل الخلاص ، قال سبحانه :﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ..** ﴾[2] .

فالآية تمزج المنافع بالذكر ، والمنافع هنا جاءت نكرة لتدخل ضمنها كل منفعة مشروعة كائنة ما كانت ، ففريضة الحج لو عقل الناس معناها ، وقاموا بها حق القيام لغسلت المجتمع الاسلامي من أدران الشحناء والبغضاء وخلصتهم من سوأة التقوقع ، والانقسام وجعلتهم أمة واحدة لأنهم يتوجهون الى القبلة الواحدة ، ويطوفون بالكعبة الواحدة ويمتثلون لأمر الرب الواحد الذي خاطبهم بقوله :﴿**وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ...** ﴾[3] ولكانت

---

١ - البقرة ١٨٣

٢ - الحج ٢٧، ٢٨

٣ - البقرة ١٤٩

استجابتهم للنـداء العلوي استجابة واعية مبصرة وهو ينـاد بهـم :﴿ **الحـج أشـهر معلومات فمن فرض فيهـن الحـج فـلا رفـث ولا فسـوق ولا جـدال في الحـج ومـا تفعلوا مـن خير يعلمـه الله وتزودوا فـان خير الـزاد التقوى واتقـون يـا أولي الألباب**﴾ [1]

يقول الشيخ محمد الغزالي : " ... فالحج رحلة روحية ممتعة ، وسياحة عاطفية كريمة ، وقد شرعه الله – تعـالى – ليكـون شـحنة قلبيـة الى جـانب الأسـاس العقلـي للاسلام شحنة تحيطه باطار من الذكريات والعواطف ، ومنذ بـدأ الحـج في الاسـلام ، وموسمه الجامع ينتهز للتوجيهات العامة والقضايا الخطيرة الى أن يقـول ... وفي حجَّـة الوداع كان الخطاب الانساني الذي ألقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوفـود الكثيفة التي اجتمعت معه ، وهو خطاب لم تع مسامع الوجود أرقى مـن مبادئـه ، ولا أشرف من مقاصده ، وهو السجل الصادق لحقوق الانسان وحريات الأمم .

وينبغي أن يبقى الحج ملتقى المسلمين الأكبر ، ومثابتهم العظمـى ، وأن يبقـى زمانه ومكانه الموعد المضروب لاجتماع الموحدين القادمين مـن المشـارق والمغـارب ، يوحدون الله تعالى ، ويرجمون الشيطان " [2] .

٦– الحكم بما أنزل الله تعالى

ان الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى فريضة محكمة لا يصح ايمان عبـد ان لم يرض بها بحيث يحتكم الى شريعة خالقه سبحانه في كل شؤونه جلت أم دقت ، وليس لأحد من حق في أن يجعل لنفسه حق التشريع والحكم بغير مـا أنـزل الله ، ومـن فعـل ذلك ، فقد خرج من الملة ، قال سبحانه مقيما علـى انتفـاء الايمـان عمـن فعـل ذلـك :﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهـم ثـم لا يجدوا في أنفسـهم**

---

١ – البقرة ١٩٧.

٢ – محمد الغزالي ، هذا ديننا . ص ١٣٨

حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [1] . كما بين سبحانه بأنه كما انفـرد في الخلق والايجاد فانه قد انفرد بالأمر والنهي فقال جل قدره :﴿ **ألا لـه الخلق والأمر تبـارك الله رب العالمين** ﴾ [2] وقال عز من قائل : ﴿ **ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا ايـاه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [3] .

وعدم الحكم بما أنزل الله يخرج المرء من عبادة الله لأنه معصية له ومن يفعـل ذلك فهو اما كافر أو ظالم أو فاسق وذلك ما بينه الله سبحانه في قوله تعالى :﴿**ومـن لم يحكم بماأنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ [4] ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ [5] ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾[6] .

وحسبك أن تعلم أنَّ حاكمية الله تعالى هي التي يجب أن تسود وتطبـق لأنهـا الأرحم ، والأرفق فهي حكم الخالق الرحمن الرحيم بالعبـاد الضعفـاء المسـاكين الذيـن قال الله تعالى فيهم :﴿ **ان الله يحب التوابين ويحب المتطهريـن** ﴾ [7] كمـا قـال تعـالى :﴿ **وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ [8]

وهذه الحاكمية تظل الجميع بمظلتها العادلة لكي يستقيم المجتمع علـى صـراط الحق المستقيم ، فهـي لا تخضـع للعواطـف ، والأهـواء ، والمحسـوبيات ، والظـروف والبيئات ، وانما يستوي عندهـا الحـاكم ، والمحكوم ، وراعـي الضأن والوزيـر كمـا

---

[1] النساء ٦٥

[2] - الأعراف ٥٤

[3] - يوسف ٤٠

[4] - المائدة ٤٤

[5] المائدة ٤٥

[6] المائدة ٤٧

[7] البقرة ٢٢٢

[8] - النساء ٢٨

أعلنها سيد البشرية وهاديها محمد صلى الله عليه وسلم - عندما توسط أسامة بن زيد رضي الله عنهما حب النبي وابن حبه في أمر المخزومية التي سرقت حيث قال له معاتباً وزاجراً "أتشفع في حد من حدود الله . انما أهلك من كان قبلكم من الأمم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [1]

٧- الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله عبادة ، وبه تصان البلاد ، والعباد ، وتحفظ الأعراض والأموال ، وتكسر شوكة الأعداء ، ويعيش الناس في أمن ورخاء ، ولقد سماه الرسول عليه الصلاة والسلام ذروة سنام الاسلام . فمن قعد عنه ، فقد رضي بالهوان ، وباء بالذل والخسران وقد اعتبره القرآن الكريم سبيلا موصلا الى الجنة ، كما اعتبره تجارة منجية من العذاب قال تعالى : **﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾** [2] . وقال سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾** [3] .

والمجاهدون في سبيل الله حين يقتلون لا يكونون عند الله موتى كسائر الأموات العاديين ، وانما لم يعد استشهادهم حياة خاصة ، (ورزقا خاصا) . فانه تعالى يفيض عليهم من بركاته ، ورحماته ما يجعلهم فرحين مستبشرين فقال سبحانه : **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين**

---

١ - البخاري ومسلم

٢ - آل عمران ١٤٢

٣ - الصف ١٠، ١١

بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [1] .

وجاء في الحث على الجهاد أحاديث كثيرة نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم :

- **" اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف "** [2]

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**"والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم من يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك "**[3]

- روي عن ابي هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**"من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه ، وروثه في ميزانه يوم القيامة "** [4]

- وعن ابي هريرة رضي الله عنه قيل: **يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ، ثم قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ، ولا صلاة حتى يرجع المجاهد "** [5] .

٨- النذر

النذر في الاسلام عبادة ، ولذا فانه لا يكون كذلك الا اذا كان نذرا في طاعة فلا يجوز لمسلم أن ينذر في معصية ، وحيث ان النذر المعتبر شرعا ما كان في طاعته سبحانه فقط فان الله سبحانه وتعالى أوجب الوفاء به ، وعد الوفاء به من سمات

---

[1] - آل عمران ١٦٩- ١٧٠

[2] - الشيخان وأبو داود

[3] - عن رسائل الامام الشهيد حسن البنا ص ٢٥٢

[4] - رواه البخاري

[5] - رواه الستة الا أبا داود

المؤمنين الصادقين فقال عز وجل :﴿ **ويخافون يوما كان شره مستطيرا** ﴾ [1] . وقال صلى الله عليه وسلم :" **من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه ، فلا يعصه** " [2] .

وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقسم ألا يكلم أخاه ، وأن يجعل ماله في رتاج الكعبة فقال له : " ان الكعبة لغنية عن مالك ، كفر عن يمينك ولا تنذر في معصيته ، ولا قطيعة رحم ، ولا فيما تملك " [3] .

الذبح

يراد بالذبح تذكية الحيوان الذي يجوز أكل لحمه كالابل والبقر والغنم ، والطيور التي يجوز أكل لحومها كالدجاج والحمام ونحوها ، وهذه كلها لا تؤكل الا اذا ذكر اسم الله عليها عند الذبح ، كما انها تحرم لحومها اذا تعمد عدم التسمية عند الذبح ، او ذكر عند الذبح اسم غير اسم الله تعالى ، أو ذكر مع اسمه اسم غيره كأن يقول الذابح ، باسم الله ، والنبي ، أو باسم الله والمسيح ، والوطن ، وغير ذلك مما يدور على ألسنة الجهلة من الناس. فقد أمر الله سبحانه وتعالى الا يكون الذبح الا له . قال تعالى :﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ [4] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . " **لعن الله من ذبح لغير الله** " [5] .

---

[1] - الانسان ٧

[2] - رواه احمد والبخاري والترمذي وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها

[3] - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص٢٨٩ للحافظ ابن أبي بكر الهيتمي

[4] - الكوثر ٢

[5] - مسلم واحمد والنسائي

وفي غيبة الفهم لهذه النصوص الكريمة شاع الذبح في كثير من بلاد المسلمين للأولياء ، والصالحين ، كما شاع الذبح للأموات في اليوم الأول ، والسابع ، والأربعين ، وأقيمت بهذه المناسبات الولائم للأغنياء ، ويحرمها الفقراء ، وهي في الحقيقة لا تصح لهؤلاء ولا لأولئك على حد سواء .

خصائص العبادة

للعبادة في الاسلام خصائص تميزها عن العبادة في الأديان الأخرى ، وهي خصائص ترجع الى الله سبحانه الذي له العبادة والذي حدد شكلها وكيفيتها من أجل خير الانسان وتحقيق كماله وسموه اللائق به . وأبرز هذه الخصائص ما يلي :

١- لا تكون العبادة في الاسلام الا لله تعالى . وهذا واضح كل الوضوح في دعوى الرسل جميعا فقد خاطبوا أقوامهم - دون استثناء - بافراد الله تعالى بالعبادة ، قال سبحانه :﴿ **وماأرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فأعبدون** ﴾ [١] ، والى هذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم - بأمر الله عز وجل - أهل الكتاب بقول الله سبحانه :﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا ا لله ، ولا نشرك به شيئا ..** ﴾ [٢] وبهذه التخصصية حرم الاسلام كل ما يؤدي الى عبادة غير ا لله تعالى ، كالركوع أو السجود ، أو الذبح ، أو الحلف بغيره عز وجل حتى ولو كان المحلوف به ملكا مقربا ، أو نبيا مرسلا ، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ [٣] ، ثم ان ا لله تعالى أمر العبد أن يعلن هذا الاخلاص في العبادة والخلوص من الشرك في كل صلاة عندما

---

١ - الأنبياء ٢٥

٢ - آل عمران ٦٤

٣ - الكهف ١١٠

يفتتح صلاته بدعاء التوجه اذ يقول فيه :﴿ ... **قل ان صلاتي، ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ [1] . ومالنا نذهب بعيدا ونحن نقرأ في أم القرآن التي لا تصح الصلاة الا بها : ﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾ [2] . اذ تقديم المفعول هنا يدل على حصر العبادة ، والاستعانة با لله سبحانه وتعالى وحده .

٢- لا وساطة في العبادة

الانسان المسلم يعبد الله تعالى مباشرة ، ودون أية وساطة لأحد من المخلوقين، فا لله سبحانه وتعالى قال :﴿ **وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** ﴾[3] فالانسان يتصل بربه دون تدخل أحد ، ولو كان نبيا ، اذ مهمة الأنبياء عليهم السلام التبليغ ، وليس التوسط في قبول الأعمال ، وغفران الذنوب ، وبهذه الخصيصة تحرر الانسان من استعباد السدنة والكهنة ، والملوك والحكام ، كما كان الشأن عند ملوك الرومان وقدماء المصريين.[4]

فالعبادة تتم بلا واسطة ، وهكذا جميع الأعمال الصالحة حتى الابتسامة الحانية والكلمة الندية يراد بهما وجهه تعالى : ﴿ **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ [5] . وبتتبع النصوص يبدو بوضوح أنه سبحانه أجل وأعلى من أن يكون له وسطاء أو شفعاء يعلمونه من أمر الناس بما لم يكن يعلم ، أو يوجهون ارادته الى ما لم يكن يريد .[6]

---

[1] - الأنعام ١٦٢

[2] - الفاتحة ٥

[3] - يس ٦١

[4] - محمد احمد جمال ، محاضرات في الثقافة الاسلامية ، ص ٥٢

[5] - فاطر ١٠

[6] - نظرات في الثقافة الاسلامية ، عزالدين الخطيب وآخرون ص ١١٤

" والعبادة علاقة مباشرة بين العبد وربه ، لا دخل فيها لأحد آخر ، والاسلام واضح في شرح هذه العلاقة شرحا يطرد من حظيرتها الوسطاء والشفعاء"[1]

فلا حاجة بالانسان اذن الى وساطة كاهن يصل عن طريقه الى الله تعالى ، ولا يقبل الله منه عبادة بغير وساطته ، ولا يستطيع التوبة من ذنب ارتكبه الا بالجلوس أمامه في ذلة وخشوع على كرسي الاعتراف المشهور ، فليس في الاسلام كاهن ولا كهنوت [2] . وكل انسان يستطيع أن يتصل بخالقه بصلاحه وتقواه فهما نعم الوسيلة .

٣- أساس قبول العبادة اخلاص القلوب

فأي قلب لم يخلص في عبادته لله تعالى ، فقد أشرك معه غيره ، والله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ، وهذا الأمر بالغ الدقة حتى عد الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل الركوع ، والسجود- لأنه رأى أن أحدا ينظر اليه – مرائيا وغير مخلص في العبادة ، يقول سبحانه :﴿ **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة** ﴾ [3] فاخلاص القلوب هو أساس القبول عند الله ، ومن هنا أوجب العلماء النية في العبادة اذ بها تتميز العبادة عن العادة ، فالاعمال الشرعية لا تصح الا بصدق النية ومن هنا يفهم بجلاء قوله صلى الله عليه وسلم :" **انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه** " [4] .

---

١ - محمد الغزالي ، هذا ديننا ، ص١٠١

٢ - يوسف القرضاوي

٣ - البينة ٥

٤ - متفق عليه

وبالتدقيق في معنى النية يتبين أن أعمال العبد لا تكون عبادة الا اذا تطابق الباطن بالظاهر بانسجام تام . ومن أجل أن اخلاص القلوب هو أساس العبادات؛ حصل التفاوت بين الأعمال صلاحا وفسادا بناء على سلامة النية وعدمه .

٤- لا يعبد الله تعالى الا بما شرع

ليس للعبد أن يبتكر عبادات من تلقاء نفسه ، فالعبادات جاءت واضحة ومحددة لا تقبل التغيير ، والتبديل ، والزيادة والنقصان ، فيجب أن تؤدى بالصورة التي شرعها الله تعالى ، وبالكيفية التي ارتضاها ، ولا يصح أن تبنى على الأهواء والظنون ، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الابتداع في الدين وقال صلى الله عليه وسلم :" ... **كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ...**" . وقال : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد** " [١] وفي بيان الالتزام بالكيفيات قال : " **صلوا كما رأيتموني أصلي** "[٢] وقال في الحج :" **خذوا عني مناسككم** " [٣] .

والعبادات بالمعنى الخاص ، لا مجال فيها للزيادة أو النقصان ، أو التغيير والتبديل في هيآتها ، وشروطها وأركانها فالصلاة ، ركعات معلومة ، بهيئات واذكار وحركات معلومة وكذلك الزكاة لها نصاب معلوم ، والحج والصوم ... وهذه العبادات لا تعلل ، فلا يقال : الصوم للصحة ، والصلاة للرياضة ، والوضوء للنظافة اذ الأصل في العبادات الامتثال ، وأما ما يقال مما ذكر فمرده الى ملاحظ من العلماء رأوا أن العبادات تكسبها العابد ، وتعود عليها فهي ليست عللا ، وانما حكم وفوائد.

---

١ - متفق عليه

٢ - رواه البخاري

٣ - رواه النسائي

يقول الامام ابن تيمية في بيان أن الله تعالى لا يعبد الا مما شرع : جماع الدين أصلان " أ- الا نعبد الا الله ب - لا نعبده الا بما شرع ، فلا نعبده بالبدع فقد قال تعالى :﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾[1] .

أما الأقوال والأفعال الأخرى التي تدخل في المعنى العام للعبادة ، فينبغي أن تكون وفق مراد الله وما يرضيه ، فاذا كان مراد الله معلوما في القرآن أو السنة أو الاجماع فعله المسلم ، وان لم يكن معلوما فعلى العلماء المجتهدين أن يبينوا مراد الله فيه حتى يكون سلوك المسلم وفق مراد الله وما يرضيه وفي كل الأحوال يظل الله تعالى هو المشرع ، ويكون المرء عابدا لله اذا فعل كل ما يريده الله ، أي كل ما شرعه سبحانه .

٥- مبنى العبادة على اليسر ورفع الحرج

مما تختص به شريعة الاسلام أنها مبنية على اليسر والسهولة والسماحة لأنها شريعة الله الخالدة لجميع عباده في شتى الأزمان، والأقطار ، اذ هي شريعة الرحمن الرحيم ، الذي كتب على نفسه الرحمن والذي سبقت رحمته غضبه ، والذي وسع كل شيء رحمة وعلما ، ورسالة هذا شأنها لا بد أن يجعل الله تعالى فيها من التخفيف والتيسير ما يلائم اختلاف الأجيال في شتى البقاع ، وسائر العصور ، ولقد وردت نصوص قرآنية كريمة في بيان ذلك منها قوله تعالى :﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾[2] ويقول : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾[3] فالاسلام يسر لا عسر فيه ، وسهل لا شدة فيه ، وقد صرحت الأحاديث الشريفة في مواطن كثيرة بما يتلاءم

---

[1] - الكهف ١١

[2] - المائدة ٦

[3] - البقرة ١٨٥

مع الآية الكريمة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " **ان الدين يسـر ، ولـن يشـاد الدين أحد الا غلبه فشددوا ، وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشـيء من الدلجة** " [١] ومـن الأمـور العمليـة الدالـة علـى اليسـر أن الشـريعة قـد أوجـدت في التكاليف الشرعية عزائم وهي الأصول ، ووضعت رخصا وهي البدائل في حالة عجـز المكلف عن تأدية الأصول من ذلك الترخيص بالافطار عند السفر ، والمرض وغيرهما، وعدم تكليف النفساء والحائض بقضاء الصلوات التي تفوتهمـا ، واباحـة التيمـم بـدل الوضوء للضرورة والمسح على الخفين والجبائر ، وأمثال ذلك كثيرة .

---

[١] - البخاري ، كتاب الايمان ، باب الدين يسر

الفصل الثاني

علاقة الانسان مع نفسه *

لقد نظم الاسلام علاقة الانسان مع نفسه مثلما نظم علاقته مع الخالق سبحانه والكون ، والحياة .

فالانسان الذي هو المخلوق المكرم عند بارئه ، المفضل على كثير من مخلوقاته ، الذي سخر له الله سبحانه هذا الكون بأسره ، لم يتركه مهملا ، وانما بين له أنه : عقلا ، وجسما ، وروحا ، ونفسا ليس ملك ذاته وانما هو ملك خالقه فلا يحق له أن يتصرف بذاته كما يرغب وانما وفق أوامر بارئه سبحانه فلا يحق له أن يرهق عقله أو جسمه ، أو نفسه ، بما لا يطاق ، ولا أن يحملها فوق الوسع فطالما انه كرمه ، وأسجد له الملائكة : ﴿ **اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ [1] . فعليه أن يقدر هذا التكريم ، سيقيم على صراط الله ، ويقف عند حدود أوامره ونواهيه ، وليقدر نعمة هذا العطاء في مجال العقل ، والنفس والروح . فلا يتصرف فيها الا وفق النظام المرسوم وفيما يلي سنبين اهتمام الاسلام بالانسان وكيف نظم الاسلام علاقته بذاته بادئين بتربية الاسلام للعقل .

---

* كتبه د. محمد الشلبي

[1] - سورة ص ٧٠-٧١

تربية العقل في الاسلام

لقد اهتم الاسلام بالانسان : عقلا ، وجسدا ، وروحا ، ولم يهتم بجانب على حساب الآخر ، فقد جعل العقل مناط التكليف في جميع والاعتقادات والتصرفات فلم يخاطب سوى العقلاء ولم يطلب الا من العقلاء ، أمرا ونهيا ولفت انتباه العقلاء الى آيات الله تعالى المبثوتة في ثنايا هذا الكون : أرضه ، وسمائه ووهاده ، وجميع مخلوقاته فقال سبحانه : ﴿ **ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذي يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [١] .

وعندما نزلت هذه الآية الكريمة قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه :

" **ويل لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها** "

ذلك لأن العقل وسيلة الانسان الى الله تعالى والى معرفة الحق ، ووسيلة العقل الى الله تعالى هي تدبر الظاهر للحس ، والمدرك بالعقل ، والاسلام يأخذ في تدريب الطاقة العقلية وسيلتين :

الأولى : هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي .

والثانية : هي تدبر نواميس الكون ، وتأمل ما فيها من دقة وارتباط .

الوسيلة الأولى يصل اليها بطائفة من التوجيهات ، والتدريبات :

فهو أولا يبدأ بتفريغ العقل من المقررات السابقة التي لم تقم على يقين ، وانما قامت على مجرد التقليد والظن ، فينعى على المقلدين الذين يقولون : ﴿ **انا وجدنا**

---

[١] آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١

آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون ﴾ [1] والذين يتبعون الظـن فيقـول : ﴿ ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ [2]

ثم هو يأمر بالتثبت من كل أمر قبـل الاعتقادية واقتفائه .[3] حيث يقـول البـاري سبحانه : ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفـؤاد كـل أولئـك كـان عنه مسئولا ﴾ [4] .

والأمثلة على هذا التثبت كثيرة في الكتاب والسنة منها ما جـــاء في حادثـة الإفك : ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عنـد ا الله هـم الكاذبون ﴾ [5] ومنها حديـث الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم للشـاهد :" هـل تـرى الشمس على مثلها فاشهد أو دع " [6] .

ومثل هذا في الكتاب الكريم والسنة المطهرة كثـير ، وكلـه يطلـب مـن المرء المسلم تحدم التقليد الأعمى ، والمحاكات البلهاء للآباء والأجداد ، سواء أكانوا مهتدين أم ضالين ، ويخاطبه أن يستخدم عقله ليمحص الأمور كلها ؛ ليقبلها ، أو يرفضها عن بصيرة ، واهتداء .

والوسيلة الثانية : التي هي تدبر نواميس الكون ، تطبع العقل بطابع مـن الدقـة والتنظيم ، اذ فوق ما يوحيـه ذلـك للقلـب البشـري مـن تقـوى الله الصـانع المدبـر ، والتوجه اليه في كل أمر ، فانه بعود العقل على دقة النظر ، وانضباط الأحكـام ، اذ أن كل ما في الكون مضبوط بحسـاب دقيـق ، ووزن لا يخس مثقـال ذرة ولا أدنـى مـن

---

[1] - الزخرف ٢٣

[2] - النجم ٢٨

[3] - منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ، ٩٠

[4] - الاسراء ٣٦

[5] - النور ١٣

[6] - سبل السلام . الصنعاني ، ١٣٠/٤ ، كشف الخفاء ومزيل الالباس ٩٣/٢

الذرة ، ولو حصل خلل بسيط في تلك المعايير لأختل نظام الكون كله ولطويت صفحة الحياة على الأرض .

وقد انطبع تفكير المسلمين بهذه الدقة العلمية – على الرغم من قلة ما كان لديهم آنئذ من آلات وأدوات – وليس أدل على ذلك من أبحاث ابن الهيثم في البصريات ، والبتاني الذي قاس بالدقة دورة الأرض حول الشمس ، وعرف مواعيد الكسوف والخسوف [1] .

ولقد لفتت آيات القرآن الكريم انتباه الانسان ، وأثارت كل اهتماماته حول دقة النظام الكوني الدال على القدرة ، والابداع في كل ناحية من نواحي الحياة ، سواء كان في مجال النفس البشرية ، أم في عالم الحيوان ، والنبات ، أم في دائرة الجمادات فمن تلك الآيات قوله تعالى :

﴿ خلق السموات والأرض بالحق ، ان في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ [2]

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ [3]

ويوجه الاسلام الطاقة البشرية العقلية الى حكمة التشريع . في مجال القصاص ، والعبادات ، والمحرمات ، وشئون الأسرة وغير ذلك ، يقول تعالى :

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ [4]

﴿ وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ [5]

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ﴾ [6]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ... ﴾ [7]

---

[1] – منهج التربية الاسلامية مع تصرف ، محمد قطب ، ص٩٢

[2] – العنكبوت ٤٤

[3] – الدخان ٣٨

[4] – البقرة ١٧٩

[5] – البقرة ١٨٤

[6] – البقرة ٢١٩

[7] – البقرة ٢٨٢

وهذه الآية أطول آية في القرآن الكريم حيث تدخلت في بيان التعامل وأصوله لما للمال من أهمية في حياة الناس ينشأ عن اهمالها ألوان من الخصومات ، والمنازعات لا يعلم مداها الا الله عز وجل .

يقول الشيخ محمد الغـزالي في كتابه هـذا ديننـا - بعـد عـرض المجموعـة مـن الآيات التي لفتت العقل البشري الى دقة التنظيـم في هـذا الكـون ، لتحـرره مـن قيـود الخرافة ، والتقليد .

والحضـارة الاسـلامية الأولى قـامت علـى تسـخير العقـل ، والبصـر في مجـال الحقيقة النافعة ، فأفادت لنفسها الخير الكثير ، وورثت العالم الخير الكثير .

وفي الوقت الذي أطلق فيه الاسلام حرية الفكر ؛ قيد حريته الشـهوة ، ووضـع حولها الضوابط ... الى أن يقول : ان العالم اذا كان قـد أصابـه خـير ؛ فمـن حريـة العقـل ، والنظر ، واذا كان قد مسه ضر فمن حرية الهوى ، والعبث .

وكما أن الاسلام حرر العقل من الخرافة ؛ فقد أمر بصيانته مما يؤثر فيه بحيـث يؤدي الى ضعفه ، أو تغييه تغيبا مؤقتا ، وفي سـبيل تحقيـق ذلـك حـرم الاسـلام جميـع المسكرات والمخدرات التي تحجب العقل ، وتحول بينه وبين مواجهة الواقع ، ومعالجته وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يسألونك عن الخمر ، والميسر قل فيهما اثـم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ [1] ويقول الرسول صلى الله عليـه وسلم : "**لعـن الله الخمرة ، وعاصرهـا ومعتصرهـا ، وحاملهـا ، والمحمولـة اليـه ، وشاربها ، وبائعها ن ومبتاعها ، وساقيها ، ومسـقاها**" [2] ، ولكـي لا تطمـح نفـس امرئ الى تعاطيها ولو للتداوي يقطـع الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم كـل هواجـس النفس نحوها فيقـول لمـن سـأله عـن التـداوي بهـا ، انهـا داء فعن طـارق بـن سـويد

[1] - البقرة ٢١٩

[2] - موارد الظمآن ص٣٣٣

الحضرمي قال : قلت : يا رسول الله ان بأرضنا أعنابا نعتصرها ، ونشرب منها . قال : لا تشرب ، قلت : أفنتشفى بها المرضى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" انما ذلك داء ، وليس بشفاء "** [1] .

وما نتجت المصائب في المجتمعات الغربية والشرقية الا نتيجة للحيدة عن أمر الله عز وجل وتنكب صراطه المستقيم ، حيث عكف الهابطون والهابطات على المخدرات والمفترات ، والمسكرات يعبون منها حتى الثمالة ، وسنن الله تعالى لهم بالمرصاد فقد ابتلاهم تبارك وتعالى بالأمراض التي لم تكن في أسلافهم مما هو معروف لدى الأطباء والناس كافة ، وصدق الله العظيم : **﴿ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾** [2]

الروح

تعريفه: الروح تذكر وتؤنث وهي تلك الطاقة الهائلة في كيان الانسان ، والركن المهم والعنصر الاساسي في تكوينه ، وهي التي يتم بطريقتها اتصال الانسان بربه تعالى ، لأنها من روحه سبحانه قال تعالى : **﴿ فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحي ، فقفوا له ساجدين ﴾**

فالروح الانسانية نفخة من روح الله تعالى ، يستحيل على العقل البشري ادراكها ومعرفة كنهها ، حيث ان الله تعالى أوجدها ، وأبقى أمرها خفيا على الانسان لحكمة يعلمها جلت قدرته فهو قد أوجد أمورا كثيرة ، وأخفاها عن خلقه ليجتهدوا في العبادة ، ويجدوا في فعل الخيرات مثل ليلة القدر ، وساعة الاجابة من يوم

---

١ - موارد الظمآن ٣٣٤

٢ - طه ١٢٦

الجمعة ، وغيرها ، ومن أجل هذه المخفيات الروح فقد قال تعالى بشأنها ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا** ﴾ [1] .

فهي اذن نفخة من روح الله تعالى تؤكد مبدأ صلة الانسان بربه عز وجل وقد أصبح بهذه النفخة سيد الكائنات ، وخليفة الله تبارك وتعالى ، وقد تجلت هذه النفخة الروحية في الانسان بما يتمتع به من امكانات الضبط الذاتي التي تشترك فيها الروح والعقل معا بطريقة لا يعرفها أحد ولا يعلمها الا عالم السر وأخفى .

اذن فالانسان لن يدرك ماهية الروح ، وهذا منتهى الالزام بالاعتراف بأنه كما وصفه ربه عز وجل ﴿ **وخلق الانسان ضعيفا** ﴾ [2]

فالروح هي طاقة الحياة في داخل الانسان في داخله ومبعث الهدى في نفسه ومصدر الادراك في عقله ، ومع ذلك فهو لا يعرف من طبيعتها الا الاسم لأنها من آيات الله العظمى ، ومن أسراره القصوى .

يقول محمد قطب في كتابه : (منهج التربية الاسلامية) :

ما هي الروح ؟

شيء مبهم غامض ليس له حدود ، وهذا الابهام في طبيعة الروح والغموض الذي يحيط بها ، والعجز عن ادراك كنهها هو الذي أعزى الماديين في العصور الحديثة أن يهملوها اهمالا ويسقطوها من الحساب .[3] ثم يتابع القول : " الروح طاقة مجهولة ، مبهمة ، غامضة ، محجوبة عن الادراك ومع ذلك فهي حقيقة .

---

[1] - الاسراء ٨٥

[2] - النساء ٢٨

[3] - منهج التربية الاسلامية ٤١

انها مجهولة في كنهها ، مبهمة غامضة محجوبة عن الادراك ولكن نتائجها ليست مجهولة ، ولا محجوبة عن الادراك ثم يمضي في حديثة عن الروح فيقول : " انها الطاقة التي يتصل بها الانسان بالمجهول ، بالغيب المحجوب عن الحواس " [1]

ثم يعرض بعد ذلك الى بعض الأمور الناتجة عن الروح فيقول :

الاستشفاف " عملية من عمليات الروح ، والحلم التنبؤي عملية من عمليات الروح . والتخاطر عن بعد " التليباتي " كحادثة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مع سارية حين ناداه على بعد ألوف الأميال : يا سارية الجبل ! الجبل فسمعه سارية ونجا من الكمين ، وانتصر. هذا التخاطر عملية من عمليات الروح ، وهي كلها عمليات جليلة عظيمة باهرة معجزة ، يقف الانسان حائرا أمامها مبهوتا من العجب ، والاعجاب ، ولكنها مع ذلك عمليات جانبية ، انما الوظيفة الكبرى للروح هي الاتصال با لله سبحانه وتعالى [2] .

يقول د.نبيه عبدالرحمن عثمان في كتابه " الانسان : الروح ، والعقل ، والنفس " :

والبحث في الروح من أمر الغيبيات لا يدركه العقل الانساني لكن الانسان بعقله يدرك أن هناك شيئا خارقا يحرك جسمه ، ويرى كل لحظة هذه الآية العظمى ، ويتيقن من وجودها حين يشاهد الموت ... ان الروح من أعظم آيات الله التي تدل دلالة واضحة على عظمة الخالق ، وقدرته سبحانه وتعالى .. لقد وردت كلمة الروح في القرآن الكريم بما يفيد افاضة الحياة من الله تعالى على الانسان من ذلك قوله تعالى :﴿ **فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ [3] فكلمة روحي هنا هي التي استحق آدم بها أن يسجد له الملائكة عليهم السلام سجود تكريم لا سجود عبادة حيث ربت

---

[1] - منهج التربية الاسلامية ٤٣

[2] - منهج التربية الاسلامية ٤٣

[3] - الحجر ١٢٩

الله تعالى السجود على نفخ روحه سبحانه في آدم وليس على تكوينه الجسدي وكذلك الشأن في قوله تعالى عن خلقه عيسى عليه السلام : ﴿ **والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا** ﴾ [1] .

وقد وردت كلمة روح في القرآن الكريم لمعان أخرى ، منها : القرآن ، والوحي كقوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، وانك لتهدي الى صراط مستقيم** ﴾ [2] وفي الدلالة على الوحي مثل قوله تعالى : ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق** ﴾ [3] .

كما تأتي الروح بمعنى ملك الوحي جبريل عليه السلام كقوله تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾ [4] وهكذا فان الروح بالمعنى المراد – وهي تلك اللطيفة الربانية التي تتناول معنى الحياة ، والتي بها يكون الحس والحركة ، كما تتناول تلك الأمور التي ترتبط بها أشواق الانسانية ، وتتطلعها الى الملأ الأعلى – ستظل سرا مغلقا ، وأمرا محجوبا عن فهم الانسان – وأكبر دليل على ذلك ما ناله الانسان في ميادين التقنية فقد فجر الذرة وسير المركبات الى أعالي الفضاء ، وغاص في اعماق البحار ، وعرف أشعة ليزر ، واخترع الأسلحة البالستية ، وقطع أشواطا بعيدة في مجالات علم النفس ، وعرف أسرارا كثيرة عن الجسد وما يتصل به ، غير أنه في عالم الروح مازال يحبو وسيظل كذلك .

وقد زود الله تعالى الانسان بالروح ليكون مدركا لعلاقته بالله سبحانه ، وبالكون وبغيره من الناس ادراكا ملتزما بنصوص الوحي ، فالروح ليست جزءا من جسده ، كما أن وجود الروح لا يستلزم وجود الناحية الروحية ، ولذلك فليس

---

١ – الانبياء ٩١

٢ – الشورى ٥٢

٣ – غافر ١٥

٤ – الشعراء ١٩٣-١٩٤

الانسان كائنا روحيا، وليست الأشياء كائنات روحية ان الروح في الانسان هي سر الحياة ، وهي غير الطاقة الحيوية الموجودة في الانسان ، وفي الحيوان ، وفي النبات .. وجودا خلقه الله سبحانه وقدره .

والناحية الروحية في الانسان هي ادراكه لكونه مخلوقا لله تعالى ، مسؤولا أمامه ، مستخلفا على الأرض ، راجعا الى الله يوم القيامة ، ومحاسبا على كل شيء عمله حسابا عادلا ؛ لا يظلم فيه مقدار ذرة .

أما الناحية الروحية في الكائنات والأشياء الأخرى ، فكونها مخلوقة لخالق ، مسخرة بأمره للانسان ، وكما أرادها الله سبحانه ، وبكيفيات أرادها – جل شأنه – مطلوب من الانسان أن يكتشفها ليعرف بدائع صنع الله – تعالى – في مخلوقاته وليمارس استخلافه عليها . [1]

حيث ان الله تعالى حجم علمه في مجالها ، وكفكف غربه ، واستوقف سربه عندما قال: **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾** [2] .

عناية الاسلام بالروح

الانسان ذو طبيعة مزدوجة فهو ثنائي التركيب ، أو ثلاثية فهو جسم وروح وكذلك هو : جسم وعقل وروح ، وعلى كلا الحالين فانه ينبغي عدم النظر اليه على أنه أشلاء مبعثرة لا يضبطها ضابط ، ولا يجمعها رابط ، فلا يصح أن ينظر اليه الا كما ينظر الى الآلة الدقيقة – مع بعد الفارق في التشبيه – فكما أن الآلة لا يمكن أن تعمل اذا فصل جسمها عن جهاز الحركة فيها ، أو وجد جهاز الحركة والجسم ، ثم

[1] – الدراسات الانسانية في ميزان الرؤية الاسلامية ، د.عبدالقادر رمزي ، ص١٣٩–١٤٠

[2] – الاسراء ٨٥

فقد جهاز التوجيه . فكذلك الانسان لا يمكن أن يكون انسانا الا بعقلـه ، وجسـمه ، وروحه ، والروح ، والعقل أسمى ما فيه ، والجسم هو الوعاء الحافظ لهما ، ومتى اكتملت اجهزته التي زوده ا لله تعالى بها واستوت سليمة مستقيمة استطاع الانسان عند ذلك ان يقوم بالدور الذي اختاره ا لله تعالى له وهو الاستخلاف في الأرض ، وعمارتها بما يرضي مولاه ، والعبادة التي بها تتم الاستقامة ، وتتحقق عن طريقها غاية الغايات وهي رضوان ا لله تعالى .

يقول محمد قطب :

" والاسلام يعنى عناية خاصة بالروح انها في نظره مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه انها القاعدة التي يستند اليها الكيان كله ، ويترابط عن طريقها ، انها المهيمن الأكبر على حياة الانسان كلها ، انها الموجه الى النور ، يكفي انها صلة الانسان بالله.

فالحق أن الطاقة الروحية في الانسان هي أكبر طاقاته ، وأعظمها ، وأشدها اتصالا بحقائق الوجود.

أما طاقة الجسم فمحدودة بكيانه المادي ، وبما تدركه الحواس .[1]

فالايمان بالله تعالى يقتضي الايمان بوجود الروح حيث ان الآيات القرآنية الكريمة أشارت اليها في غير موطن .

وكما أننا نؤمن بالله خالقا لهذا الكون ، وما بعد هذا الكون ، فاننا نؤمن بالروح وبالجانب الروحي في الانسان ، وبأثره في حياته ، لذلك فاننا اذ نؤمن بالجانب الروحي في الانسان نؤكد مع هذا الايمان ضرورة الأخذ به منهجا وأسلوبا للوصول الى حقيقة هذا الوجود ، والى خالق هذا الوجود . وهذه الحقيقة هي أعظم الحقائق على الاطلاق فالانسان اذا صفت روحه وتجردت استطاع أن يدرك ما لا يمكن ادراكه عن طريق المناهج التربوية الأخرى : العقلي ، والتجريبي والتاريخي .[2]

---

[1] - منهج التربية الاسلامية ص٤٥

[2] - النظرية التربوية في الاسلام ، د.محمود السيد محمد سلطان . ص ٣

ولقد اهتم الاسلام بتربية الروح اهتماما بالغا وذلك عن طريق عقد الصلة الدائمة بينها وبين خالقها لتظل مشدودة اليه سبحانه وتعالى مسبحة بحمده صاعدة في طريق الوصول اليه في المسلك الوحيد الذي أراده الله سبحانه وهو طريق العباد: يقول الأستاذ محمد قطب : طريقة الاسلام في تربية الروح هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله تعالى في كل لحظة ، وكل عمل ، وكل فكرة ، وكل شعور .

ذلك لأن الاشراقة الروحية الدائمة الوميض التي لا تنطفئ أبدا هي التي تتولد نتيجة التأمل في قدرة الخالق سبحانه ، وما أبدع في هذا الكون من اسرار ، وبث في ثناياه من جمال ، وهذا التأمل ان لم تتمه عبادة الخالق سبحانه كان عبارة عن اشراقة تومض حينا وتختفي أحيانا غير أن ذلك يحتاج الى الربط الدائم بالله ، وهذا لا يتم الا عن طريق دوام الصلة بالله ، ومن هنا يفهم سر أن روح العبادات كلها الخشوع ، وبعدها عن المظاهر والرياء .

ان الحياة بكل ما فيها من سماء ، وأرض ، وجبال ، وبحار ، وأنهار ، وأشجار وثمار ، وشموس وأقمار كلها تدعو الى التعجب لما فيها من جمال متكامل ، وتناسق عجيب ، وسلامة من الخلل وكل هذا يدعو الى التأمل الذي يقود الى التلذذ الدائم والامتاع المتجدد والقرآن الكريم يلفت النظر الى مثل هذا في آيات كثيرة منها قوله تعالى :﴿ **ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾ [1] .

---

[1] - البقرة ١٦٤

والاسلام وهو يربي الروح يعمد الى هذه الآيات فيبث فيها الحياة والقرآن حافل بهذه الادعوة للانسان ليفتح بصيرته على آيات الله تعالى في الكون ، فيستشعر من ورائها يد القدرة القادرة الخلاقة المبدعة .[1]

ولكي تظل الروح صاعدة في مجالات الترقي ، فقد فرض الله سبحانه وتعالى العبادات على عباده المؤمنين لتوفر لهم - كما أسلفنا - دوام الصلة بخالقهم لتنقي أرواحهم ، وتخلصها من عتامة الطين ، وتفكهم من اسار المادة الذي يميت الروح أو يضعفه، فالعبادات شرعت لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيه .

واذا كانت العبادات لا تحقق الأهداف التهذيبية ، فهي ليست عبادات خالصة يقبلها الله تعالى ، ويثيب عليها .[2]

ومن يستعرض العبادات الاسلامية كلها بدءا بالصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الاسلام بعد الشهادتين ، وهي عماد الدين المنصوبة علامة للتفريق بين الكفر والايمان ، وانتهاء بازالة الأذى عن الطريق ، يجد أن عنصر تربية الروح هو أهم ما في العبادات ، فاذا فقدته فقد فقدت ما شرعت من أجله ، واصبحت هي وعدمها سواء .

ومن هنا ندرك أن الذين لا يؤدون العبادات على وجهها ، أو لا يؤدونها بالكلية يهبطون عن مستوى التكريم الانساني الذي كرمهم الله تعالى به ، وينتكسون انتكاسا خطيرا يجعلهم دون مستوى الكائنات الحية الخسيسة .[3]

فلا سبيل اذن الى تربية الروح الا عن طريق الدين ، فالدين هو الذي يكفل حاجة الروح ، ويوفر لها مطالبها ، ويمدها بما يصلحها ، ويقويها ، ويصل بينها وبين

---

١ منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ، ص٥

٢ - المجتمع الاسلامي ، محمد أبو زهرة ص ١٣-١٤

٣ - الثقافة الاسلامية ، الشيخ عبدالرحمن حبنكة ورفاقه ص١٤٦

الخلق ، والخالق على أساس قوي متين ، والدين هو الذي يحمي الانسان من الفساد ، ويحفظه من الرذيلة ، ويهديه الى الصراط المستقيم ، وهو الذي يقاوم الشـــر ويقضي على الميوعة ، وينشر الفضيلة ، يقوى الروابط ، ويصلح النفوس ويعلي شأن الأمم .[1]

وقصارى القول في هذا الأمر ألاسترشاد بقول الباري سبحانه :﴿ **قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين** ﴾ [2]

فالروح من أمر الله ، وكل ما يتعلق بها ينبغي أن يكون مستمدا من عند الله سبحانه وتعالى ، اذ الروح لا يشبعها الا خالقها .

ان قضية السعادة تتعلق بالقلوب ، ولا يفتح القلوب الا خالقها علام الغيوب .[3]

ماذا ينتج عن اهمال تربية الروح ؟

هذا أمر يطول بحثه ويصعب استقصاؤه ، فقد عم بلاء اهمال التربية الروحية العالم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، ولم ينج منه الا من أنجاه الله تعالى بالتمسك بحبله، والاعتصام بشرعه ، ولكي يخرج المرء بنتيجة مضمئنة في هذا الأمر عليه أن يلقي نظرة على العالم ليجد أن يقفز فقزاتت هائلة ويخطو خطوات سريعة نحو حافة الانتحار بعد أن أدار ظهره للدين ، وأهمل جانب الروح ، وعكف على المادة ، وقصر نفسه في فلكها يعب من معينها ما حلل ، وما حرم ، وما خبث وطاب ، فانتشرت فيه الأمراض المستعصية الفتاكة ، وتفاقمت فيه المصائب الخلقية ، وكثر فيه الشذوذ ، والانتحار ، وانفصام الشخصيات ، والعقد النفسية ، ومركبات النقص وغير ذلك من

---

١ - الوازع الديني وأثره في تهذيب النفوس ، مجلة هدى الاسلام ص٧٥ ، سميح أحمد عثامنة .

٢ - الأنعام ١٦١

٣ - الاسلام ومستقبل البشرية ، د.عبدالله عزام ص١٧

الآفات التي لم تعرفها المجتمعات التقية الطاهرة المتمسكة بدين الله ، الصادعة بأوامره سبحانه وتعالى .

وقد سلك الاسلام مسالك متنوعة ليحقق التربية الروحية منذ سن مبكرة لتتصف روح الولد بالصفاء والاشراق ، وتتفجر نفسه بالايمان والاخلاص وقد تم ذلك ضمن منهج يمكن تلخيصه بما يلي :

١- ربط الولد بالعبادة ، فعن عمرة بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع "

٢- ربط الولد بالقرآن الكريم فعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فان حملة القرآن في ظل عرض الله تعالى يوم لا ظل الا ظله مع أنبيائه ، وأصفيائه "[1]

وقد أوصى ابن سينا في كتابه السياسة أن يبدأ بتعليم الولد القرآن الكريم ، كما جاء في الاحياء للغزالي : " أن يعلم الولد القرآن الكريم ، وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار ...

٣- ربط الولد بالمساجد ليكون ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، والذين حصرت فيهم عمارة بيوت الله في قوله تعالى : ﴿ **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا** ﴾ [2]

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد ؛ فأشهدوا له بالايمان** "[3]

---

[1] - رواه الطبراني

[2] - التوبة ١٨

[3] - رواه الترمذي

٤- ربط الولد بذكر الله تعالى .. ذلك لأن ذكر الله تعالى حياة للقلوب وطمأنية وانعاش للنفوس ، به يكتسب المعية الدائمة لله تعالى وبهذا وردت آيات كثيرة ، وأحاديث عديدة يقول تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم ...**﴾ [١] ويقول سبحانه :﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ [٢]

وفي الحديث الشريف جاء قوله صلى الله عليه وسلم :" **مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت** " [٣]

ولما أهملت النواحي آنفة الذكر طبق الله سبحانه وتعالى سنته التي لا تتخلف عن المخالفين والتي جاءت الآيات محذرة ومنذرة من مغبتها كقوله تعالى : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ [٤]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ [٥] .

وها نحن نشاهد ، ونسمع ، ونقرأ ما نجم عن التولي عن ذكر الله ، من آفات مدمرة وويلات محزنة كانت كلها نتيجة حتمية للفراغ الروحي القاتل تمكن تلخيصها بما يناسب المقام وهي :[٦]

١- الولوغ في المشروبات الكحولية .

٢- الادمان على المخدرات .

٣- التمرد وعدم الانتماء الى الحضارة .

---

١ - البقرة ١٥٢

٢ - الاحزاب ٤٠-٤١

٣ -.رواه البخاري

٤ - الانعام ٤٤-٤٥

٥ - محمد ٣٨

٦ - الاسلام ومستقبل البشرية ، د. عبدالله عزام ، ص٣٠

٤- الأمراض العصبية والعقلية .

٥- الجرائم .

٦- السعار الجنسي وأمراض الجنس .

٧- الانتحار .

النفس

تعريف النفس لغة

قال أبو اسحق : النفس في كلام العرب يجري على ضربين : أحدهما قولك : أخرجت نفس فلان ؟ أي : روحه ، وفي نفس فلان أن يفعل كذا ، وكذا ، أي : في روعه .

والضرب الآخر : معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته ، تقول : قتل فلان نفسه ، وأهلك نفسه. أي : أوقع الاهلاك بذاته كلها . ومن معاني النفس : الروح ، والدم ، والأخ ... [1]

تعريف النفس اصطلاحا

عرفها الكندي بأنها : (استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة).

وعرفها أيضا بأنها : (بسيطة ذات شرف ، وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها من جوهر الباري – عز وجل – كقياس ضياء الشمس من الشمس .[2]

وللغزالي تعريفات كثيرة للنفس منها : " النفس لطيفة مودعة في هذا القالب.هي محل الأخلاق المحمودة " وهي ثلاثة أقسام ذكرها الله تعالى في كتابه : الامارة ، واللوامة ، والمطمئنة "

- فالأمارة هي النفس .

---

[1] - اللسان ٦٨٨/٣

[2] - رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٧٣

- واللوامة هي القلب .

- والمطمئنة هي الروح .

وقيل : الأمارة تمازج صاحب الاسلام .

واللوامة تصاحب صاحب مقام الايمان .

والمطمئنة تساكن صاحب مقام الاحسان .[1]

وقد ورد لفظ النفس في القرآن الكريم على صور متعددة فأحيانا يدل هذا اللفظ على الانسان ككائن حي وذلك كقوله تعالى :

١ - ﴿ **واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا** ﴾ [2]

٢ - ﴿ **انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعا** ﴾ [3]

كما ترد أحيانا لتدل على ذات الاله تبارك وتعالى كقوله :

﴿ **ويحذركم الله نفسه ، والله رؤوف بالعباد** ﴾ [4]

﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾ [5]

وقد وردت كلمة النفس في القرآن الكريم لتدل على ما ينطوي عليه ضمير الانسان .

وذلك كقوله تعالى : ﴿ **ربكم أعلم بما نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا** ﴾ [6]

وقوله عز شأنه : ﴿ **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ [7]

---

[1] - رسائل في النفس ، تحقيق سعيد عبدالفتاح ، ص٦١-٦٢

[2] - البقرة ٤٨

[3] - المائدة ٣٢

[4] - آل عمران ٣٠

[5] - الأنعام ٥٤

[6] - الاسراء ٢٥

[7] - ق ١٦

والنفس البشرية لها علامات ، وصفات كثيرة أوردها القرآن الكريم في عروض متنوعة، ومناسبات شتى ، فكانت أعظم تحليل نفسي عرف عبر التاريخ وكيف لا يكون كذلك هو من لدن خالقها سبحانه الذي يعلم جميع مساربها ومنعراجتها ، ويعلم سرها وجهرها : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [1]

وقد ذكر القرآن الكريم أنماطا من النفس البشرية في حالاتها كلها من السمو والرفق ، الى الوسطية ، الى الهبوط في حمأة الرذيلة ، والتلوث في مستنقعات الحياة الآسنة ، والنفوس التي وردت في القرآن عن الحالات آنفة الذكر هي :

١- النفس المطمئنة

هذه النفس مؤمنة بالله راضية بقضائه وقدره قانعة بعطائه ، فهي نفس لا ترى غير الفضيلة مبدء ، ولا تختار غير الخير بديلا عملها الدؤوب الخير والبر ، لا تعترض على ما يصيبها من امتحان ، أو بلاء ، هي نفس تسعى لأن تحظى بالمقامات العليا ، وهي تسترشد دائما بنور الهدى ، وهي نفس تواظب على شكر المنعم سبحانه وتعالى أنفس صابرة متواضعة متسامحة ، ولعلها تلك النفس التي وصف الله اصحابها بقوله تعالى :﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [2]

فهي نفس تجاهد الشهوات حتى تحكمها ، وتخضعها لا سلطان للهوى في أرجائها ، ولا للنزوات ميلا في جنباتها ، هي نفس تؤمن أن الحياة الدنيا مصدر تزود بزاد التقوى هي نفس مطمئنة بحب الله تعالى ، ورضاه ، واثقة متمسكة بأحبال رحمته وهذه النفس تنهج دائما بذكر الله تعالى .[3]

---

١ - الملك ١٤

٢ - الفرقان ٦٣

٣ - الانسان ، الروح والعقل والنفس ، د . نبيه عبدالرحمن عثمان ، ص١٣٩

ان مرد ذلك كله الى ايمانها الصادق بما ورد في كتاب الله العزيز وذلك كقوله تعالى :﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [١]

النفس اللوامة

انها ليست نفسا لائمة فقط تلوم مرة وتسأم فتدع ، بل انها نفس لوامة ، دائمة اللوم والعتاب ، والمحاسبة على الزلات ، والمؤاخذة على الهفوات ، لا تكل ولا تمل كلما ألم الانسان بمنكر ، أو باشر محظوراً .

هذه النفس لا تستسلم اذا ما انتصر عامل الشر ، وانما تنهض تجاهد وتناضل حتى يكتب الله اندحار الباطل ، وانتصار الحق ، ولأهمية هذه النفس ونفاسيتها أقسم الله تعالى بها فقال عز شأنه : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ [٢]

وبالمختصر فان هذه النفس لا يقر لها قرار ما دام هنالك صراع بين الخير والشر ، فهي تجاهد في تجنب الأهواء ، وتبتعد عن مهاوي الضلال ، وتنبذ الأنانية والحقد ، والفساد.

٣- النفس الأمارة بالسوء : قال تعالى : ﴿ **وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء** ﴾ [٣]

هذه النفس تورد صاحبها موارد الهلاك اذ هي نفس شهوانية تلهث وراء اللذات ، وتستنزف كل وقتها ، وجهدها في اقتناصها ، وهيهات هيهات أن تنتهي اللذات ، أو تعرف الوقوف عند حد ، فلو أخذ الانسان قطاع المآكل ، والمشارب ، والمناكح وجهد في تحقيق مبتغاه منه لأفنى عمره ومعه أعمارا دون أن يبلغ منها وطرا .

---

١ - الحديد ٢٢- ٢٣

٢ - القيامة ١-٢

٣ - يوسف ٥٣

ان هذه النفس ضعيفة جاهلة تنقاد الى الحس الظاهري وتميل الى التعالي ، والأنانية ، ولا تقيم للقيم ، والأخلاق ، والدين أي اهتمام ، ولا مكان للمثل والفضائل في داخلها .

وهذه النفس شريرة لا تقنع ، ولا تشبع ، تطلب دائما المزيد ، ولا تزهد في شهوة واذا أراد صاحبها مواكبتها في مطالبها - عالية كانت أو هابطة - فان نهايته الخسارة والضلال بل والهلاك ايضا .

وقد عني الاسلام بعلاج النفس الامارة بالسوء ، وعلاجها يكون بتخليتها عن الصفات الذميمة ، وتحليتها بعد ذلك بالصفات الحميدة ، ويتم ذلك كله بالمجاهدة والندم ، والتوبة ، والاستغفار .[1]

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى حالة هذه النفس وهي غارقة في بحور الآثام، وذكر أن حالتها تلك تسمى " تدسية " وذكر مجاهدة الانسان في تخليصها ، واعتبر ذلك فلاحا وسمى تخليصها تزكية ، فقال جل شأنه :﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾ [2] ولقد أشار القرآن الكريم الى أن الانسان بطغيانه ، واعتدائه ، وتجاوزه حدود الله هو الذي يدسي النفس فيوردها موارد الهلاك ، كما أنه اذا خاف ربه وأتقاه ، واجتنب محارمه وخاف حماه ، نال بركته ورضاه ، ودخل كنفه ومأواه في جنته التي أعدها لمن اتقاه قال سبحانه : ﴿ **فأمامن طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى** ﴾ [3]

---

[1] - المرجع السابق . د.نبيه عبدالرحمن عثمان ، ص ١٣٠

[2] - الشمس ٢٧

[3] - النازعات ٣٧-٤١

مقومات النفس في القرآن

لما كانت نفس الانسان هي منـاط سـعادته ، أو شـقاوته ؛ فقـد عـني القـرآن الكريم تهذيبها ، وتقويمها بالأخلاق الحميدة ، والصفات العظيمـة ، وأجمـل ذلـك في اربع آيات هي : ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلـح من زكاهـا ، وقـد خاب من دساها** ﴾ [1] .[2]

ومقومات النفس في القرآن كثيرة ، ونستطيع القول جازمين أن القـرآن كلـه مقوم للنفس البشرية غير أن النظام الدرسي يقتضي الايجاز ما أمكن ولهذا نقول منها :

- من مقومات النفس في القرآن توحيد الله تعالى ونفـي الشـرك ولـذا بـدأ بهـا لقمان بموعظته ولده :" يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلـم عظيـم " ومنهـا : اقامـة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر والصـبر بمعنـاه الشاسـع وذلـك في قولـه تعالى :﴿**يا بني أقم الصـلاة ، وامـر بـالمعروف وانـه عـن المنكـر ، واصـبر علـى مـا أصابك ان ذلك من عزم الأمور** ﴾ [3] .

ومن مقوماتها التواضع ، وعدم الاستعلاء والتكبر علـى عبـادة الله تعالى :﴿ ولا تصغر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [4] .

ومن مقوماتها عـدم التمـاوج في المشـي اسـتكبارا ، وعطرسـة ، وكذلـك عـدم رفـع الصوت بما يزيد على اسماع المتحدث معه وافهامه :﴿ **واقصد في مشيك ، واغضـض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ [5] .

---

[1] - الشمس ٧-١٠

[2] - القرآن يقوم العقل والنفس ، خلف محمد الحسيني ، واللسان ص١٩

[3] - لقمان ١٧

[4] - لقمان ١٨

[5] - لقمان ١٩

وهذا الأدب عام حتى في السعي الى المساجد ، ورفع الصوت بالأذان فقد روي أن عمر رضي الله عنه قال لمؤذن - تكلف رفع الصوت بالأذان : خشيت أن يشق مر يطاؤك " والمريطاء ما بين السرة الى القامة " [1]

زمن مقومات النفس ما اشتملته خمس عشرة آية من سورة الاسراء بدءا من قوله تعالى :﴿ **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ... وانتهاء بقوله تعالى : ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾ [2]

ومن مقومات النفس في الاسلام تلك الآية الجامعة التي قال عنها عبدالله بن سعد رضي الله عنه : انها أجمع آية لخير يمتثل ، وشر يجتنب ، والتي قال عنها عثمان بن مظعون رضي الله عنه ما أسلمت حتى نزلت هذه الآية فاستقر الايمان في قلبي .[3]

وهي قوله تعالى : ﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ [4]

هذا ولقد أحصى العلماء لفظ النفس في القرآن الكريم فوجدوه في (٣٦٧) آية ، ولذا فان الحديث عن النفس يطول ويحتاج الى مجلدات ضخمة كي تستوعبه ، وتفيه حقه.

فالنفس الانسانية أمر معقد يصعب استكناهه ، وسيرغوره مهما حاول العلماء ، والمفكرون والفلاسفة ، فهو كالروح اذا ما اريد جانبه المعنوي ، وهو كالجسد اذا ما اريد جانبه الحسي الملموس ، وهو في كلا الحالين عقده العقد ومشكلة المشاكل فكما أن العلماء في مجال النفس ملأوا الدنيا ، وشغلوا الناس فيما يسمى (علم النفس) وهم ما زالوا في ذلك مرحلة الحبو ، فكذلك الشأن في عالم الجسم

---

[1] - المرجع السابق ، حنف محمد الحسيني ، ص٢٠

[2] - الاسراء من ٢٢ -٣٧

[3] - تفسير القرطبي

[4] - النحل ٩

الذي تعدت التخصصات الطبية لمعرفة أسرار الجسم فان الأطباء مقرون بأنهم ما زالوا في هذا المضمار بحاجة الى مزيد من البحث والتنقيب ، وكان لسان حالهم يقول :

فقل لم يدعي في العلم معرفة : عرفت شيئا وغابت عنك أشياء وعلى أي حال فالنفس من خلق الله ، وسر من بعض أسراره وهي هبة من الله تعالى للانسان نوه القرآن الكريم بذكرها ، وتكرر لفظها في القرآن باشتقاقاتها كافة حوالي (٣٦٧) مرة ، وهذا التكرار ليس عبثا ولا سدى وانما هو أكبر برهان على أهمية النفس البشرية عند خالقها جل شأنه ، وكما يقولون : (فان من أحب شيئا أكثر من ذكره) وهذا وان كان بشأن البشر فانه فيما يختص بالله تعالى يدل على أهمية المذكور ، وعلو شأنه ، ولفت الانتباه اليه .

خلاصة :

ان الانسان هذا الكيان المركب لا يمكن فهمه مزقا ، ونتفا ، فهو أعقد شيء يبحث وأعربه ، ولا يمكن لمخلوق أن يحيط بمتعرجاته ، وما ينطوي عليه ، ويكفي أن يقال فيه : انه انسان متعدد المزايا ، غزير الخصائص وأنه لا يفهم الا على أنه كيان مستقل بذاته عن بقية المخلوقات يمتاز عليها بما أودع من مزايا وخلال استحق بها أن تكون له الخلافة في الأرض وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها الله تعالى له، حدودا لعمارة له ومقتضياتها ، من قوى وطاقات .

لقد أودعه الله القدرة على الارتقاء في المعرفة ، ومن يومها وهو يرتقي كلما اتصل بمصدر النفخة الربانية ، واتمد منه في استقامة .

فأما حين ينحرف عن ذلك المصدر العلوي ، فان تيارات المعرفة في كيانه ، وفي حياته ، لا تتناسق ... وتصبح التيارات المتعارضة في كيانه خطرا على سلامة

اتجاهه ، حيث تهبط في سلم الارتقاء الحقيقي ، ولو تضخمت علومه ، وتجاربه في جانب من جوانب الحياة .[1]

ان الله سبحانه لم يدع الانسان الى فطرته ومواهبه واستعداداته ، وانما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليوجه الانسان الوجهة الصحيحة وليرسم له المسار المستقيم الذي لا يجنح به ذات اليمين ، وذات الشمال ، فيضل ، ويهلك .. ولذا نجد أن الكتاب الكريم والسنة المطهرة قد تدخلا في أخص خصائص الانسان ، وأدق دقائق حياته ليرسما له سبيل الخلاص ، فبينا له كيف يتعامل مع كيان ذاته : جسما ، وعقلا وروحا . وبين له القرآن والسنة على حد سواء أن جسمه ، وعقله ، وروحه ليست ملكا له يتصرف بها كيف يشاء ، بل هي ملك خالقه لذا عليه أن يصون نفسه عن الهلاك وعقله عن الفساد . فليس له أن يقتل نفسه ، ولا أن يهملها ، ولا أن يرهقها بالتكاليف المبتدعة ، ولا يحرمها بالتنسك القاتل على غرار النسك الهندي ، بل عليه أن يلتزم بالخط المرسوم . في مجال الحلال ، والحرام ، والمكروه ، والمندوب ، والمباح في أمورها كلها . وليس للمرأة أن تمتنع عن الحمل ، ولا أن تجهض نفسها ، ولا أن تتعاطى عقارا يقتل جنينها ...

فقد أمره ان يتداوى ، ويأخذ بالأسباب ، وقد أكدت السنة الشريفة الترابط بين الأسباب ، والمسببات ، فقد روى مسلم من حديث ابي الزبير عن جابر بن عبدالله أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء؛ برأ باذن الله عز وجل ".

وجاء في الصحيحين عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ما أنزل الله من داء ؛ الا أنزل له شفاء** ".

---

[1] - الظلال

وقد عني الاسلام بالجسم عناية فائقة ، بحيث لم يهمل أي وسيلة من الوسائل التي تساعد على حفظ الجسم ، وسلامته ، ونموه ، ويتمثل ذلك عن :

أ- طريق حل ما فيه نقع الجسم .

ب- طريق الرخص .

جـ- طريق التيسر ورفع الحرج .

د- طريق الرياضة البدنية .

هـ- طريق النظافة .

١- حل ما فيه نفع الجسم

لقد أحل الله سبحانه وتعالى لابن آدم الطيبات بأسرها ، وحرم الخبائث بجميع أنواعها ، وذلك لما في الأولى من فوائد ، وما في الثانية من مضار قال تعالى : **﴿ ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ... ﴾**

وقال سبحانه : **﴿ حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع الا ما ذكيتم ، وما ذبح على النصب ﴾** [١]

ففي هذه المحرمات صيانة للجسم ، والنفس ، والعقل على حد سواء ، اذ فيها سلامة الأعضاء ، وسلامة العقل من الولوغ فيما ولغت فيه الجاهلية ، وسلامة النفس أيضا من سوء المعتقدات ، والهبوط وراء الشهوات .

وقال سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾** [٢]

---

[١] - المائدة ٣

[٢] - المائدة ٩٠

وليست هذه الآية بأقل من سابقتها في الوقاية من الهبوط العقـدي ، والـتردي في ورطة الأمراض اذا لم يجتذب هذه القاذورات .. ولو أخذنا الخمر وحدها من بينهـا لوجدنا أنها ضررها شامل : للبدن ، والنفس ، والعقل والمال .

كما ان الاسلام منع من الافـراط في الأطعمـة والأشربة ، وأمـر بـأن يتنـاول الانسان منها ما يقيم الأود ، ويحفظ البدن ، ويعين على العبـادة ، والقيـام بالواجبـات فقال تعالى :﴿ وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ [1]

وقد كره الاسلام الاسراف في الطعام والشراب لأنهما السـبب في كـثير مـن الأمراض المعوية ، وأمـراض الكبـد ، والقلـب ، وضغـط الـدم ، ولأن الجسـم وحـده متكامله اذا مرض منه عضو ، تأثر له سائر الأعضاء .

٢- عن طريق الرخص

لقد عرف الأصوليون الرخص بأنها : (اسم لما شـرع مـن الأحكـام لعـذر ، تخفيفا وتيسيرا على أصحاب الأعذار) [2]

والاسلام كله دين يسر ، بعيد عن المشقات ، والعسر ، وان بدا فيه شيء من ذلك لذوي النظرات السطحية ، أو للعادية . قال تعـــالى : ﴿ يريد ا لله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ﴾ [3]

ومـن تتبع الرخص وجدها تشمل جميع الأحكام والعبادات فمن ذلك :

- التيمم .. وذلك يكون بدل من الوضوء في حالات ليس هنا مجالها ، وانما منهـا عـدم القـدرة على وجود الماء ، أو القدرة على استعماله ، أو عدم تحمل المريض مسه لأسباب صحيـة ، قـــال تعالى :﴿ فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ [4]

---

[1] - الأعراف ٣١

[2] - سلم الوصول لعلم الأصول ، عمر عبدالله ، ص ٧٥

[3] البقرة ١٨٥

[4] - النساء ٤٣

- قصر الصلاة في السفر قال تعالى : ﴿ **وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** ﴾ [1] وكذلك اعفاء المريض من القيام ، ومن الركوع والسجود ، والاستعاضة عنهما بالاعاء عند عدم القدرة على الأصل .

- الفطر في رمضان ، وذلك في السفر على أن يقضيه حال القدرة في الاقامة ، وعند المرض وفي حالة الحيض والنفاس قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام أخر** ﴾ [2]

٣- عن طريق التيسير ورفع الحرج

وذلك واضح كل الوضوح في جميع التكاليف الاسلامية اذ جعلت تلك التكاليف على قدر الحاجة ، ولم يفرض على المسلم شيء لا يستطيعه ، فالصلاة جعلها الله سبحانه وتعالى خمس مرات في اليوم والليلة وهي ان أديت بكمال خشوع وخضوع لا تستغرق بفرائضها وسننها الا جزءا يسيرا من اليوم والليلة .

وكذلك الصوم فهو مرة في العام ولا يغطي الا مساحة شهر واحد من اثني عشر شهرا وقد فرض على القادر ، فأعفي منه غير القادر اما ببدل ، أو بلا بدل .

وكذلك الزكاة فهي الى جانب أنها طهر لمؤديها من رذيلة الشح ، والقطيعة ، وللمؤداة اليه من الغل والحقد والحسد ، فانها لا تزيد على نسبة ضئيلة من مال المكلف اذا خلا عن الدين ، والحوائج الأصلية وهي تؤدي مرة في العام .

والحج فريضة العمر اذا توفرت شروطه وأركانه ، كالقدرة على السفر ، والأمن ، وملك الزاد والراحلة .

---

[1] - النساء ١٠١

[2] - البقرة ١٨٣، ١٨٤

ويكفي أن يفهم المسلم قول ربه عز وجل ﴿ **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** ﴾ [1]

وحدث رسول الله صلى الله عليهوسلم : " **ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبسروا ، وعليكم بالغدوة ، والروحة ، وشيء من الدلجة** "[2]

٤- الرياضة البدنية

أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نكون أقوياء ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ودلالات قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله ، وعدوكم ..** ﴾ [3]

وحيث ان الرياضة من أهم وسائل تقوية الجسم ، فقد جاءت العبادات الاسلامية كلها – عدا الزكاة – مشتملة على نوع من الرضة . اذ أن شيء ساكن يصبح عرضة للفساد ، ولذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم رمى وشجع على الرمي ، وركب الخيل وحث على ركوبها لأنها عدة الجهاد وسابق على القدمين ، وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل ؛ فهو لهو ، أو سهو ، الا اربع خصال : مشي الرجل بين العرضين ، وتأديب فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة** " [4]

٥- العناية بالنظافة

لا مندوحة عن القول في أن الاسلام سبق جميع الحضارات في العناية بالنظافة فعباداته العملية يشترط لصحتها الطهارة وهي قمة النظافة ، فالصلاة لا تصح الا اذا خلا المرء من الجنابة ، وخلت المرأة من الحيض ، والنفاس ، واستعد لها كلاهما بالوضوء . الذي اشتق اسمه من الوضاءة .. وقد أمر الله عباده المؤمنين بذلك فقال سبحانه : ﴿ **يا ايها**

---

[1] – البقرة ٢٨٦

[2] – البخاري ، كتاب الايمان

[3] – الأنفال – ٦٠

٤- الطبراني في الأوسط .. وجاء في بعض رواياته : " ورميه عن قوسه "

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ، وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا .. ﴾ [1] وقال عز شأنه : **﴿ ان الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ﴾** [2] وقال : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم ، وأرجلكم الى الكعبين ﴾** [3] .

كذلك أمر بالعناية التامة بنظافة اليدين فقال صلى الله عليه وسلم :" **اذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في ماء حتى يغسلها ثلاثا ؛ فانه لا يدري أين باتت يده** " [4]

وكذلك عني الاسلام بنظافة الأسنان ، وليس أدل على ذلك من الأمر بالسواك الذي هو مطهرة للفم مرضاة للرب .. أما نظافة الثياب التي هي عنوان الأناقة ، المساعدة على حسن المظهر فحدث عنها ولا حرج فقد قال تعالى : **﴿ وثيابك فطهر ﴾** [5] وقد أمر الله سبحانه بالتجمل والتزين عند كل صلاة فقال سبحانه : **﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾** [6] وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد المتزينين والمتجملين ، وكان الرجل من السلف الصالح يتزين للصلاة ويقول : " انما أتجمل لربي ".

وهكذا يبدو بعد هذه الجولة مع الانسان في الكتاب والسنة – أن الله سبحانه وتعالى قد أوضح له الطريق ، ونصب له على جانبيه المعالم، وأبان لهماله ، وما عليه وبين له أنه ملك خالقه ، وليس ملك نفسه ، فليس له أن يتصرف بجسمه في مجال البدن ، والعقل والروح الا تصرف تكتنفه الصفات المرسومة ، والعلامات المنصوبة ، والقاعدة

---

[1] – النساء ٤٣

[2] – البقرة ٢٢٢

[3] – المائدة ٦

[4] – مسلم ١/ ١٦٠

[5] – المدثر ٤

[6] – الأعراف ٣١

الشرعية تقول : (التصرف في ملك الغير باطل) وحيث ان الانسان ملك خالقه فكل تصرف يتصرفه ضمن دائرة حدود الانسان غير متفق مع حدود الشرع ، فهو باطل .

فليس له أن يقتل نفسه ، بحديدة ، أو بسم ، أو بالتردي من شاهق ، أو بالحرمان من الأكل والشرب ، أو بحبس نفسه حتى يموت ، وليس للمرأة أن تمتنع عن الانجاب الذي به تكثير الأمة ، وزيادة عدد عباد الله الصالحين ، وليس لها أن تسقط جنينها ، ولا أن تحدد نسلها أو تنظمه ، الا في حدود ضيقة جدا تقرها ضرورة شرعية، وليس لها أن تمنح جسدها لمن تشاء ، وأن تمنح اللذات الجسدية لمن تريد ، وليس للذكر ولا للآنثى على حد سواء أن يفني جسده بكثرة العبادة فيحرمه من النوم، والراحة ، وليس لهما أن يفسدا عقليهما بتعاطي أي نوع من المسكر أو المخدر أو المفتر ، وليس لهما أن يتعريا ، ويكشفا عورتيهما كما يريدان ، أو ينتسبا الى نوادي العراة أو الى أندية الشذوذ الجنسي ، وقصارى القول أن عليهما أن يستجيبا لأمر الله يسعيا الى مراضيه ، ويجتنبا مساخطه كلها ، واضعين نصب أعينهما قوله تعالى :﴿ يا **أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه اليه تحشرون** ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، واحذروا ، فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾ [2] .وقوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [3]

---

١ - الأنفال ٢٤

٢ - المائدة ٩٢

٣ - النور ٦٣

الفصل الثالث
علاقة الانسان مع الآخرين

نظمت الشريعة الاسلامية علاقات الانسان مع غيره من بني البشر في مختلف المجالات وقد اتسم هذا التنظيم بعدد من السمات منها :

- الشمول : فلم تشذ عن التنظيم زاوية من زوايا حياته .
- والتكامل : فلا يؤخذ نظام منه دون آخر ، فهي جميعا كل متماسك .
- والتوازن : فلا افراط في نظام ولا تفريط في آخر .
- والجمع بين الثبات والمرونة ؛ الثبات في الأسس والقواعد ، والمرونة في التطبيق والممارسة.
- والجمع بين الواقعية والمثالية ، فهي تشريعات ممكنة التطبيق تراعي الواقع الانساني والفطرة الانسانية .

وغير ذلك من السمات كثير مما كنا تناولناه تفصيلا في أثناء حديثنا عن خصائص الثقافة الاسلامية ، والشريعة من مكونات الثقافة ومصادرها كما بينا .

هذا وأوجه تنظيم الاسلام لعلاقات الانسان مع غيره من الناس كثيرة ، وسنقصر حديثنا في هذه الأنظمة على ما يلي :

أولا:- نظام الحكم

---

* كتبه د. كايد قرعوش

ثانيا:- النظام الاقتصادي

ثالثا:- النظام الاجتماعي

وسنتناول في كل نظام أبرز قضاياه الكبرى بما يحقق هدفنا الأساس منه ، وهو تكوين فكرة شاملة عن هذا الجانب من جوانب الثقافة الاسلامية أملا في السعي الى تحقيق هذه الأنظمة على أرض الواقع .

أولا - نظام الحكم

يعنى نظام الحكم عادة بالسلطة وأنواعها وكيفية اسنادها والعلاقة بينها وبين الرعية . وفي حديثنا عن نظام الحكم في الاسلام نتناول أسسه والسلطات العامة في الاسلام : التشريعية والتنفيذية والقضائية .

أسس نظام الحكم في الاسلام

يقوم الحكم في الاسلام على جملة من القواعد والمبادئ أهمها :

١- العدل

يأتي العدل لمعان عدة منها الحكم بالحق ، والمساواة . نقول : هذا الشيء يعدل كذا وكذا أي يساوي كذا .

والعدل في الحكم مما تواترت الشرائع على الأمر به . قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ [١] . والطاغوت لفظ مشتق من الطغيان وهو الظلم ، والظلم نقيض العدل.

وجاء الأمر به في شريعة الاسلام في كثير من النصوص منها :

---

١ - سورة النحل ٣٦

- قوله تعالى :﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ [1] وقوله :﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [2] .

- وقوله صلى الله عليه وسلم : " **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ...**" [3] .

وورد في الحديث القدسي :" **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**" [4] .

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا (**في أن الظلم مؤذن بخراب العمران**) ذكر فيه أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بأموالهم في تحصيلها واكتسابها .[5]

وقد قيل : ان الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة [6] .

ومن المواقف الشاهدة على عدل الاسلام انتصار عمر بن الخطاب رضي الله عنه لذاك الفتى القبطي الذي سابق ابن عمرو بن العاص فسبقه ، فلطمه ابن عمرو ، فشكاه الى عمر ، وأخضع عمر رضي الله عنه ابن عمرو للقصاص وقال قولته التاريخية: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

وحدث أن سقط درع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فالتقطها يهودي . فطالبه علي بها فأنكر أن تكون له . فشكاه أمير المؤمنين الى شريح القاضي ، فلما لم

---

[1] - سورة النحل ٩٠

[2] - سورة المائدة ٨

[3] - أخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل اخفاء الصدقة

[4] -أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب تحريم الظلم

[5] - مقدمة ابن خلدون ص ٢٨٦

[6] - ابن تيمية ، الحسبة في الاسلام ص ٨١

يتمكن علي من تقديم البينــة قضـى شـريح بـالدرع لليهـودي . فأكـبر اليهـودي هـذا القضاء وكان ذلك سببا في اسلامه .

وقد كان العدل عاملا مهما من عوامل انتشار الاسلام في بلاد الشـام ومصـر وغيرها من البلاد . يذكر سيرتوماس آرنولد أنه لما بلغ أبو عبيــدة وادي الأردن كتـب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد اليه يقولون :" يا معشر المســلمين ، أنتـم أحـب الينـا من الروم وان كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عــن ظلمنـا وأحسـن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا " [1] .

ومما يميز التشريع الاسلامي في مجال العدل أنه لم يقصره علـى مجـال القضـاء ، بل تعداه الى ميادين الحكم والادارة ، بل ان الاسلام عــدّ العـدل والعدالـة شـرطا مـن شروط الخليفة وواجبا من واجباته وهو ما لم تعهده في الدساتير الوضعيـة ، اذ نجـد أن التشريعات الوضعية لا تكاد تذكر العدالة الا بصدد الحديث عن القضاء [2] .

٢- المساواة

المساواة أصل آخر من أصول الحكم ، والحديث فيها مرتبط بالعدل ومكمل له . والمساواة قد تكون أمام القانون (الشرع) أو أمام القضاء وقد تكون في الحقوق السياسية والتكاليف العامة .

أما المساواة أمام القانون فقد قرر الاسلام أن الناس سواء لا يميزهم حسب أو نسب أو سلطة ، فعلى الجميع أن يذعن للقانون الاسلامي ، رئيسـا ومرؤوسـاً . ففـي حديث عائشة رضي الله عنها أن امرأة مخزومية سرقت فشفع قومها أسـامة بـن زيـد حـب رسـول الله صلـى الله عليــه وســلم للعفــو عنهــا . فقــال صلــى الله عليــه وسلم:"**أتشفع في حد من حدود الله ؟** ثم قـام فخطـب وقـال :" **انما أهلك الذين**

---

١ - سير توماس آرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص٥٣

٢ - عبدالحميد متولي ، مبادئ نظام الحكم في الاسلام ، ص ٢٧١

قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [١] .

وأما المساواة أمام القضاء فتقدمت أمثلتها في حديثنا عن العدل .

بقي الحديث عن المساواة في الحقوق السياسية ، وفي هذه المسألة يقرر الاسلام أن المسلمين يتمتعون بالحقوق السياسية على حد سواء . غير أنه يرد على هذا المبدأ موضوع تولي المرأة لبعض الولايات العامة مثل رئاسة الدولة والوزارة . ويتجه التشريع الاسلامي في هذه المسألة الى تخصيص هذه الولايات للرجال لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : **" لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة "** [٢] . وقد جاءت صيغة الحديث الشريف بصورة تفيد الاستقبال والاستمرار . وهذا الاختلاف بين الرجل والمرأة مرده الاختلاف في الخصائص النفسية والبدنية بصورة تسمح بقدر من الاختلاف في التخصص.

ولا يقدح في هذا المبدأ أيضا أن رعايا الدولة من الذميين لا يتمتعون بحق تولي رئاسة الدولة الاسلامية ، لقوله تعالى :**﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾** [٣] . فلفظ (منكم) خطاب للمسلمين أي من المسلمين فلا يكون أولو الآمر بالنسبة للمسلمين من غيرهم ، ومن غير المعقول أن يكون الرئيس في دولة تقوم على العقيدة الاسلامية من غير من يحملون هذه العقيدة ، فذلك مجاف للمنطق ولا يتم الا في دولة علمانية .

أما تولي الذمي للوزارة فالحديث عنه لاحق ، ونكتفي هنا بالاشارة الى أن من فقهائنا من أجاز تولي الذمي الوزارة دون أن يكون رئيسا للوزراء .

---

١ - رواه البخاري في الحدود باب اقامة الحدود على الشريف والوضيع

٢ - رواه البخاري في الفتن والمغازي

٣ - سورة النساء ٥٩

٣- الشورى

الشورى مبدأ من مبادئ الاسلام ذات الصفة الشمولية التي لا تقتصر على ميادين الحكم كما يدل على ذلك قوله تعالى :﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [١] . وكلمة أمر هنا نكرة وهي من ألفاظ العموم . والشورى من شرعة الأولين ، ووجوبها في الاسلام أشد وأوثق ، ويكفي دليلا على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي يتلقى الوحي عن ربه ، قد أمر بالشورى في قوله تعالى:﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ [٢] فما ظنك بمن وكل الى الرأي والاجتهاد ؟ قال ابن عطية :" **والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، هذا ما لا خلاف فيه** " [٣] .

ومع اتفاق علمائنا على وجوب الشورى ابتداء ، الا أنهم اختلفوا في وجوب الأخذ برأي أهل الشورى انتهاء . والأكثرون على الوجوب ، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى العزم الوارد في قوله تعالى :﴿ **وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ فقال :" **مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم** " [٤] ولأن القول بعدم الوجوب يصير الشورى مسألة شكلية وقد تغدو مدخلا للاستبداد والتسلط .

٤- السيادة لله والسلطة للأمة :

السيادة مصطلح قانوني يعبر عنه كثير من الباحثين بالحاكمية ، والحاكمية مفهوم يتعلق بمن له حق التشريع واصدار الأمر والنهي ، وصاحب الحق في التشريع هو الله سبحانه وتعالى . قال تعالى :﴿ **ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه** ﴾ [٥] . وقد اهتم

---

١ - سورة الشورى ٣٨

٢ - سورة آل عمران ١٥٩

٣ - تفسير القرطبي ١٤٩١/٣

٤ - تفسير القرطبي ٣/ ١٤٩٤ وابن كثير ٤٢٠/١

٥ - سورة يوسف ٤٠

القرآن الكريم بتقرير هذه المسألة والعناية بها في أكثر من مائتي آية في أكثر من خمسين سورة من سوره .

ويخطئ بعضهم حين يزعم أن السيادة في الاسلام للأمة ، مشايعين في ذلك الفكر الغربي الديمقراطي الذي يرى أن السيادة للأمة . يقول الدكتور محمد يوسف موسى **" الخليفة هو صاحب السيادة في الدولة بصفته خليفة لا بصفته الشخصية ، وأن مصدر السيادة هو الأمة وحدها لا الخليفة "** [1] .

ان الأمة في الاسلام ليست صاحبة سيادة ، وانما هي ذات سلطة تخولها حق اختيار حكامها وعزلهم ، وقد بوأها الله سبحانه وتعالى هذه السلطة .

٥- وحدة الأمة والامامة

الأمة الاسلامية أمة واحدة مهما تناءت أقطارها وتعددت شعوبها . قال تعالى :﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [2] .والمراد بالأمة هنا هو الملة ، والجماعة التي تدين بهذه الملة. ونحن نلحظ هنا الاقتران بين وحدة الأمة ووحدانية الباري سبحانه وتعالى ، حتى ان التنكر للأولى مدعاة للتنكر للأخرى . وكم يبدو ثقيلا على النفس أن نسمع بين فترة وأخرى عبارات ترددها أجهزة الاعلام تفصل فيها الأمة الواحدة الى أمتين كقولهم : الأمتان العربية والاسلامية .

أما وحدة الامامة فتعني أن يكون للأمة امام أو خليفة واحد . وقد عرف الامام الرازي الخلافة بأنها **" رياسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الأشخاص "** [3] .

والقول بوحدة الامامة هو ما اتجه اليه جمهور العلماء ، و لم لا ونحن نرى أن مجموع الولايات التي تألفت منها الولايات المتحدة الأمريكية لا يفترق في كثير عن

---

١ - د. محمد يوسف موسى ، نظام الحكم في الاسلام ، ص ٧٧

٢ - سورة الأنبياء ٩٢

٣ - التفتازاني ، شرح المقاصد ٢/٢٧٢

مجموع الدول الاسلامية في مختلف القارات . فكيف أمكن توحيد أمريكا وولاياتها وتعذر الأمر في حق دولنا الاسلامية مع ما في التنازع والتشرذم من مخالفة شرعية صارخة ؟

٦- مسؤولية الحاكم

يقرر الاسلام مسؤولية كل راع في موقعه على مدارج السلطة صعودا وهبوطا، قال صلى الله عليه وسلم : " **كلكم راع . ومسؤول عن رعيته ، فالامام راع ومسؤول عن رعيته** " [١] .وهذه المسؤولية قسمان : جنائية وسياسية.

أما الجنائية فان الامام مسؤول عن كل جناية يرتكبها . فقد تحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسؤولية القاء المرأة جنينها في قضية كان طرفا فيها اذ فزعت منه .

وأما المسؤولية السياسية فتعني خضوع أعمال الخليفة وتصرفاته للنقد من الأمة، وخضوعه لمبدأ العزل وعدم طاعة المسلمين لأوامره وتشريعاته المخالفة للشرع[٢] . يقول الغزالي :" **ان السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته ، وهو اما معزول أو واجب العزل ... وهو على التحقيق ليس بسلطان** " [٣] .

السلطات العامة في الدولة الاسلامية

يمكن تقسيم السلطات العامة في الدولة الاسلامية ، كما الحال في الفقه السياسي والدستوري المعاصر ، الى ثلاث سلطات : تنفيذية وتشريعية وقضائية . وسنقدم فيما يلي فكرة موجزة عن كل سلطة من هذه السلطات الثلاث .

---

١ - رواه البخاري في الأحكام في فاتحته

٢ - صلاح الدين دبوس ، الخليفة - توليته وعزله - ص ٤٣-٤٦

٣ - محمد ضياء الدين الريس . النظريات السياسية الاسلامية ، ص٢٩٦

١- السلطة التنفيذية

يتفرع حديثنا عن السلطة التنفيذية الى فرعين هما : رئيس الدولة والوزارة .أما رئيس الدولة فيدور الحديث في موضوعه حول شروطه وطرق اسناد السلطة اليه. وأما الوزارة فنبحث في معناها ونشأتها وأنواعها .

رئيس الدولة

يسمى رئيس الدولة الاسلامية خليفة كما هو الشائع عند أهل السنة ، ويسمى اماما كما هو الحال عند الشيعة . ولا يمنع ذلك من اطلاق اسم أمير المؤمنين عليه عندنا . والعبرة ليست بالتسمية انما العبرة بالتزامه بهذا الدين وتطبيقه اياه .

شروط رئيس الدولة

اشترط فقهاؤنا في رئيس الدولة الاسلامية شروطا أهمها :

١- الاسلام : ويدل عليه قوله تعالى :﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**﴾ [1] وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ [2] . فلفظ (منكم) يدل على أن ولي أمر المسلمين يجب أن يكون مسلما .

٢- التكليف من عقل وبلوغ : فالمجنون والصغير أعجز من أن يقوما بشؤونهما فكيف يتصور منهما ولاية على غيرهما ؟

٣- الذكورة : فلا تقبل امامة النساء لقوله تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء**﴾[3] . وقد يقول بعضهم ان الآية وردت في مقام الحديث عن قوامة الرجل على

---

١ - سورة النساء ١٤١

٢ - سورة النساء ٥٩

٣ - سورة النساء ٣٤

المرأة في نطاق الأسرة ، وليس كذلك الأمر في الولايات العامة . ونقول اذا كان الشرع قد خص الرجل بالقوامة في الأسرة و لم يعطها للمرأة ، أفتراه يعطي هذه القوامة للمرأة في حق الأمة ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :" **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** " كما سبق ذكره .

٤- **العلم** : والمراد به العلم المفضي الى درجة الاجتهاد وفقا لمذهب جمهور الفقهاء . غير أن هذا الشرط محل نظر في أيامنا هذه ، ويمكن لرئيس الدولة أن يحيط نفسه بعدد من المستشارين والمختصين الذي يبصرونه بالمطلوب عوضا عن هذا الشرط .

٥- **العدالة** :وهي وصف مناف للفسق ، ومقتضاها القيام بالفرائض واجتناب الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر . وهي في أيامنا هذه ذات مفهوم نسبي . وقد ذهب بعض علماء الحنفية الى اعتبار العدالة من شروط الكمال لا من شروط الصحة .

٦- **النسب** :ومفهومه عند جمهور أهل السنة أن يكون الخليفة قرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم :" **الأئمة من قريش** " [١] .ويعلل ابن خلدون كون الأئمة من قريش بأنه كانت لهم العصبية التي تكون بها الحماية ووحدة الصف ، فما كان للقبائل العربية أن تسلم قيادها الا لقريش . والحكم يدور مع علته ، فحيثما كانت العصبية كانت الخلافة [٢] . ومن العلماء من رأى أن الحديث ورد في صورة خبرية لا تحمل معنى الالزام، اذ واقع الحال أن قريشا كانت زعيمة القبائل العربية حينذاك .

٧- **الكفاية** :وتعني القدرة على تصريف الأمور ، بما يستلزمه ذلك من قوة في الرأي وشجاعة في مواجهة المواقف والخطوب في الحرب والسلم ، وعزيمة على تطبيق شرع الله والتزام حدوده ، واحقاق الحق وابطال الباطل .

---

١ رواه الحاكم في المستدرك

٢ - ابن خلدون . المقدمة . ص١٩٥، ١٩٦

٨- أن يكون واحدا ، فتعدد الأئمة ليس مستساغا في شرعتنا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :" **اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما** " [١] .وقد سبق أن علقنا على هذا المعنى فيما تقدم .

طرق اسناد السلطة الى رئيس الدولة

هنالك طرق عدة لتولية رئيس الدولة في الاسلام أبرزها :

١- اختيار أهل الحل والعقد ومبايعتهم له

وهذه الصورة هي المعروفة والسائدة في الفقه السياسي لدى أهل السنة . وأنموذجها الرائد في تاريخنا الاسلامي بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة ، اذ كانت بيعة خاصة حضرها أعيان الصحابة ووجهاؤهم وعلماؤهم من أهل الحل والعقد ، فلما كان اليوم التالي اجتمع الناس في المسجد فبايعوه بيعة عامة .

ولا بد في البيعة من توافر عنصر الرضا وانتفاء الاكراه [٢] ، والا دخلها الفساد ابتداء .

والعقد الذي يتم على أساسه تولية الخليفة عقد حقيقي وليس افتراضيا وهذا ما يميز الفقه الاسلامي عن الفلسفات الأخرى من مثل نظرية العقد الاجتماعي التي نادى بها هوبز ولوك وروسو .

٢- الاستخلاف

ومعناه أن يقوم الخليفة قبل موته بترشيح فرد أو أكثر للأمة لاختيار من تراه منهم خليفة بعده .

---

١ - رواه مسلم

٢ - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٨

وأنموذجها التاريخي استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما . فقال عمر: لا حاجة لي بها . فقال أبو بكر : لكن بها اليك حاجة ، والله ما حبوتك بها ، ولكن حبوتها بك [1] .

والأنموذج الآخر استخلاف عمر رضي الله عنه لستة من بعده يختارون أحدهم ، وهم علي وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله . ووقع الاختيار منهم على عثمان رضي الله عنهم جميعا .

والاستخلاف يقوم أساسا على مبدأ البيعة والاختيار الشعبي . ولذلك قال ابن تيمية :" **ولو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه وامتنع سائر الصحابة عن البيعة لم يصر اماما بذلك ، وانما صار اماما بمبايعة جمهور الصحابة الذين هم أهل القدرة والشوكة** " [2] .

٣- ولاية العهد :

وهي صورة مطورة لنظام الاستخلاف ، أصبح يعهد فيه الخليفة القائم بالخلافة لأحد أقاربه . وأنموذجه التاريخي ما كان من شأن معاوية رضي الله عنه في اسناد الخلافة الى ابنه يزيد من بعده . والذي يميز هذه الصورة عن الاستخلاف أن الاستخلاف يقوم على التجرد أما ولاية العهد فتقوم على المحاباة ، والاستخلاف يتم وفقا لمبدأ الشورى فهو لا يعدو أن يكون ترشيحا أما ولاية العهد فترمي الى اقامة الملك العضوض [3] .

---

١ - ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ١/ ١٩، ٢٠

٢ - ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ١/١٩٠

٣- رواه احمد والترمذي والنسائي

٤- النص والوحيدية

والقائلون بالنص على الامام هـم الشيعة الامامية ، اذ يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعـده ، وهكـذا تنتقل الولاية الى من بعـده الى بنيه . وهـم يستندون في دعواهـم هـذه الى جملة من النصوص الشرعية من مثل قوله صلى الله عليه وسلم :" **من كنت مولاه فعلي مولاه**" . ويصادرون حق الأمة في اختيار امامها مستدلين بقوله تعالى :﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون** ﴾ [١] .وبقولهم ان أهل البيعة لا يملكون التصرف بأنفسهم في أمور المسلمين ، فكيف يملكون التصرف في مصالح الأمة ؟ [٢]

وقد أوسع ابن تيمية الرد عليهم في كتابه (منهاج السنة النبوية) فيرجع اليه .

٥- القهر والاستيلاء

وهذه الصورة قد تبدو مخالفة لمبدأ البيعة القائم على الرضا الشعبي بالخليفة . غير أنه ، وفي أحوال استثنائية ، نجد أن الأمر الواقع يفرض نفسه حتى لا قبل للناس بدفعه ، فيصار الى الحكم بقبول السلطان الذي يأتي عن طريق كهذه تجنبا لفتنة أعظم. يقول ابن جماعة : " فاذا خلا الوقت عن امام فتصدى لها من هو من أهلها وقهر الناس بشوكته وجنوده بغير بيعة أو استخلاف ، انعقدت بيعته ولزمت طاعته لينتظم شمل المسلمين وتجتمع كلمتهم . ولا يقدح في ذلك كونه جاهلا أو فاسقا في الأصح واذا انعقدت الامامة بالشوكة والغلبة لواحد ثم قام آخر فقهر الأول بشوكته وجنوده انعزل الأول وصار الثاني اماما لما قدمناه " [٣] .

---

١ - سورة القصص ٦٨

٢ - د. كايد قرعوش ، طرق انتهاء ولاية الحكام ،ص٢٠٠

٣ - ابن جماعة ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام ، ص٥٥

الوزارة

ورد لفظ (وزير) في القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى :﴿ **واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري**﴾.[1] ونتناول هنا بالبيان معنى الوزارة ونشأتها وأنواعها في التاريخ الاسلامي.

معنى الوزارة

اختلف العلماء في اشتقاق لفظ الوزارة على مذاهب :

- فمنهم من يقول انها مشتقة من (الوِزْر) : وهو الثقل لأن الوزير يحمل أعباء الخليفة .

- وقيل انها مأخوذة من (الوَزَر) وهو الملجأ . ومنه قوله تعالى : ﴿ **كلا لا وزر**﴾.

- وقيل بل هي مشتقة من (الأزْر) وهو الظهر . ومنه قوله تعالى :﴿ **اشدد به أزري**﴾.

وأياً كان الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة فإن الوزير هو الذي يحمل أعباء رئيس الدولة ويسنده في سياساته اذا التجأ اليه .

نشأة الوزارة في الاسلام

عرف المسلمون منذ فجر الاسلام لفظ الوزارة ومفهومها . فقد كان يطلق على أبي بكر لقب (وزير النبي) [2] . وفي يوم السقيفة عندما اجتمع المسلمون لاختيار خليفة منهم قال سعد بن عبادة لأبي بكر رضي الله عنه " **صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء** " [3] .غير أن هذا الاطلاق لم يكن يتجاوز المعنى اللغوي للفظ (الوزير) ،

---

[1] - سورة طه ٢٨-٣١

[2] - صبحي الصالح . النظم الاسلامية . ص٢٩٥

[3] - ابن كثير . البداية والنهاية ٥:٢٤٧

بمعنى أنه لم يكن هناك وظيفة مستقلة تحمل هذا الاسم ، وانما كانت الوزارة تعني المعاونة المطلقة في هذا العهد .

وقد نما مفهوم الوزارة في العهد الأموي ، وقد أطلق على الوزير حينذاك لقب (الكاتب) مثل عبدالحميد الكاتب الذي كان وزيرا لمروان بن محمد [1] .

فلما جاء العباسيون استقر مفهوم الوزارة ، وصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم ، أي شؤون الجهاد والكتابة وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد ، اشارة الى تمرسه وقيامه بشؤون الدولة[2] . وتحددت مهمات الوزراء وأنواعهم كما سنرى في الفقرة اللاحقة .

أنواع الوزارة

تنوعت الوزارة أيام العباسيين الى النوعين الآتيين :

١- وزارة تفويض : وهي الوزراة التي يفوض الخليفة فيها أحد معاونيه لتدبير الأمور برأيه واجتهاده ، بل قد يفوض اليه صلاحياته من مباشرة للحكم وتقليد الأمراء واعلان الجهاد وغير ذلك .

ويشترط في هذا الوزير ما يشترط في الخليفة من شروط عدا شرط النسب .

وهذا المنصب أشبه بمنصب (رئيس الوزراء) في أيامنا ، واذا علمنا أن هذا المنصب لم تعرفه أوروبا الا في القرن السابع عشر أدركنا مدى سبق التنظيم الاداري لدى المسلمين في تلك العصور المتقدمة [3] .

---

١ - الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، ص٢٢٠

٢ - ابن خلدون ، المقدمة

٣ - الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، ص٢٢٩

٢- وزارة التنفيذ : وهي أشبه بمهمة الوزير العادي والسفير والمعاون . يقول الماوردي في ذلك : " وهذا الوزير وسط بينه [أي الامام] وبين الرعايا والولاة ؛ يؤدي عنه ما أمر وينفذ عنه ما ذكر ويمضي ما حكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهم وتجدد من حدث ملم ليعمل فيه ما يؤمر به ، فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها ، فان شورك في الرأي كان باسم الوزارة أخص ، وان لم يشارك فيه كان باسم الواسطة والسفارة أشبه"[١].

والفرق بين وزيري التفويض والتنفيذ من حيث المهام المنوطة بهما أن لوزير التفويض أن ينفرد بتقليد الولاة وأن يباشر الحكم وينظر في المظالم وينفرد بتسيير الجيوش ويتصرف في أموال بيت المال دون وزير التنفيذ .

أما من حيث الشروط فيشترط في وزير التفويض أن يكون مسلما دون وزير التنفيذ كما يرى الماوردي ، وهذا يعني أن من الممكن أن يفسح المجال للذميين للوصول الى وزارة التنفيذ . وكذلك يشترط في وزير التفويض المعرفة بأمور الحرب والخراج وليس ذلك شرطا في وزير التنفيذ ، وكذلك العلم بالأحكام الشرعية شرط في الأول دون الثاني [٢] .

السلطة التشريعية

للتشريع في المفهوم الاسلامي جانبان :

تشريع مبتدأ ، وهذا لا يكون الا لله . وقد بينا هذا المعنى من خلال حديثنا عن مفهوم السيادة في أثناء حديثنا عن أسس الحكم الاسلامي . وقد تجسد هذا التشريع في القرآن الكريم والسنة النبوية .

---

١ - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٥، ٢٦

٢ - الماوردي ، المرجع السابق

وتشريع أحكام تبنى على أساس شريعة قائمة عن طريق الاجتهاد . والاجتهاد والمجتهدون هم محور حديثنا عن السلطة التشريعية في الاسلام .

ولا بد لنا من بيان أنه لا يعد من السلطة التشريعية كل مجتهد أنى كان موقعه ووجوده . بل لا بد أن يكون هؤلاء المجتهدون من المعدودين في مجلس الشورى ومن أهل الحل والعقد ، وهذا لا يمنع من أن يؤدي كل مجتهد دوره التشريعي في أي موقع خاص أو رسمي .

ويظهر من هذه المقدمة السريعة الفرق بين تشكيل السلطة التشريعية في النظم البرلمانية وبين تشكيلها في الاسلام . فالسلطة التشريعية في النظم البرلمانية تأتي عن طريق الانتخاب الشعبي والاقتراع العام ، أما في الاسلام فان التشريع مقصور على المجتهدين المستوفين لشروط الاجتهاد التي تقدم بيانها . وهي – كما وصفها الدكتور الطماوي – شروط قاسية يكتسبها المجتهد اذا توافر فيه أمران : الاستعداد الشخصي الموروث ، ثم الدراسة التي تكفل له الاحاطة بأسباب الاجتهاد ووسائله[1] .

واذا تعدد المجتهدون في فترة زمنية معينة ، وقلّ أن نجد منهم في أيامنا مجتهدا مطلقا ، بل جل ما نرى مجتهدون جزئيون ، فلا ضير في أن يتم الانتخاب بين هؤلاء المجتهدين من أصحاب التخصصات الشرعية الفرعية ومن شاكلهم من الخبراء والمتخصصين الآخرين ممن لهم اطلاع على العلوم الدينية دون أن يكونوا متخصصين فيها مثل رجال القانون والاقتصاد والسياسة وهلم جرا .

وفرق آخر بين السلطة التشريعية في الاسلام وأضرابها في النظم الحديثة أن السلطة التشريعية في الاسلام ليست مطلقة التصرف في الاجتهاد ، بل هي مقيدة بالقرآن الكريم والسنة النبوية .

---

[1] - د. سليمان الطماوي ، نظام الحكم والادارة في الاسلام – دراسة مقارنة – ص٣٩٣

ومن المعلوم أن نصوص القرآن الكريم جميعها قطعية الثبوت ، وليست كل الأحاديث قطعية الثبوت . فمنها قطعي الثبوت ومنها ظني الثبوت .

أما من حيث دلالة هذه النصوص على الأحكام ، فمنها ما هو قطعي الدلالة ومنها ما هو ظني الدلالة .

وليس للمجتهدين أن يخضعوا النصوص قطعية الثبوت والدلالة للاجتهاد وابداء الرأي بخصوصها مثل الحدود الشرعية والمحرمات من النساء والفروض الارثية ، فهذه تحكمها القاعدة الشرعية : " لا اجتهاد في مورد النص ".

وانما عمل المجتهدين فيما لم يرد فيه نص ، أو ورد فيه نص ظني الثبوت لهم أن يرجحوا أحد احتمالاته ووجوه معانيه .

وهذا الذي نذكره هنا هو ما يميز التشريع الاسلامي عن التشريع الوضعي في النظم المعاصرة ، اذ تملك السلطة التشريعية في هذه النظم أن تشرع ما تشاء تعبيرا عن ارادة الأمة لا عن ارادة الله ، حتى لقد قيل على سبيل الفكاهة : ان البرلمان الانجليزي يملك أن يقرر أي شيء الا أن يحول الرجل الى امرأة أو العكس [1] .

ولا تقتصر مهمات مجلس الشورى من أهل الحل والعقد على سن التشريعات المناسبة في ضوء القرآن والسنة ، بل تشمل ترشيح رئيس الدولة واختياره ومبايعته ، كما تشمل محاسبته وعزله . فقد ذكر القلقشندي أنه " ان كان قد حدث في حاله خلل فلهم عزله " [2] .

ولقد كنا بينا أن رجوع رئيس الدولة الى مجلس الشورى أمر واجب نزولا عند قوله تعالى :﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ . وعليه كذلك أن يأخذ برأي الأكثرية ، والا أصبح وجود المجلس صوريا يمكن القفز عن قراراته وتجاوزه في استشاراته .

---

١ - سليمان الطماوي ، المرجع السابق ، حاشية ص ٣٥٨

٢ - القلقشندي ، مآثر الانافة ٦٦/١

السلطة القضائية

يعد منصب القضاء في الاسلام من أجلّ المناصب وأكثرها خطرا . قال صلى الله عليه وسلم " **القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار . فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق وقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار** "[١] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع في عهده بين التشريع والتنفيذ والقضاء ، فكان يقضي فيما يعرض عليه من مسائل ، وكان يعهد بالقضاء في الأماكن النائية لمن يثق في كفايتهم وبصيرتهم من الصحابة مثل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما . وقد استقل القضاء في عهد عمر رضي الله عنه ، حيث عين عددا من القضاة في الأقاليم وحدد أساس القضاء في رسالته الشهيرة الى أبي موسى الأشعري مستهديا في رسالته هذه بالموجهات العامة الواردة في القرآن والسنة .

وكان القاضي يزاول القضاء في منزله أو في المسجد في عهد الخلافة الراشدة ولم تكن تدون الأقضية في هذه المرحلة ، حتى اذا جاء العهد الأموي أخذوا يدونون الأقضية من قبل كتاب متخصصين في مجلس القضاء.

وقد عرف القضاء في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية منصب قاضي القضاة ، وأول من أطلق عليه هذه المنصب أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم .

استقلال القضاء

كان الخليفة هو الذي يعين القضاة فيما مضى ، ومع مرور الزمن أخذ الولاة يعينون القضاة في ولاياتهم . ولكن قيام السلطة التنفيذية بتعيين القضاة لا يعني أنه كان

---

[١] - رواه ابو داود في الأقضية ، باب في القاضي يخطئ رقم ٣٥٧٣

يحق لها التدخل في مجريات القضاء ، بل كان القضاة المسلمون يتمتعون باستقلال تام في عملهم حتى انهم ليقاضون الخليفة نفسه . ولا يملك الخليفة أن يعزله دون سبب شرعي . فالقاضي ، على هذا الأساس ، ليس نائبا عن الخليفة ينعزل بعزله بل هو نائب عن الأمة أو عن الشارع في تنفيذ الأحكام [1] .

أنواع القضاء

عرف التاريخ الاسلامي ثلاثة أنواع من القضاء هي : القضاء العادي ، وقضاء الحسبة ، والنظر في المظالم .

القضاء العادي

وهو القضاء المختص بالفصل في الخصومات وقطع النزاعات . ويشترط في متوليه شروط منها :

١- الأهلية من عقل وبلوغ .

٢- الذكورة كما رأى ذلك جمهور الفقهاء . وأجاز أبو حنيفة قضاء المرأة فيما تجوز شهادتها فيه كالمعاملات . وجوز ابن جرير الطبري قضاءها مطلقا .

٣- الاسلام ، وذلك في القضاء بين المسلمين . أما في حق غير المسلمين فقد جوز أبو حنيفة تقليد الكتابي القضاء بين أهل دينه .

٤- العدالة بأن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفا عن المحارم ، متوقيا المآثم ، بعيدا عن مواطن الريبة .

٥- العلم بالأحكام الشرعية ، ولا يشترط الاجتهاد هنا ، فيجوز قضاء المقلد [2] .

أما عن صلاحيات القاضي ومهماته فمنها ما ذكره الماوردي :

---

[1] - د. منير البياتي ، النظام السياسي الاسلامي مقارنا بالدولة القانونية ص٢٩٠-٢٩٤

[2] - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٦٥، ٦٦

١- الفصل في المنازعات والخصومات .

٢- استيفاء الحقوق ممن مطل بها وايصالها الى مستحقيها .

٣- الولاية على من كان ممنوع التصرف لجنون أو صغر أو سفه .

٤- النظر في الأوقاف والاشراف عليها .

٥- تنفيذ الوصايا على شروط الموصي فيما أباحه الشرع .

٦- تزويج الأيامى بالأكفاء اذا عدمن الأولياء .

٧- اقامة الحدود على مستحقيها .

٨- التسوية في الحكم بين القوي والضعيف ، والعدل بين المشروف والشريف .

قضاء الحسبة

يعرف هذا النوع من القضاء بأنه ولاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١] . والأساس في ذلك قوله تعالى :﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [٢] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصا بفرد من الأفراد يتولاه نيابة عن غيره . انما هو واجب في حق كل من يقدر عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم: **"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان "**[٣] . الا أن هنالك أعمالا وأمورا ليس بمقدور الفرد العادي أن يتقحمها آمرا أو ناهيا ، ولذا كان لا بد لولي الأمر من أن يعهد بهذه المهمة الى

---

١ - ابن جماعة ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام ، ص٩١

٢ - سورة آل عمران ١٠٤

٣ - رواه مسلم في الايمان باب كون النهي عن المنكر من الايمان

أشخاص موصوفين بالعلم والعدالة والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصرامة في احقاق الحق وابطال الباطل .

وقضاء الحسبة نوع من القضاء العاجل ، وهو يختلف عن القضاء العادي في أمور منها :

١ - ان قضاء الحسبة خاص بالمسائل المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء تعلقت بحقوق الله كالتهاون في صلاة الجمعة وكشف العورات ، أو بحقوق العباد كالغش والتلاعب بالمكاييل والموازين والتعدي على الطرقات . أو بالحقوق المشتركة كالجهاد . أما القضاء العادي فينظر في عموم القضايا .

٢ - ان قضاء الحسبة يقتصر على الحقوق المعترف بها ، فلا ينظر في القضايا التي يدخلها التجاحد والتناكر بين أطراف الدعوى ، خلافا للقضاء العادي .

٣ - لوالي الحسبة أن يتصدى للمسائل التي تدخل في اختصاصه دون حاجة الى متظلم أما القاضي العادي فلا ينظر في القضايا الا بناء على دعوى تقدم اليه .

٤ - عمل المحتسب يتسم بالخشونة والغلظة ، وعمل القاضي يتسم بالحلم والأناة [١] .

ونحن ، وان كنا لا نرى في أيامنا هذه موظفا يحمل اسم المحتسب ، الا أن عمل الحسبة يتوزع بين عدد كبير من الوظائف والموظفين منها شرطة الآداب ومراقبي السير ومراقبي الصحة والاشراف التربوي ومراقبي التموين ، وأجهزة التنظيم في البلديات الخ ...

النظر في المظالم

عرف الماوردي النظر في المظالم بأنه " قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة " [٢]

---

١ - الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٢٤٢ . وابن جماعة المرجع السابق ، ص ٩١

٢ - الماوردي . الاحكام السلطانية ، ص٧٧

وقد وصف ابن خلدون هذه الوظيفة بأنها " وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء " [1] .

والنظر في المظالم ضرب من القضاء العالي المتخصص بمحاكمة كبار رجال الدولة من وزراء وولاة وأمراء ممن يتجاوزون صلاحياتهم فيقومون بالتعدي على المواطنين وممتلكاتهم ، ولا يقوى القضاء العادي على تحصيل حقوق المظلومين ، مما دعا الى تأسيس هذا النوع من القضاء . وهذا يشبه بعض اختصاصات مجلس الدولة في بعض الأقطار . أو المحاكم العالية التي تنشأ في ظروف خاصة [2] .

وكان الخلفاء الأولون يباشرون هذه المهمة بأنفسهم ، وقد يجعلون ذلك لقضاتهم أو لوزير التفويض كما ذكرنا ، حتى أيام الخليفة المهتدي من خلفاء العباسيين . وكان بجلس المظالم يضم القضاة والحكام والفقهاء والكتاب والشهود والحرس والأعوان .

ومما يميز ناظر المظالم عن القاضي العادي أن له من قوة اليد والهيبة ما ليس للقاضي ، وله أن يستعمل الارهاب للوصول الى الحق ، وله أن يحلف الشهود عند ارتيابه فيهم ، وأن يبتدئ باستدعاء الشهود قبل الخصوم ويسألهم عما عندهم من تنازع الخصوم [3] .

ثانيا – النظام الاقتصادي

عني الاسلام بتنظيم الشؤون الاقتصادية عنايته بغيرها من الشؤون سياسية كانت أو اجتماعية أو تربوية أخلاقية وغيرها . وفي القرآن الكريم والسنة النبوية فيض كبير من النصوص الشرعية التي تتناول قضايا الانتاج والاستثمار والتوزيع ، وما الى

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٢٢

[2] - الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، ص٢٦٧

[3] - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٨٣

ذلك من جوانب اقتصادية ، بصورة يبرز معها ذاتية هذا النظام وتميزه عن غيره من الأنظمة الوضعية المعروفة من رأسمالية واشتراكية .

وتعكس مؤلفات فقهائنا الأقدمين مبلغ اهتمام التشريع الاسلامي بتنظيم الشؤون الاقتصادية فقد وضع القاضي أبو يوسف (المتوفى عام ١٨٢هـ) كتابه المسمى (الخراج) لتنظيم الاقتصاد في الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد وبناء على طلب الخليفة . ووضع يحيى بن آدم القرشي (المتوفى ٢٠٣ هـ) كتابا آخر باسم (الخراج) كذلك . وهنالك كتاب (الأموال) لأبي عبيدالقاسم بن سلام (المتوفى ٢٢٤ هـ). وما زالت دور النشر تدفع الينا في كل يوم بجديد .

وفي حديثنا عن النظام الاقتصادي في الاسلام سنتناول مفهومه وأسسه ونظرة الاسلام الى الملكية ، والمشكلة الاقتصادية وطرق حلها ، مع عقد مقارنات بين النظام الاقتصادي الاسلامي وغيره من الأنظمة الأخرى .

مفهوم النظام الاقتصادي الاسلامي

يقصد بالنظام الاقتصادي مجموعة الأحكام والمبادئ التشريعية التي تتعلق بعمليات الانتاج والاستثمار والتوزيع والتبادل والاستهلاك ، وما تتضمنه من علاقات انتاجية بين الانسان والأشياء (من موارد طبيعية أو آلات انتاج أو نقد أو سلع) وعلاقات انسانية (بين الانسان والانسان).[١]

وعليه فان النظام الاقتصادي لا يقتصر في مداه على تنظيم الشؤون المادية كسبا وانفاقا وتوزيعا ، بل ان للعلاقات الانسانية بما تحتمه من حقوق عمل وعمال موقعها في هذا النظام .

---

[١] – محمد المبارك وآخرون ، الثقافة الاسلامية ، المستوى الثالث – ص١٣٦

والنظام الاقتصادي الاسلامي - على هذا الأساس - هو مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستنبطها من القرآن والسنة ، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على هذه الأصول بحسب كل بيئة وعصر.

ومن الأصول الاقتصادية العامة في الاسلام حل البيع وحرمة الربا ومشروعية الملكية الفردية ، وهي مبادئ ثابتة ومستقرة .

أما البناء الاقتصادي فيراد به مجموع التطبيقات والحلول الاقتصادية التي يتوصل اليها المجتهدون لتطبيق المبادئ السابقة مثل تحديد حد الكفاية للفرد ، وسبل تحقيق التوازن في المجتمع مما يمكن أن يختلف بين عصر وآخر ومجتمع وآخر .[1]

أسس النظام الاقتصادي الاسلامي

يقوم النظام الاقتصادي في الاسلام على جملة من الأسس أهمها:

١- الجمع بين المصالح المادية والروحية

فالاسلام لا يعرف الفصل بين المادة والروح ، فالعمل والانتاج عبادة . والله تعالى يقول:﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض** ﴾[2]

وهذا الأساس يميز النظام الاسلامي عن غيره من الأنظمة الاقتصادية الوضعية من رأسمالية واشتراكية ، فهي أنظمة مغرقة في الأمور المادية كما تدل عليها أسماؤها.

وفي حين تتغيا المذاهب الاقتصادية المادية تحقيق الربح والرخاء المادي هدفا أعلى ، فان الاسلام يجعل المال وسيلة الحياة وليس غايتها . قال تعالى :﴿ **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى** ﴾[3]

---

١ د.احمد محمد العسال وآخر ، النظام الاقتصادي في الاسلام - مبادئه وأهدافه ، ص ١٤-١٦

٢ - سورة القصص ٧٧

٣ - سورة النازعات ٣٧- ٣٩

٢- ازدواجية الملكية

فالاسلام مع اقراره للملكية الخاصة فانه يقـر الى جانبهـا الملكيـة العامـة كمـا سنبينه في فقرة لاحقة .

٣- التوازن في رعاية مصلحة كل من الفرد والمجتمع

التوازن سمة من سمات التشريع الاسلامي بعامة ، وهو هنا معلم بارز من معالم النظام الاقتصادي في الاسلام ، خلافا للرأسمالية الـتي تراعـي مصلحـة الفـرد وتقدمهـا على مصلحة الجماعة ، وخلافا للنظم الاشـتراكية الـتي تقـدم مصلحـة الجماعـة علـى مصلحة الفرد . ويظهر هذا الأمر واضحا في مجال الحرية الاقتصادية وتدخـل الدولـة ؛ كما يظهر في مجال توزيع الثروة .

ففي مجال الحريـة الاقتصاديـة نـرى أن الرأسماليـة تقـوم علـى سياسـة " البـاب المفتوح " أي أن الفرد حر في عمل ما يريد دون قيـود أو تدخـل مـن الدولـة ، الا مـا اقتضته السياسات الاصلاحية المتأخرة آخر الأمر من تدخل الدولة في بعض المجالات.

أما في النظم الاشتراكية فالأصل هـو تدخـل الدولـة والاسـتثناء هـو السـماح بحرية الأفراد .

أما في الاسلام فان حرية الأفراد في مزاولة نشاطهم الاقتصادي موفورة ، ومع ذلك فان للدولة أن تتدخـل حـين تشـتد الفـوارق بـين الطبقـات ، ومـن أجـل تحقيـق الضمـان الاجتمـاعي ، أو حـين يعجـز الأفـراد أو ينحرفـون في تسـيير العمليـات الاقتصادية.

أما في مجال توزيع الثروة فان الرأسمالية تقوم على مبدأ " لكل بقدر ما يملك". ومن هنا يكون التفاوت بين الأفراد شديدا .

وفي الاشتراكية " لكل بقدر عملـه "، وهـذا في الاشـتراكية المعتدلـة . أمـا في الاشتراكية المتطرفة ، أي الشيوعية ، فيطبق شعار " لكل تبعا لحاجته ".

أما في الاسلام فان لكل بقدر حاجته أولا ثم لكل بقدر ما يعمل ويملك من بعد.[1]

٤- العدالة الاجتماعية

يقتضي مبدأ العدالة الاجتماعية توافر أمرين : أحدهما تحقيق التكافل الاجتماعي بالصورة التي سبق لنا بيانها في موضوع " الشخصية الاسلامية " والثاني تحقيق التوازن الاجتماعي .[2]

وان من الصور الضافية لتحقيق هذا المبدأ تلك الصورة التاريخية التي تحققت بين المهاجرين والأنصار من مؤاخاة بقيت مضرب الأمثال على مدى التاريخ . والمؤاخاة مفهوم ذو دلالة حركية فاعلة ، انه يتجاوز حدود الأخوة الدينية التي تقررهاالعقيدة الاسلامية منذ اعلان المسلم اسلامه . لقد جعلت المؤاخاة أخوة العقيدة كأخوة النسب في التوارث بين المهاجرين والأنصار .

وتعزيزا لذلك فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار من اعطاء أرضهم للمهاجرين مزارعة ، وانما طلب اليهم أن يقوموا بفلاحتها بأنفسهم أو بتقديمها لاخوانهم المهاجرين دون مقاسمة لهم . قال صلى الله عليه وسلم " **من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فان أبى فليمسك أرضه** ".[3]

وعندما أفاء الله على رسوله أموال بني النضير قسم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الفيء على المهاجرين دون الأنصار الا رجلين كان بهما فاقة .[4]

---

١ - د.محمد شوقي الفنجري ، نحو اقتصاد اسلامي . ص٢٩-٣٤، ص٧١-٧٤

ود. سعيد سعد مرطان ، مدخل للفكر الاقتصادي في الاسلام ، ص ٥٨، ٥٩

٢ - محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، ص٣٠٣ ، ٣٠٤

٣ - رواه مسلم في كتاب المساقاة والمزارعة ، باب كراء الأرض رقم ١٥٤٤

٤ - سيرة ابن هشام ١٩٣/٣،١٩٤

نظرة الاسلام الى الملكية

ما مفهوم الملكية في الاسلام ؟ وطبيعتها ؟ وما أنواعها ؟ وفي اجابتنا عن هذه الاسئلة سنجيب عما اذا كانت الملكية في الاسلام مطلقة أم مقيدة . وما بين هذا وذاك نعرض بعضا من المقارنات بين نظرة الاسلام الى الملكية ، وبين نظرات النظم والمذاهب الأخرى .

- مفهوم الملكية

تعرف الملكية بأنها " اختصاص حاجز شرعا يسوغ صاحبه التصرف الا لمانع ".[1]

فمن يملك شيئا يكتسب حق الانتفاع والتصرف فيه دون غيره من الناس ، وقد يكون هناك مانع يحول دون تصرف المالك نفسه بما يملك كنقص الأهلية ووجود حق للآخرين في هذا المال (الملك) كأن يكون الملك مرهونا مثلا .

- طبيعة الملكية في الاسلام

١- أقر الاسلام حق الملكية استجابة لدواعي الفطرة ، ذلك أن دافع التملك دافع فطري نجد مظاهره المبكرة في عالمي الانسان والحيوان . قال تعالى :﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ".[2]

٢- وبين الاسلام أن المالك الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، فهو مالك الملك الخالق الرازق المنعم المتفضل . قال تعالى :﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء**

---

١ - مصطفى الزرقاء ، المدخل الفقهي العام ١/٢٢٠

٢ - سورة آل عمران ١٤

وتنزع الملك ممن تشاء ﴾[1] وقال تعالى :﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن ﴾[2] .

٣- والله تعالى اذ جعل المال بأيدي عباده فانما جعلهم خلفاء له فيه . قال تعالى:﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾[3] . وهذا الاستخلاف عام لبني آدم . قال تعالى :﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ﴾[4] .

ولهذا التصور الاسلامي آثاره البعيدة في تقييد حق الملكية من حيث مداها واكتسابها وتوزيعها كما سيتبين معنا عما قليل . وفي هذا يقول الدكتور محمد عبدالله العربي: ان اضافة ملكية المال الى الخالق ضمان وجداني لتوجيه المال الى نفع العباد، وأن اضافة ملكية المال الى البشر ضمان لتوجيه المالك الى الانتفاع بما يملكه من مال في الحدود التي رسمها الله ، وهذه الاضافة لم يقصد بها الا تمليك الانتفاع بالمال بكل ما يقتضيه هذا الانتفاع من حق التصرف والاستغلال والاستثمار .[5]

٤- واضافة الملكية الى البشر ، كما تعرضها النصوص الشرعية ، لها صورتان :

فأحيانا تكون هذه الاضافة الى الجماعة من مثل قوله تعالى :

- ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾[6]
- ﴿ وآمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مماجعلكم مستخلفين فيه ﴾[7]

---

١ - سورة آل عمران ٢٦

٢ - سورة المائدة ١٢٠

٣ - سورة الحديد ٧

٤ - سورة الأنعام ١٦٥

٥ - د.محمد فاروق النبهان ، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي ، ص١٨٦

٦ - سورة الجاثية ١٣

٧ - سورة الحديد ٧

وأحيانا تكون هذه الاضافة الى الفرد كما في قوله تعالى :

- ﴿ ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده ﴾[1]

- ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ [2]

وهذا يشعر أن كلا من الملكيتين الجماعية والفردية أصل قائم بذاته في الاسلام .

قيود الملكية الفردية

أقر الاسلام الملكية الفردية ، ولكنه لم يجعلها ملكية مطلقة - كما في الرأسمالية - بل قيدها بجملة من القيود ، حتى ساغ لبعضهم أن يصف الملكية الفردية في الاسلام بأنها وظيفة اجتماعية ، بمعنى أن الفرد في ملكه أشبه بموظف لدى الجماعة الاسلامية ، يعمل لحسابها وليس لحسابه الخاص فقط . واعترض آخرون على هذا الوصف فقالوا بأن الملكية وظيفة شرعية ، أي أن الانسان مستخلف فيها عن الله لا عن الجماعة . وفي هذا يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " وقد رأينا بعض الذين يكتبون في المسائل الاسلامية يقول ان الملكية وظيفة اجتماعية ، ولا نرى مانعا من استعمال هذا التعبير ولكن يجب أن يعرف أنها بتوظيف الله تعالى ، لا بتوظيف الحكام ، لأن الحكام ليسوا دائما عادلين " [3] .

وهذه القيود منها ما يرد على اكتساب الملكية ، ومنها ما يرد على استعمالها.

١- القيود الواردة على اكتساب الملكية :

بين الاسلام طرق اكتساب الملكية ، ويمكن حصر هذه الطرق فيمايلي :[4]

---

[1] - سورة الهمزة ١، ٢

[2] - سورة اللهب ٢

[3] - محمد أبو زهرة ، المجتمع الاسلامي ، ص٢١،٢٢ . والدكتور محمد شوقي الفنجري ، المذهب الاقتصادي في الاسلام . ص١٢٧،١٢٨

[4] - مصطفى الزرقاء ، المدخل الفقهي العام ٢٢١/١

أ- احراز المباحات : والمباح هو كل مال لم يدخل في ملك أحد ولا يوجد مانع شرعي من تملكه . ومثاله جمع ماء المطر وجمع الحطب والصيد الخ ...

ب- العقود الشرعية من بيع وسلم واجارة وهبة وغيرها .

جـ- الخلفية : وتعني حلول شخص أو شيء جديد محل قديم زائل في الحقوق. وهي نوعان :

- خلفية شخص عن شخص وهي الارث

- وخلفية شيء عن شيء وهي التعويض

د- التولد من المملوك : فمن ملك الأصل ملك ثمرته وما تفرع عنه . فمن ملك الشجرة ملك ثمرها ، ومن ملك الدابة ملك ولدها وهكذا ..

٢- القيود الواردة على استعمال الملكية :

كثيرة هي القيود التي تحد من تصرف المسلم فيما يملك :

- فلا يسوغ له أن يبذر ماله أو ينفقه فيما لا يحسن .

- وهو منهي عن الترف ، فالترف آفة المجتمعات ، وهو مؤذن بسقوطها وانحلالها .

- وليس من حقه أن يلجأ الى كنز ماله وحبسه عن التداول والاحتكار .

- ولا يجوز له أن يعمد الى استغلال الآخرين بالربا وغيره .

- كما أنه منهي عن التعسف في استعمال حقه أو ماله بصورة تفضي الى الاضرار بالآخرين ، اذ لا ضرر ولا ضرار .

والى جانب ذلك كله رتب الشارع على المالك عددا من الالتزامات المالية كالنفقات والصدقات والزكاة والضرائب المالية الأخرى لقوله صلى الله عليه وسلم:"**إن في المال حقا سوى الزكاة** ".[1]

أنواع الملكية

تقسم الملكية بالنظر الى صاحبها الى قسمين : فردية وجماعية .

---

[1] - أخرجه الترمذي في الزكاة ، باب ما جاء أن في المال حقا سوى الزكاة

ويقوم النظام الرأسمالي أساسا على الملكية الفردية ، والاستثناء فيه هو الملكية الجماعية . أما النظام الاشتراكي فالأساس فيه هو الملكية الجماعية ، والاستثناء فيه هو الملكية الفردية .

أما النظام الاسلامي فقد شرع كلا من الملكية الفردية والملكية الجماعية أصلا بذاته وليس استثناء .

ومع أن الاسلام يرتب على الملكية الفردية وظيفة اجتماعية سبق لنا الحديث عنها الا أن الاسلام أفرد للملكية الجماعية مساحة لا بأس بها على خارطته التشريعية. وتتخذ هذه الملكية صورا شتى أهمها :[1]

أ- الأراضي المفتوحة صلحا أو عنوة على تفصيل واسع في حكم هذه الأراضي نجده في ثنايا الكتب الفقهية .

ب - الأرض الموات : وهي الأرض غير العامرة التي لا يمكن الانتفاع بها على حالتها الطبيعية ، ولا يوجد لها مالك معين .

جـ- الأوقاف الخيرية : والوقف يعني حبس المال (العين) والتصدق بمنفعته بحيث ينسلخ عن ملكية صاحبه ويغدو ملكية جماعية .

د- ملكية المعادن في باطن الأرض . وهي المعروفة باسم " الركاز ".

هـ - ملكية المرافق الأساسية مما نص عليه الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم :" **المسلمون شركاء في ثلاث : في الماء والكلأ والنار** "[2] ويدخل في الماء الأنهار والبحار ، ويدخل في الكلأ المراعي والأحراج ، ويدخل في النار النفط ومشتقاته .

---

[1] - عبدالله مختار يونس ، الملكية في الشريعة الاسلامية ودورها في الاقتصاد الاسلامي ، ص٢٢٧-٢٥٣. ومحمد شوقي الفنجري ، المرجع السابق ، ص١٤٨-١٥٠

[2] - رواه أبو داود في الاجارة ، باب في منع الماء

و- الحمى : هو أن يحمي الامام جزءا من الأرض المباحة لمصلحة المسلمين دون أن تختص بفرد معين منهم . وكان الحمى قبل الاسلام يعتمد على الغلبة والقوة، اذ يلجأ المتغلب الى حماية منطقة معينة لحسابه أو لحساب اسرته . أما في الاسلام فقد قال صلى الله عليه وسلم :" **لا حمى الا لله ورسوله** "[1] .

ز- المساجد : وهي بيوت الله ، ملكيتها للمجتمع الاسلامي وان حملت أسماء أشخاص أحيانا . فليس من بنى مسجدا بأولى من غيره في الصلاة أو الاعتكاف فيه .

حـ - ملكية الدولة (بيت المال) بما يؤول اليها من موارد دورية كالزكاة والخراج والجزية ، أو موارد غير دورية كخمس الغنائم وخمس الركاز وتركة من لا وارث له والعشور (الضرائب) وغيرها .

المشكلة الاقتصادية وطرق حلها

تتمثل المشكلة الاقتصادية في وجود الفقر والتخلف ، وبعبارة أخرى فان هذه المشكلة تنشأ نتيجة لوجود اختلال بين مطالب الانسان وحاجاته من جهة وبين امكانات تلبية حاجاته من جهة أخرى .

وتفسر الرأسمالية ظهور هذه المشكلة بقلة الموارد الطبيعية في ضوء حاجات الانسان المتنامية . فالأرض الزراعية محدودة ، والثروات الطبيعية تتناقص ، بينما حاجات الانسان في نمو مطرد باطراد رقيه المادي .

أما الشيوعية فترد هذه المشكلة الى التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع [2] وأن وجود الملكيات الخاصة كان دائما سببا في وجود هذه الظاهرة عبر مراحل التاريخ ، بدءا من عهد الأحرار

---

[1] - رواه البخاري في الحرث والمزارعة ، باب لا حمى الا لله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم

[2] - محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، ص ٣٤٦، ٣٤٧

والعبيد ، ثم النبلاء والعامة ، ثم الاقطاعيين والأقنان ، ثم للعلمين والصناع في النظام الرأسمالي آخر الأمر . ولذلك فان هذه المشكلة لا تقبل الحل الا بالغاء الملكية الخاصة .

أما النظام الاسلامي فلا يشارك الرأسمالية نظرتها برد المشكلة الى نقص الموارد الطبيعية . والله تعالى يقول في شأن الأرض :﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين** ﴾ [1] .

كما أنه ينكر نظرة الشيوعية في ردها هذه المشكلة الى أشكال الانتاج وعلاقات التوزيع والقول بالملكية الفردية أو الخاصة . فهاهم قد ألغوا الملكية الخاصة ثم عادوا صاغرين الى اقرارها ، لأن الفطرة لا يمكن معارضتها . وها هم في سعيهم لمعالجة هذه المشكلة قد ضاعفوا من حجمها ، فقد أفقروا الأغنياء ولم يغنوا الفقراء .

ان السبب الرئيس لهذه المشكلة في المفهوم الاسلامي هي ظلم الانسان لأخيه الانسان واعراضه عن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض كما حددها الباري عز وجل، وكفره للنعمة التي أنعم الله بها عليه .

وقد وضع الاسلام لمعالجة مشكلة الفقر حلولا عدة ، منها ما هو من شأن الفقير نفسه ، ومنها ما هو من شأن الجماعة المسلمة ، ومنها ما هو من شأن الدولة، ومنها ما هو مشترك بين المجتمع والدولة . ويمكن اجمال هذه الحلول فيما يلي :

١- العمل

وهو واجب على الفقير نفسه ، سواء كان في مجال الصناعة أو الزراعة أو التجارة أو أية أعمال وظيفية أخرى .

فاذا لم يستطع الفقير الحصول على عمل يلبي مطالبه ، وجب على الدولة أن تساعده في الحصول عليه . فعندما جاء أحد الأنصار يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه الى الاحتطاب بقوله :" **اذهب واحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر**

---

[1] - سورة فصلت ١٠

يوما "وذلك بعد أن اشترى له الرسول صلى الله عليه وسلم قدوما يستعين به في عمله.

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : " اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ".

والعمل شرف مهما كان نوعه ، ولا يكاد يفرق الاسلام بين عمل وعمل ، انما يفرق بين عامل وعامل . ولكن أعرافنا الاجتماعية جعلت بعض المجتمعات تتنكر للزراعة وبعضها يتنكر للصناعة والأعمال المهنية ، وهذا من المغالطات الفادحة التي تستدعي التصحيح حتى يسير المجتمع المسلم سيرته المباركة . ولقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا في العمل المنتج منذ نعومة أظفاره اذ عمل راعيا ثم تاجرا، واشتهر كثير من فقهائنا بالحرف التي كانوا يعملون فيها كالقفال والصابوني والزجاج والحلواني والصفار الخ...

٢- كفالة الأقارب الموسرين

اذا كان الفقير في وضع لا يتمكن فيه من العمل بسبب صغره أو هرمه أو مرضه ، فان على الجماعة المسلمة أن تتولى مسؤولياتها في دفع غائلة الفقر عن هذا الشخص ، وأولى الناس بذلك هم الأقارب لقوله تعالى :﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى** ﴾[1] وقوله صلى الله عليه وسلم :" **يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول : أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك** "[2]

وفي حدود القرابة الموجبة للانفاق خلاف بين الفقهاء :

فالامام مالك ضيقها فجعلها على الأبوين والأولاد الصلبيين دون بقية الأصول والفروع . وتوسط الشافعي فجعلها في الأصول والفروع فقط ، وتوسع أبو

١ - سورة النحل ٩٠

٢ - رواه النسائي في الزكاة باب اليد العليا واليد السفلى . واسناده صحيح

حنيفة فجعلها في نطاق القرابة المحرمة ، أما أحمد بن حنبل فكان أوسع الجميع حين جعل القرابة الموجبة للانفاق ما كان فيها القريب الموسر وارثا للقريب المحتاج .[1]

ووجوب النفقة على القريب مرهون بيساره ، ويدخل في النفقة الغذاء والكساء والسكن وتوفير الخادم لمن يعجز عن خدمة نفسه .

٣- الزكاة

اذا لم يجد الفقير عملا أو كان لا يحسن عملا ، ثم انه لم يجد من ينفق عليه من الأقارب فان على المجتمع المسلم والدولة المسلمة أن تهب لنجدته من أموال الزكاة. والزكاة من أركان الاسلام كما هو معلوم . وهي ليست منة يتفضل بها الغني على الفقير وانما واجب يؤديه لا قبل له بدفعه . قال تعالى :﴿ **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ [2] وقال صلى الله عليه وسلم :"**من أعطى زكاة ماله مؤتجرا فله أجرها ومن منعها فانا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد منها شيء** "[3]

انها تؤخذ عنوة اذا أباها وجحدها الجاحدون ، ويكفي أن نعلم أن أول حرب شنتها الدولة الاسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت لأجل الزكاة دفاعا عن حق الفقير والمسكين .

وفي مقدار ما يعطى الفقير والمسكين من أموال الزكاة خلاف بين الفقهاء :

- فعند الشافعية يعطى ما يدفع به فقره وحاجته مهما كانت حاجته .
- وعند المالكية والحنابلة يعطى ما يكفيه لسنة .

---

١ - محمد ابو زهرة ، الأحوال الشخصية ، ص٤٤٢، ٤٤٣

٢ - سورة التوبة ٦٠

٣ - رواه أبو داود في الزكاة باب في زكاة السائمة رقم ١٥٧٥

وإذا أدركنا صنوف الأموال التي تجب فيها الزكاة من حيث تنوعها وشمولها ونسبة المستحق فيها أمكننا الحكم بصورة جلية على دور الزكاة الفاعل في مكافحة مشكلة الفقر .

٤- بيت المال (الخزينة)

تتبدى مسؤولية الخزينة الاسلامية عند عدم كفاية الوسائل المتقدمة من عمل ونفقات وزكاة في مكافحة ظاهرة الفقر. والأساس في هذا قوله صلى الله عليه وسلم :" **أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته** " [١] .

وكفالة بيت المال لا تتوقف عند حدود المجتمع الاسلامي ، بل انها تشمل كفالة أهل الكتاب أيضا . فقد كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الى عدي بن أرطاة حاكم البصرة في عهده يقول :" وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه ، وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال : ما أنصفناك ان كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك " ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه .[٢]

٥- حقوق أخرى

أوجب الاسلام على المسلمين حقوقا أخرى في أموالهم تسهم في حل مشكلة الفقراء منها الكفارات وصدقة الفطر والأضحية وحق الجوار .

كما رغبهم في أعمال الخير التطوعية من خلال الاحسان والصدقات امتثالا لقوله تعالى :**﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ﴾** [٣] .

---

[١] - رواه البخاري في الفرائض باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " من ترك مالا فلأهله "

[٢] -أبو عبيد القاسم بن سلام . كتاب الأموال ، ص٥٧

[٣] - سورة البقرة ٢٤٥

وهناك حقوق أخرى في المال غير الزكاة ، يدل عليها قوله صلى الله عليه وسلم :**" ان في المال حقا سوى الزكاة "** [1]

ثالثا – النظام الاجتماعي

يقرر علماء الاجتماع أن الانسان مدني بطبعه ، وأن الاجتماع الانساني ضروري .[2] ويرى علماء اللغة أن الانسان لفظ مشتق من (أنس) والأنس ضد التوحش ، ومقتضى ذلك أن الانسان كائن اجتماعي بفطرته .

وقد راعت شريعتنا الاسلامية هذا الجانب في حياة الانسان فعنيت بتنظيم حياته الاجتماعية مثلما عنيت بتنظيم أوجه حياته الأخرى من سياسية واقتصادية وغيرها ، فما الذي نعنيه بالنظام الاجتماعي في هذا المقام ؟

مفهوم النظام الاجتماعي

للعلماء في تحديد مفهوم النظام الاجتماعي مذاهب واتجاهات منها :

١ – ان النظام الاجتماعي هو مجموعة المبادئ والتشريعات التي تنظم علاقة الانسان بالانسان في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والأسرية وما اليها .

وهذا المعنى يترادف فيه مفهوم (النظام الاجتماعي) مع مفهوم (أنظمة المجتمع) . ولا يخفى ما فيه من شمول وسعة تخرج بالمفهوم عن حده ، وفي هذا السياق توصف الشيوعية والرأسمالية بأنها أنظمة ومذاهب اجتماعية .

---

[1] – رواه الترمذي في الزكاة باب ما جاء أن في المال حقا سوى الزكاة رقم ٦٥٩

[2] – مقدمة ابن خلدون ص ٤٩

٢- ان النظام الاجتماعي هو مجموعة المبادئ والتشريعات التي تنظم علاقة المرأة بالرجل والرجل بالمرأة الناشئة عن اجتماعهما ، وما يتفرع عن هذه العلاقة من أمور . ولا يدخل في ذلك العلاقات المرتبطة بمصالحهما في المجتمع كالتجارة مثلا فذلك يدخل في مفهوم النظام الاقتصادي .[1]

وهذا الفهم للنظام الاجتماعي يقصر مفهومه عند حدود نظام الأسرة ، وما يدخل في ذلك من علاقات زوجية وعلاقات بنوة وأبوة متشابكة .

غير أننا نميل الى فهم للنظام الاجتماعي يستوعب مفهوم نظام الأسرة وهي نواة المجتمع الأولى ، ثم مفهوم المجتمع المصغر وهو مجتمع الجيران والخلطاء في العمل ، ثم مجتمع الأمة ، ثم المجتمع الانساني بكامله .

وسنعنى هنا ببيان المبادئ العامة التي تنظم علاقة الانسان بالانسان في كل مجتمع من هذه المجتمعات ، أو دائرة من هذه الدوائر ، دون الخوض في التفصيلات .

الأسرة في الاسلام

ما مفهوم الأسرة في الاسلام ؟ وما العلاقات القائمة بين أطرافها ؟

١- مفهوم الأسرة

الأسرة لغة لفظ مشتق من الأسر وهو القيد . وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم .[2]

أما شرعا فان هناك نوعين من الأسر في الاسلام :

- الأسرة النووية (التي هي نواة المجتمع) وتتكون من زوج وزوجة وأطفالهما .

---

١ - النبهاني ، النظام الاجتماعي في الاسلام ص ١٠٦

٢ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة أسر

- والأسرة الممتدة التي تضم أقارب الزوج والزوجة والأجداد ، وقد تضم أكثر من جيل .[1]

وعلى هذا فالأسرة بمعناها الشامل تشمل الزوجين والأولاد والاخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وفروعهم والأجداد والجدات .

وعلى هذا المعنى فان الأسرة في الاسلام أوسع مدى من الأسرة في القوانين الأخرى .[2]

٢- العلاقات الأسرية

تتنوع العلاقات الأسرية الى أنواع منها : العلاقات الزوجية ، وعلاقات الأبناء بالآباء ، وعلاقات ذوي الأرحام ، وفقا لمعناها الواسع الذي سبق ذكره .

أ- العلاقات الزوجية

الزواج الصحيح هو أساس العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة ، والزنا جريمة أخلاقية بشعة وفاحشة كبرى .

وقد حث الاسلام على الزواج ونهى عن الرهبانية . قال صلى الله عليه وسلم :" **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج** " [3]

والغاية من الزواج كما قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [4] فتحقيق السكن النفسي والمودة والتراحم هي الغاية الأولى من الزواج.

وانشاء الزواج يبدأ بالخطبة التي هي مجرد وعد بالزواج . ويملك الرجل أن يتقدم لخطبة من يراها من النساء من غير دائرة المحرمات . وهذاالحق ممنوح شرعا

---

[1] - د.عبدالرحيم عمران ، تنظيم الأسرة في التراث الاسلامي ، ص٢٠

[2] - محمد أبو زهرة ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، ص ٦٢

[3] - رواه البخاري في الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة ومسلم في النكاح باب استحباب النكاح

[4] - الروم ٢١

للمرأة كذلك فلها أن تباشر الخطبة أسوة بالرجل ، وان جرت أعرافنا على اختصاص الرجل بذلك .

ويلي الخطبة العقد ، وقد وصفه القرآن الكريم بأنه ميثاق غليظ كما قال تعالى :﴿ **وأخذن منكم ميثاقا غليظا** ﴾ [1] . ولا بد في هذا العقد من أن يقوم على الرضا والاختيار ، فاذا حصل اكراه للفتاة فلها الحق في فسخ العقد . فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن جارية بكرا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم "[2] ولا يجوز التوقيت في هذا العقد اذ أنه موضوع على التأبيد. ويجوز – وفقا للمذهب الحنفي – أن تباشر المرأة البكر عقد زواجها اذا كانت بالغة ، وان كان من المستحسن أن تسند ذلك الى وليها ، ولها الحق أن توكل في عقد زواجها من تشاء .

أما بالنسبة لانهاء عقد الزواج فقد يتم بالطلاق أو الفسخ .

أما الطلاق فقد وضعه الشرع في يد من له حق القوامة ، وهو الزوج ، غير أن هذا لا يشكل قيدا على حق المرأة في المخالعة اذا أرادت الفكاك من الحياة الزوجية ، فتتفق مع زوجها على الخلع مقابل ما تؤديه له من المال . وللمرأة كذلك حق طلب التفريق من خلال القضاء اذا وجد في الرجل عيب من العيوب الجنسية أو العقلية أو الجسمية المنفرة ، أو غاب عن زوجته مدة تضار بها ، أو هجرها ، أو دخل في شقاق أو نزاع معها وكان هو المسؤول عن ذلك .

والفسخ قد يكون بسبب مقارن لعقد الزواج كأن يتبين أن الزوجة أخته من الرضاع ، أو بسبب طارئ كأن يرتد أحد الزوجين عن الاسلام .

---

١ سورة النساء: ٢

٢ – رواه أبو داود في النكاح باب في البكر يزوجها أبوها ولا يستأمرها ، (رقم ٢٠٩٦)

واذا طلق الرجل زوجته فانه يشرع في حقه أن يمتع زوجته بأن يقدم لها كسوة أو مالا تطيبا لنفسها وتعويضا لها عن ايحاشها بالفراق الذي حصل بينهم . قال تعالى :﴿ **ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف - على المحسنين** ﴾ [1] .

أما عن آثار عقد الزواج فتتمثل في الحقوق الزوجية الناشئة عن هذا العد ومنها حقوق خاصة بالزوج وأخرى خاصة بالزوجة وثالثة مشتركة بينهما .

*** أما حقوق الزوج فهي**

١- الطاعة : فيجب على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية ، استنادا الى أحقية بالقوامة . قال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ [2] . وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم :" **لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**"[3] .

٢- ، رر في البيت : لقوله تعالى :﴿ **وقرن في بيوتكن** ﴾ [4] وليس لها أن تخرج الا باذنه . ولها أن تخرج دون اذنه لخدمة أبويها عند مرضهما اذا لم يوجد من يقوم بشأنهما ، أو عند اعلان النفير العام عند اغتصاب جزء من أرض المسلمين .

واذا خرجت المرأة دون اذن سقطت نفقتها عن تلك الفترة .

وعلى المرأة أن تراعي عند خروجها الحشمة وعدم الاختلاط بالأجنبي .

---

١ - سورة لبقرة ٢٣٦

٢ - النساء ٣٤

٣ - رواه الترمذي في الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة

٤ - سورة الأحزاب ٣٣

٣- ولاية التأديب . قال تعالى : ﴿ **واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** ﴾ [١] . هذا وضرب الرجل زوجته انما يكون آخر الدواء وآخر الدواء الكي . وهو لا يكون في حق غير الناشزات المتمردات على طاعة أزواجهن ، ولا يكون ضربا مبرحا أو على الوجه ، وهو مع ذلك ليس خلق الأخيار لقوله صلى الله عليه وسلم :" **ولن يضرب خياركم** " [٢] .

*** وأما حقوق الزوجة فهي**

١- المهر : والمهر واجب على الزوج ، يدفعه الرجل تكريما لزوجته . قال تعالى :﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ [٣] . وقد يكون معجلا أو معجلا مؤجلا .

٢- النفقة : لقوله تعالى : ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ [٤] .وتشمل الغذاء والدواء والكساء وأجرة الخادم لمن اعتادت الخدمة في حياتها .

ويراعى في تقدير النفقة حال الزوجين لقوله تعالى : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ [٥] . وقوله صلى الله عليه وسلم لهند زوجة أبي سفيان :" **خذي ما يكفيك بالمعروف** " [٦] .

واذا خرجت المرأة للعمل دون اذن زوجها تسقط نفقتها عنه .

---

[١] - سورة النساء ٣٤

[٢] - أخرجه ابن سعد والبيهقي

[٣] - سورة النساء ٤

[٤] - سوره البقره ٢٣٣

[٥] - سورة الطلاق ٧

[٦] - رواه البخاري في النفقات باب نفقة المرأة اذا غاب عنها زوجها

٣- العدل : وذلك عند تعدد الزوجات . قال تعالى : ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ [١] .

والعدل المطلوب يكون في المعاملة والمبيت ، أما الميل القلبي فلا ينافي العدل وذلك اذا مالا لاحدى نسائه أكثر من الأخريات ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " **اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك** " [٢] .

* أما الحقوق المشتركة بينهما فمنها حسن المعاملة ، وحل استمتاع كل منهما بالآخر والتوارث بينهما وحرمة المصاهرة فلا يحل للزوج أن يتزوج من أم زوجته أو بنتها ، ولا يحل لها أن تتزوج من أبيه أو ابنه .

ولا يفوتنا ونحن بصدد الحديث عن العلاقات الزوجية والحقوق الزوجية أن ننبه الى أن العلاقة بين الزوجين علاقة تكاملية وليست ندّية . فالرجل يكمل المرأة والمرأة تكمل الرجل ، ولا يصح أن يوضع أحدهما في موضع الند والمقابلة ، ويخطئ كل الخطأ أولئك الذين يجدفون بحقوق المرأة ليلقوا بها في بحار الباطل فيطالبون بمساواتها الكاملة مع الرجل ، وهي دعوة ظالمة للمرأة والفطرة الانسانية على حد سواء ، نظرا لما هناك من فروق فسيولوجية وسيكولوجية بينهما . يقول الدكتور الكسيس كاريل :" ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم ، اذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك . انها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة يفرزها المبيض . ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق

---

[١] - سورة النساء ٣

[٢] - رواه أبو داود

الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة ... " [1] .

ب – علاقات الأبناء بالآباء

حدد الاسلام هذه العلاقات بصورة جلية ، وأوضح لكل حقوقه وواجباته .

أما حقوق الآباء فتتمثل في الاحسان اليهم ، وأوجب ما يكون ذلك اذا تقدم بهم السن . قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمن وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** ﴾ [2] . إنها الرحمة بالوالدين التي تصل الى حد الذل .

وقد ورد في النصوص الشرعية التأكيد على حق الأم . عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال رسول الله : " **أمك** " . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : **أمك** . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : **أمك** . قال الرجل : ثم من ؟ قال رسول الله : " **أبوك** ".[3]

أما عقوق الوالدين فهو من الكبائر . عن أبي بكرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** "؟ وكررها الرسول ثلاثا . قلنا : بلى يا رسول الله . قال : " **الاشراك بالله وعقوق الوالدين** " .... [4] وكفى بالعقوق سوءا أن يقرن بالاشراك بالله .

---

[1] – د.الكسيس كاريل ، الانسان ذلك المجهول ، ص ١٠٨ ، ١٠٩

[2] – سورة الاسراء ٢٣ ، ٢٤

[3] – رواه البخاري في الأدب ، باب من أحق الناس بحسن الصحبة

[4] – رواه البخاري في الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور

وبر الوالدين لا ينقطع بموتهما ، بل انه يمتد الى ما بعد وفاتهما . عن أبي أسيد الساعدي قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال :" **نعم ؛ الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما** " [1] .

وأما حقوق الأبناء فمنها ما يسبق وجودهم في هذه الدنيا ، ومنها ما يلازم طفولتهم ، ومنها ما يصاحبهم في حياتهم بعد البلوغ ، ويمكن اجمال هذه الحقوق فيما يلي [2] :

١- حق النقاء الوراثي ، كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : " **تخيروا لنطفكم فان العرق دساس** " [3] .

٢- حق الحياة . قال تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم** ﴾ [4] . ومن هنا حرم الاسلام الاجهاض .

٣- الحق في الاسم الحسن . عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم** "[5] .

٤- الحق في الرضاعة . قال تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ [6] .

---

[1] - رواه أبو داود في الأدب باب بر الوالدين رقم (٥١٤٢)

[2] - د . عبدالرحيم عمران ، تنظيم الأسرة في التراث الاسلامي ، ص ٤١-٥٠

[3] - سورة الأنعام ١٥١

[4] - رواه ابن ماجه والدارقطني . وهو ضعيف [3]

[5] - رواه أبو داود في الأدب باب تغيير الأسماء

[6] - سورة البقرة ٢٣٣

٥- الحق في الحضانة حتى بلوغ سن معينة يستغني فيها الطفل عن خدمة النساء .

٦- الحق في الولاية على النفس والمال . ويدخل في الولاية على النفس الحفظ والصيانة والتعليم والتربية والتهذيب والتعليم . أما الولاية على المال فتثبت على فاقدي الأهلية أو ناقصيها كالصغار والمجانين والسفهاء ان كان لهم مال .[١]

٧- الحق في المعاملة بالتساوي بين الاخوة والأخوات . قال صلى الله عليه وسلم :" **اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف** ".[٢]

وعلينا أن نذكر أن قدرا كبيرا من مشاكل الأحداث الجانحين يرجع الى الآباء أنفسهم، وليست تلك المشكلات سوى حصاد ما زرعته أيديهم ، باهدارهم حقوق أبنائهم عليهم حتى أصبح أبناؤهم وزرا عليهم وعلى مجتمعهم .

جـ- علاقات ذوي الأرحام

عظم الاسلام من شأن العلاقات الرحمية ، ودعا الى التواصل بين الأقارب ، قال تعالى :﴿ **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ [٣] ومعنى الآية الكريمة هو " **واتقوا الأرحام أن تقطعوها** " [٤] على ما يرى جمهور المفسرين .

وحذر من قطيعة الرحم . قال تعالى : ﴿ **فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ [٥] .

وعدّ صلة الرحم بابا لسعة الرزق والذكر الحسن . قال صلى الله عليه وسلم

---

١ - محمد أبو زهرة ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، ص ٩٩-١١٣

٢ رواه الطبراني في الكبير . وهو حديث حسن (انظر الجامع الصغير سيوطي

٣ - سورة النساء ١

٤ - ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ٢/٣

٥ - سورة محمد ٢٢

:" **من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه** " [1] .

وصلة الرحم مطلوبة حتى مع اختلاف الدين ، ولا تتحقق هذه الصلة بصورتها الصحيحة اذا جازى أحدنا على الزيارة بمثلها أو الصلة بمثلها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " **ليس الواصل بالمكافئ ، الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها** "[2].

مجتمع الجوار

أقام الاسلام العلاقة بين الجيران على أساسا من البر والتعاون والتكافل بمختلف صوره وأشكاله . قال تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** ﴾ [3].

وقال صلى الله عليه وسلم :" **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**"[4].

والوصية بالجار مدارها الجوار نفسه بغض النظر عن اتحاد الدين . فعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : " ذبحت شاة لابن عمرو في أهله ، فقال : أهديتم لجارنا اليهودي ؟ قالوا : لا . قال : ابعثوا اليه منها ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** "[5] .

ومن مظاهر احترام الجار واكرامه أمور كثيرة منها :

---

١ - رواه البخاري في الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم

٢ - رواه البخاري في الأدب باب ليس الواصل بالمكافئ

٣ - سورة النساء ٣٦

٤ - رواه البخاري في الأدب باب الوصاة بالجار . وورواه مسلم في البر باب الوصية بالجار

٥ - رواه أبو داود في الأدب باب في حق الجوار

١- التهادي بين الجيران . فقد قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا أبـا ذر :" **يـا أبا ذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك منها** "[١] .فليس المطلوب عظم الهدية ولكن الهدية نفسها بما تفتح بين الجيران من سبل المودة .

٢- حفظ حرمات الجيران وعدم الاساءة الى أعراضهم . فقد قـال صلى الله عليه وسلم :" **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن . قيل : من يـا رسـول الله ؟ قال : " الذي لا يأمن جاره بوائقه** ".[٢]

٣- سماح الشخص لجاره باستخدام جداره الذي يفصله عنه . قال صلى الله عليه وسلم :" **لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره** ".[٣]

ومن ذلك السماح للجار بالمرور في أرضه أو استخدام أرضه لايصال الماء من خلالها الى أرض جاره .

٤- منح الشخص جاره أولوية شراء عقاره اذا أراد بيعه . وهو المعروف بحق الشفعة . والشفعة - كما عرفها الفقهـاء - هـي حـق تملـك العقـار ولـو جـبرا علـى المشتري بما قام عليه .قال صلـى الله عليـه وسـلم :" **مـن كـان لـه جـار في حـائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرض عليه** "[٤] .

٥- تقديم كل التسهيلات الممكنة للجـار مـن أغـراض وأدوات يستعين بهـا الجار على قضاء حوائجه. وهذا يدخل في قوله تعالى :﴿ **فويـل للمصلـين الذيـن هـم عن صلاتهم ساهون ، الذين هـم يـراؤون ويمنعـون المـاعون** ﴾ [٥] والمـاعون كـل مـا يستعان به بين الجيران من أدوات طبخ أو فأس أو دلو أو ماء ... الخ.

---

[١] - رواه مسلم في البر والصلة باب حق الجوار

[٢] - رواه البخاري في الأدب باب اثم من لا يأمن جاره بوائقه

[٣] - رواه البخاري في المظالم باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره

[٤] - رواه الحاكم في المستدرك

[٥] - سورة الماعون

وعلى هذا فان حقوق الجوار من القوة والمتانة حتى انها لتضاهي حقوق ذوي الأرحام . ومن المؤسف أن حقوق الجوار تتردى في أيـ هـذه نظرا لتكالب الناس على حطام الدنيا حتى لا يكاد يعرف الجار جاره ، فضلا عما هناك من مضايقات تحصل بين الجيران تبرأ منها تعاليم ثقافتنا الاسلامية السمحة .

المجتمع الاسلامي الكبير (الأمة الاسلامية)

تقوم العلاقات في المجتمع الاسلامي على جملة من الأسس والمرتكزات أهمها :[1]

١ – الأخوة الاسلامية

تقرر النصوص الشرعية بوضوح أخوة المسلمين بعضهم لبعض . قال تعالى :**﴿ انما المؤمنون إخوة ﴾** [2] وقال صلى الله عليه وسلم :" **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** " [3] وعهدنا بالأخوة أنها تقوم على أصول نسبية ووشائج القرابة والدم ، ولكن الاسلام يعمم هذا المفهوم ليستوعب المجتمع الاسلامي بأكمله ، بما يتركه ذلك من ايحاءات جميلة في النفس ، حيث تجد المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وتجد المجتمع الاسلامي في تعاطفه وتواده أشبه بالجسد الواحد كما قال صلى الله عليه وسلم :" **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** "[4] .

---

[1] – د. منير البياتي ، النظم الاسلامية ص ١٢٨-١٣٧ . و د . مصطفى عبدالواحد ، المجتمع الاسلامي ، ص٤٤-١٨٧ ، و د. عماد الدين خليل ،رؤية اسلامية في قضايا معاصرة ١٠٩-١١٥

[2] – سورة الحجرات ١٠

[3] – رواه أبو داود في الأدب باب المؤاخاة . واسناده صحيح

[4] – رواه البخاري في الأدب باب رحمة الناس والبهائم

ولقد رأينا كيف آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعيد الهجرة فجعل أخوة العقيدة كالأخوة في النسب بما يترتب على هذه النقلة من حقوق مالية في النفقة والتوارث ظلت الى حين ، ثم نسخت هذه التشريعات الاستثنائية التي أريد بها تحقيق التوازن بين فئات المجتمع الاسلامي الواحد.

٢- المساواة

المسلمون متساوون في الحقوق والواجبات ، وهم متساوون أمام الشرع وأمام القضاء ، كما سبق أن ذكرنا ذلك في أثناء حديثنا عن أسس الحكم في الاسلام وقواعده .

ولا تفاضل بين المسلمين الا بالتقوى ، قال تعالى :﴿ **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [١] . وفي خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قال : " **أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى** " [٢] .

وعندما حاول بعض السادة من العرب المشركين أن يقنعوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن اسلامهم رهن بألا يساويهم الرسول صلى الله عليه وسلم مع العبيد في جلساته ، نزل قوله تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ [٣] . فلا خير في دين يقوم على التمايز الطبقي . وهذا يذكرنا بامتياز الاسلام على الفلسفات الأخرى التي تقوم على التصنيف الطبقي ، كالفلسفة الهندوسية التي تصنف المجتمع تصنيفا قسريا الى أربع

---

١ - سورة الحجرات ١٣

٢ - أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ١٥٧/١

٣ - سورة الكهف ٢٨

طبقات : البراهمة (الكهنة) ، ثم طبقة رجال الحكم (الكشتريا) ، ثم طبقة الصناع والزراع (الفيسيائيون) ، ثم طبقة المهن السافلة (الشودرا) . ولا يحق للطبقة الأدنى أن ترتفع الى طبقة أعلى منها . وكما الحال في الفكر اليهودي الذي يصنف الناس الى يهود وجوييم ، واليهود أبناء الله ، وغيرهم من أبناء الحيوانات .

٣- التكافل

بينا أن مفهوم التكافل في المنظور الاسلامي أعم وأشمل من مفهوم التكافل في المجتمعات الغربية ، فالتكافل لديهم يتمحور حول الحاجات المادية ، بينما يتسع مفهوم التكافل لدينا ليستوعب الجوانب الأخلاقية والعلمية والجنائية والسياسية والاقتصادية والمادية الخ ...

ومن معالم التكافل البارزة في المجتمع الاسلامي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هذا المبدأ الذي به تقوم المجتمعات وعليه تبنى الحضارات . قال تعالى : ﴿ **والعصر ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [١] فاذا عدم المجتمع الاسلامي تطبيق هذا المبدأ أمسى كالسفينة في عرض البحر تضربها الأمواج من كل جانب حتى تؤذن بالغرق . أو كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :" **مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** " [٢] .

---

١ - سورة العصر

٢ - رواه البخاري في كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة

٤- الحرية

يحرص الاسلام على ارساء قواعد الحرية في المجتمع ، فلا يعتمد سياسة القسر والاكراه لاجبار الناس على الدخول فيه . قال تعالى : ﴿ **لا اكراه في الدين** ﴾ . كما يرفض أن يمارس الضغط على المسلم اذا اختار هذا الدين كيما نفتن عن دينه ، ومن هنا كان التنديد بالطغاة والجبابرة الذين استغلوا نفوذهم الاجتماعي والسياسي للوقوف ضد الأنبياء والرسل الداعين الى الاصلاح ، وقمع أتباعهم وتشريدهم وتقتيلهم .

كما حارب الاسلام الاستطالة على هامات العباد وممارسة العسف والاذلال في حقهم وتبقى كلمات عمر بن الخطاب رضي الله عنه باقية ما بقي الناس ، مخاطبا عمرو بن العاص والي مصر ، حينما اجترأ ابنه فضرب القبطي فقال : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " ؟.

ان مقولة (الله أكبر) قد جعلها الاسلام شعارا يردده المسلم آناء الليل وأطراف النهار ، اشعارا بأن صلة المسلم بالله تحرره من الخوف من الآخرين أن يتحكموا في رزقه وأجله ، كما تحرره من اسار الأهواء والشهوات حتى لا يكون عبدا يذل نفسه جريا وراء حطام من الدنيا قليل . قال صلى الله عليه وسلم :" **تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم والقطيفة والخميصة ، ان أعطي رضي وان لم يعط لم يرض** "[١] .

والحرية في هذا الاطار لا تعني التفلت من القيم والتعاليم الشرعية . فتلك هي الفوضى بعينها . ولقد رأينا كيف آل الأمر بتحرير المرأة في أكثر المجتمعات المعاصرة

---

١ - رواه البخاري في الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله

الى نوع من الفوضى الخلقية والتردي الاجتماعي حتى أصبحت كالاماء في عصر الرقيق بل هي دون ذلك .

المجتمع الانساني

يقيم الاسلام جسورا من العلاقات بين المجتمع الاسلامي وغيره من المجتمعات البشرية ، بناء على أن الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهم أبناء آدم وحواء . قال تعالى :﴿ **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ [١] . فالالتقاء والتعارف هو السبيل الذي ينبغي أن تسير اليه وعليه القوافل البشرية .

ويعرض الاسلام أسس هذا التلاقي العالمي فيما قاله تعالى :﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [٢] .

ان القرآن حين دعا الى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يطلب الوصول اليها من كل طريق وشراءها بكل ثمن ، بل نظر اليها كمثل عال وأمل عزيز ينبغي الاقتراب منه بقدر الطاقة [٣] .وإذا وجدنا الآخرين يوصدون الأبواب في وجه هذه الدعوة ، وينفضون أيديهم من دعاتها، فذلك شأنهم ولكنهم يتحملون مسؤولية ذلك ، ولذا كان الجهاد وسيلة معززة لايصال دعوة الاسلام الى الآخرين ، وليست وسيلة للقهر واذلال الشعوب ، ويكفي أن نعلم التشريعات الانسانية التي قررها الاسلام إبان الحرب ، من عدم التعرض للمدنيين بالقتل أو للبيئة الطبيعية بالتخريب .

ان الاسلام ينظر الى هذا العالم على أنه دار سلم وسلام ، ومع ذلك فان فقهاءنا يقسمون العالم الى دار اسلام ودار حرب ودار عهد ، وهو تقسيم يقوم على

---

١ - سورةالحجرات ١٣

٢ - سورة آل عمران ٦٤

٣ - د.محمد عبدالله دراز ، دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، ص ١٣٥

اعتبارات واقعية ، فالفقه يتعامل مع الواقع بما يكافئه ، ولا يقنع بالأصول الفلسفية والمنطلقات النظرية .

ومع هذا كله فان الفقه الاسلامي اذ يقيم جدارا بين دار الاسلام ودار الحرب الا أنه يسمح بوجود معابر عبر هذا الجدار يمكن من انتقال أحد الطرفين الى الآخر فيما يسمى المعاهدات ، سواء كانت صلحا أم استئمانا ، فيما يعرف في أيامنا هذه بتأشيرة الدخول . قال تعالى :﴿ **وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** ﴾ [1] . سواء كان هذا القادم الينا لأغراض سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو غير ذلك .

هكذا اذن يظهر حرص الاسلام على نقاء العلاقات الانسانية تحت مظلة الايمان بالله سبحانه ، وتحرير الانسان من ظلم الانسان . ولا يمنع الاسلام أتباعه من التواصل مع الآخرين في دائرة البر والعدل . قال تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم** ﴾ [2] . ولا يأبى الاسلام كذلك أن يدخل المسلمون أي تجمع دولي يقوم على مبادئ الحق والعدالة ، فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :" **لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لأجبت** " [3] .

---

١ - سورة التوبة ٦

٢ - سورة الممتحنة ٨، ٩

٣ - ابن كثير، السيرة النبوية ١/٣٦١

والحديث في هذا الجانب يدخلنا في دائرة العلاقات الدولية ، فعسى أن يكون فيما قدمنا اضاءة تهدي الباحث الى معالم النظام الاجتماعي في الاسلام وخطوطه العريضة بصورة اجمالية .والأمر بعد ذلك يحتاج الى توسع ليس هنا مجاله.

الفصل الرابع

علاقة الانسان مع الكون الطبيعي *

نقصد بالكون الطبيعي هنا السموات والأرضين وما تضمه من موجودات مختلفة ، ولا شك أن أهم جزء في هذا الكون هو كوكب الأرض الذي يعيش عليه الانسان ، وهو المكان الذي حدده الله له ليمارس نشاطه عليه ويحقق فيه الخلافة عن الله سبحانه وتعالى.

والمتأمل في دقة صنع هذا الكون من أدنى ذراته الى أكبر أجرامه الى كل من يدب فيه ويعيش على أرضه يعتقد اعتقادا جازما أن هذا الكون لا بد له من خالق أوجده على هذا النحو المعين . وأنه لم يوجد صدفة أو نتيجة لتغيرات طبيعية فيه . كما يدرك أن هذا الكون بأرضه وسمائه ملائم تماما للنشاط الانساني ، حيث يستخدم فيه الانسان امكاناته وطاقاته ويسخره لمنفعته وتكميل وجوده .

وبمراجعة متأنية للآيات الكريمة التي تتحدث عن الكون نجدها تبين أن الله خلق هذا الكون وسخره لمنفعة الانسان ، وجعله يسير على قواعد ثابتة منتظمة ، لأنه لو اختل نظامه لاستحالت الحياة فيه ، وهذا ينافي الغرض من خلقه وخلق الانسان ، ولصار خلقه عبثا دون هدف أو غاية ، ويستحيل هذا في حق الله عز وجل الذي خلق كل شيء لسبب وحكمة ، قال تعالى :﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما**

---

* كتبه د. وليد السعد

بينهما لاعبين ﴾ [1] ومن الآيات الكريمة الدالة على هذا المفهوم قوله تعالى :﴿ **الـذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء** ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليـم** ﴾ [3] وقولـه تعالى: ﴿ **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبـث فيهـا مـن كـل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيـات لقــوم يعقلـون** ﴾ [4] وقوله تعالى :﴿ **ألم تر ان الله يزجي سـحابا ثـم يؤلـف بينـه ثـم يجعلـه ركامـا فـترى الودق يخرج من خلاله** ﴾ .[5]

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن خلق الله للكون على هـذا النحـو المعـين ليكون ميدانا للنشاط الانساني يستطيع من خلال التأمل فيه أن يطلـع علـى كثـير مـن الأسرار الكامنة وراء مخلوقات الله سبحانه ليهتدي في النهاية الى أن هذا الكون لا بـد له من خالق لا شريك له في الخلـق والأمـر ، ثـم أن يسـخر نتـائج هـذا التـأمل وهـذه المعرفة لتيسير حياته على هذه الأرض ، التي هي جزء من هـذا الكـون ، وترقيتهـا مـن خلال عمارة الأرض التي يعيش عليها .

وتجدر الملاحظة هنا أن الانسان لا ينبغي أن يتدخل في نظام الكون فيغيره لأن ذلك يفسده ، فيفسد عليه حياته فيه ، بل عليه أن يسخره وينتفع به ومنه فقط.

وهكذا يتبين لنا أن العلاقة بين الانســان والكـون الطبيعـي الـذي يسـير علـى قواعد ثابتة مستمرة علاقة تبدو في ناحيتين : الأولى انـه مجـال للنظـر والتدبـر والتـأمل

[1] - الدخان ٣٨

[2] - البقرة ٢٢

[3] - يس ٣٧ ، ٣٨

[4] - البقرة ١٦٤

[5] - النور ٤٣

والمعرفة، ينتهي منه للوصول الى خالقه ومدبره . والثانية أنه مكلف باستثماره وبالانتفاع به وتسخيره لترفيه حياته .

وقد شاءت ارادة الله تعالى أن تكون هاتان النظرتان متسقتين منسجمتين تؤدي كل منهما الى الأخرى في كل متناغم متداخل .[1]

ان النظر في الكون وتأمله ينتج المعرفة وينتج العلوم الطبيعية المختلفة من فلك، وفيزياء ، وكيمياء ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم البحار ، وعلم الحيوان وعلم النبات وغير ذلك من العلوم الطبيعية التي استطاع الانسان من خلالها وبمعونتها أن يحدد طرق التعامل الأصوب مع هذا الكون وأجزائه المختلفة واستطاع أن يسخر هذا الكون لتحقيق حياة أفضل له على هذه الأرض .

ان نظرة الثقافة الاسلامية الى التعامل مع الكون محورها فكرة التسخير ، أي جعل الكون وما فيه من موجودات في خدمة الانسان لتحقيق خيره ومنفعته ، وهذه النظرة تختلف عن نظرة الثقافة الغربية الحديثة للكون التي ترى أن الانسان من خلال العلم والمعرفة مسيطر على الكون وعلى ظواهره ، فكان الكون في هذه الثقافة عدو نريد أن نكبح جماحه ونسيطر عليه ونخضعه لما نريد ، بينما في نظرة الثقافة الاسلامية نجد أن الكون أشبه ما يكون بالخادم المطيع والصديق الصدوق للانسان يضع امكاناته تحت تصرف الانسان لتحقيق خيره وكماله ، وحين يكون تعاملنا مع خادم مطيع مخلص أو صديق صدوق ، فان أخلاق الاسلام والثقافة الاسلامية تأمرنا أن لا نؤذي هذا الخادم أو الصديق بأن نغير في طبيعته لأنه عندئذ سيكف عن خدمتنا ، ان لم نتعرض للأذى منه.

ان نظرة " السيطرة " على الكون الطبيعي قد جعلت الانسان المعاصر يؤذي الكون الطبيعي ، فعرض نفسه للأذى جراء حماقته وغروره وحبه للسيطرة ، وما مثال

---

[1] - معالم الثقافة الاسلامية ، عبدالكريم عثمان ؛ ص ١٨

الثقب الذي تسبب في حدوثه الانسان لطبقة الأوزون التي تحمينا من أشعة الشمس المؤذية ، الا واحدا من عديد من الأمثلة التي تعامل فيها الانسان مع الكون الطبيعي باستعلاء وغرور ، فكانت النتيجة أن ارتد فعله عليه ، وقد بدأ الانسان هذه الأيام يدرك بأن عليه أن يتعامل مع الكون الطبيعي بطريقة أفضل حتى يستطيع أن يستفيد من هذا الكون الذي خلقه الله وسخره للانسان فمنه يتنفس ومنه يشرب ومنه يأكل ... الخ .

كما بدأ يدرك أن ايذاءه للكون الطبيعي ومحاولة تغييره أو تعديله هو اعتداء عليه يجر على الانسان الأذى ان لم يكن الدمار والهلاك .

الفصل الخامس

علاقة الانسان مع الزمان *

الزمن جزء صميم وهام في هذا الوجود وفي حياة الانسان ، ذلك أنه يحيط بوجود الانسان من لحظة خلقه حتى نهاية حياته ، وأن كل فعل يقوم به الانسان يحتاج الى زمن .

ويجرى الزمن لا مدخل للانسان فهو فيه ، فهو رهن بارادة الله سبحانه وتعالى ، خالق الزمان وخالق كل شيء .

ومع أن حقيقة الزمان غامضة ، لكننا ندرك من الزمن أحوالا ثلاث : الماضي والحاضر والمستقبل ، ونعلم أن الزمان الماضي لا يرجع أبدا ، وأن الحاضر سرعان ما يصبح زمانا ماضيا ، وأن المستقبل هو الزمان الذي نترقبه .

وعلاقة الانسان بالزمن وفقا للثقافة الاسلامية مرتبطة بالغاية التي أوجد الله سبحانه الانسان من أجلها ، وهي العبادة ، والمهمة التي حددها له وحدد نطاقها ، وهي الخلافة ، وذلك ما عبرت عنه الآية الكريمة : ﴿ **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ [1]

والعبادة – كما تقدم بيانه – أفعال يقوم بها الانسان طاعة لله وطلبا لرضاه، والخلافة في الأرض أيضا تتجلى في أفعال يقوم بها الانسان متفاعلا فيها مع هذه

---

* كتبه د. نصر البنا

[1] - البقرة ٣٠

الأرض بقصد تعميرها بكل ما فيه الخير والنفع للانسان وفق ما يرضـي الله سبحانه ، وكل هذه الأفعال مرتبطة بالزمان ، لأنها تحتاج الى الزمن أو الوقت حتى ينجزها الانسان .

وبستطيع القول - في ضوء مفهومي العبادة والخلافة وصلتهما بالزمن - بأنه كلما كانت أفعال الانسان التي هي عبادة وعمران للأرض أكثر ، كلما كان الانسان أفضل، لأنه حقق العبادة والخلافة بصورة أفضل ، ويمكن التعبير عن هذا المعنى بادخال مفهوم الزمن بالقول بأنه كلما كان يشغل الانسان للزمن بالأفعال في مجالي العبادة والخلافة أكثر، كلما كان الانسان أفضل وأكمل وأقرب الى الله سبحانه وتعالى .

وعكس ذلك صحيح ، وهو القول بأن شغل الانسان للزمن بالأفعال التي تغضب الله سبحانه ، أي التي تكون عصيانا لا عبادة ، والأفعال التي فيها تخريب للأرض ، لا تجعل الانسان أفضل ولا أكمل ، وانما تحط من قيمته وتبعده عن خالقه.

كل هذه المعاني في أهمية الزمن وكيف ينبغي على الانسان أن يشغله وفقا للثقافة الاسلامية ، قد عبرت عنها عدد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

أ- أهمية الزمان كعنصر في الوجود والحياة يعبر عنه ما نجده في القرآن الكريم من قسم بعلامات بارزة في مجرى الزمن ، وهو ما نجده في قوله تعالى :﴿ **والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [1] وقوله تعالى :﴿ **والضحى والليل اذا سجى** ﴾ [2] وقوله تعالى :﴿ **والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر** ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ **والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى** ﴾ [4]

---

١ - العصر

٢ - الضحى ١-٢

٣ - الفجر ١ ٤

٤ - الليل ١-٢

ب- كيف يشغل الانسان الزمن ؟

الانسان - وفقا للثقافة الاسلامية - مطالب بالاستفادة من الزمن الاستفادة الكاملة ان أمكن ذلك ، فيما يحقق غاية العبادة ومهمة الخلافة ، وهذا لا يعني أن يتخلى الانسان عن أموره الدنيوية لدرجة تجعله كلا على غيره، لأن الاسلام يعتبر العمل عبادة من العبادات التي تقربه الى الله تعالى . وليس الحال في الاسلام كحال بعض الديانات التي ابتدع أصحابها البدع في دينهم لاصلاح دينهم بزعمهم كما قال تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾[1] بل نجد أن الشريعة الاسلامية أقامت التوازن الكامل في وقت المسلم فوقت لعبادة الله تعالى ابتغاء الآخرة ووقت لرعاية مصالحه الدنيوية ، وكل اعتبرته الشريعة عبادة يثاب عليها ، قال تعالى :﴿ **وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين** ﴾ [2] بل من الدعاء الذي يقوله المسلم في أشرف مكان وفي أشرف عبادة يقوله أثناء طوافه في البيت العتيق :﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ [3]

ان الانسان مطالب - وفقا للثقافة الاسلامية - بالاستفادة من الزمن وهذا يكون بأكثر من سبيل من ذلك :

١- الاعراض عن الجاهلين فلا يقابلهم بجهلهم ، وقد مدح الله عباده الذين يعرضون عن الجاهلين قال تعالى :﴿ **واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [4] وقال تعالى :﴿ **خذ**

---

١ - الحديد ٢٧

٢ - القصص ٧٧

٣ - البقرة ٢٠١

٤ - الفرقان ٦٣

العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ وذلك لأن مخالطة الجاهلين تضيع وقت المسلم سدى ، وتجعله هدرا .

٢- الاعراض عن اللغو ، واللغو هو كل باطل صد عن ذكر الله جل وعلا ، قال جل وعلا : **﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾** [٢] وقال تعالى : **﴿ والذين لا يشهدون الزور واذا مرو باللغو مروا كراما ﴾** [٣] وهنا نهي عن اضاعة الزمن في اللغو .

بل نجد القرآن الكريم نهى المؤمنين عن الجلوس في المواطن التي يكفر بها ويستهزأ بها في آيات الله قال تعالى : **﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعا ﴾** [٤] .

وقال جل وعلا : **﴿ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾** [٥] .

٣- تلاوة القرآن وتدبر آياته وهذا من أعظم القرب وأنفس ما ينفق فيه الزمن والعمر والله جل وعلا استنكر على الذين لا يتدبرون القرآن بقوله :**﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ﴾** [٦]

٤- طلب العلم : والوقت الذي يقضيه المسلم في طلب العلم هو من أنفس الأوقات وأفضلها والله تبارك وتعالى قال : **﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة**

---

[١] - الأعراف ١٩٩

[٢] - المؤمنون ٣

[٣] - الفرقان ٧٢

[٤] - النساء ١٤٠

[٥] - الأنعام ٦٨

[٦] - محمد ٢٤

والعشي يريدون وجهه ﴾ [1] وقال صلى الله عليه وسلم " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** " [2] وقوله عليه الصلاة والسلام " **ان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم ، وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض** " [3]

٥- المحافظة على العبادات والمبادرة الى آدائها في أول وقتها ، وعلى رأس تلك العبادات الصلاة ، وعليه أن يجعل لنفسه صلاة بالليل وقد أمر الله نبيه بذلك بقوله : **﴿ يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾** [4] .

٦- الانصراف الى طلب المعاش من العمل والتجارة والزراعة والصناعة لأن في ذلك تعمير الأرض ، والعمل صفة أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وفي الحث على العمل قال عليه الصلاة والسلام :" أفضل ما يأكل الرجل من عمل يده وكان نبي الله داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده " لذلك فاننا نجد أن أفضل الرسل رعى الغنم في صباه لأهل مكة واشتغل في التجارة لخديجة رضي الله عنها ، وقال : ما من نبي الى وقد رعى الغنم ، وقد احترف الأنبياء جميعا حرفا يكتسبون منها لقمة الحلال بعرق الجبين ، فآدم عليه السلام كان حراثا ، وادريس عليه السلام خياطا ، وزكريا عليه السلام نجارا ، وداود عليه السلام حذاءا وهكذا ...

٧- ايجاد صديق ناصح أمين ينصحه بالخير وينهاه عن الشر مخلص له في سره وعلانيته ، لأن الأفراد من طبيعتهم أن يتأثروا بمن حولهم .عن ابي هريرة رضي الله

---

[1] - الكهف ٢٨

[2] - ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٨/١ عن أنس ، وانظر صحيح الجامع الصغير ٣٨٠٩/٤ وقال الألباني حديث صحيح

[3] - رواه ابو داود في العلم ١ ، الترمذي علم ١٩ ، النسائي طهارة ١١٢ ، ابن ماجه مقدمه ١٧ ، حم ١٩٦٥ عن أبي الدرداء رضي الله عنه وقد رواه مسلم بلفظ آخر

[4] - المزمل ١-٦

عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **المرأ على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط** " [1]

وقال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

٨- الترويح البريء عن النفس : ان الانصراف الكلي الى الجد قد يؤدي بالانسان الى السآمة وضعف الهمة وهذا يؤدي الى التكاسل والتواكل .

والصحابي حنظلة رضي الله عنه يتهم نفسه بضعف الايمان فيقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نافقت ، ويقول انك تذكرنا بالنار والجنة .... فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لو تدومون على الحال التي تقومون بها عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وعلى فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة** " [2] .

هل هناك فراغ في وقت المسلم ؟

لقد عني الاسلام بالوقت عناية عظيمة لا سيما وقت الرسل والانبياء والدعاة والمصلحين لما في وقتهم من أهمية عظيمة لأممهم ومجتمعاتهم ، فكل لحظة من لحظات حياتهم هي ملك للمدعوين ولدعوتهم ، لذا فلا عجب أن يأمر الله المسلمين باستغلال الوقت استغلالا كاملا قال تعالى :﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ [3] وكذلك ينهاه عن طاعة

---

[1] - رواه ابو داود الأدب ١٦ الترمذي في الزهد احمد في المسند ج٢ / ٣٠٣

[2] - مسلم في كتاب التوبة والترمذي كتاب القيامة ٣٢١/٣ مع شرح التحفة وابن ماجه كتاب الزهد ح ٢٣٩؛ واحمد في المسند ٣٠٥/٢

[3] - الكهف ٢٨

كل حلاف مهين بقوله : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين ، همـاز مشـاء بنميـم منـاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ [1]

وأمر الله لنبيه بأن يصبر نفسه مع أولئك النفر فيه من الدلائل الآتية :

- فضل أولئك النفر الذين يستغلون أوقاتهم في دعاء ربهم وعبادته والفاضل يكون جليسه فاضلا ، قال عليه السلام : المرء على دين خليله [2] .
- وجوب عبادة الله تعالى في كل الأوقات وعبر عنها هنا بالغداة والعشي
- وجوب اخلاص الطاعة لله .
- عدم طاعة الغافل قلبه عن ذكر الله.
- عدم اتباع الهوى فانه سبب للضلال والتفريط .

ولتأكد حرمة الوقت أوجد الاسلام العبادات في أوقـات مخصوصـة قـال تعـالى :﴿ **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتـا** ﴾ [3] أي في أوقـات محـددة وأزمـان متتاليـة على تعاقب الليـل والنهـار حتى تبقى روح المسـلم متطلعة في ذلـك الوقـت الى الله سبحانه وتعالى فعبادة الصلاة مثلا تبدأ من الفجر فيبـدأ المسـلم وقته بعبـادة ، فيكـون صاحب همة ونشاط فاذا عركته الحياة والعمل وأوشك علـى الانشـغال دخـل وقـت صلاة الظهر فأعاد صلته بخالقه ، وارتاح قليلا من عناء العمل وهموم الحياة ، وما هي الا سويعات فيصلي العصر ثم المغرب وينهي نهـاره بعبـادة الا وهـي صـلاة العشـاء، فنجد المسلم يبدأ يومه بعبادة وينهيه بعبادة ، ثم هناك عبادة اسـبوعية الا وهـي صـلاة الجمعة، وفي كل شهر يتذكر خالقه عند رؤيته لهلال ذلك الشهر ، وصيامـه لشـهر في السنة قائم على الوقت وكذلك حجه قال تعالى : ﴿ **يسألونك عـن الأهلـة قـل هـي**

---

١ - القلم ١٠-١٣

٢ - سبق تخريجه

٣ - النساء ١٠٣

مواقيت للناس والحج ﴾ [1] وعليه فاننا نجد أن وقت المسلم مليء منذ بداية نهاره الى نهايته وكذلك اسبوعه وشهره وسنته ، وعليه فليس في وقته من الفراغ لأنه اما في عبادة لله أو سعي لرزق أو طلب علم أو توجيه لولد أو تأديب .

والحق ان الاسلام يحثنا حثا قويا على استغلال الزمن وعدم تضييعه وشغله الا فيما فيه عبادة وتعمير للأرض ، ونجد ذلك واضحا في قول الرسول عليه الصلاة والسلام معلما للناس كافة : " **اغتنم خمسا قبل خمس :حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ،وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك** " [2] ذلك أن زمن الشباب هو مرحلة القوة والقدرة على القيام بالأفعال المختلفة التي تتطلب من الانسان جهدا وصبرا وسهرا وجلدا وعلى الشباب أن لا يشغلوا زمن شبابهم الا بما يرضي الله ليحققوا الغاية من خلقهم والمهمة الموكلة اليهم، أي العبادة والخلافة .

ولأهمية الوقت نجد أن سلفنا الصالح حرصوا على استغلاله الاستغلال الكامل فهذا الحسن البصري امام أهل زمانه يقول يا ابن آدم انما انت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك [3] ويقول أيضا : فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحا [4] وقال رحمه الله : " ابن آدم طأ الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك . انك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك " [5] .

ويقول رحمه الله في وصيته لأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه " وانما الدنيا اذا فكرت فيها ثلاثة أيام يوم مضى لا ترجوه ، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن

---

[1] - البقرة ١٨٩

[2] - صحيح الجامع الصغير ٣٥٥/١

[3] - حلية الأولياء ١٤٨/٢

[4] - المصدر السابق ٢/ ١٤٩

[5] - حلية الأولياء ١٥٥/٢

تغتنمه ، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا ؟ ولا تدري لعلك تموت قبلـه ، فامـا أمس فحكيم مؤدب وأما اليوم فصديق مودع غير أن أمس وان كان قد فجعك بنفسه فقد ابقى في يديك حكمته ، وان كنت قد أضعتـه فقـد جـاءك خلـف منـه .. واتـرك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل واياك أن تدخل على اليوم هـم غـد أو هـم مـا بعـده زدت في حزنك وتعبك "[1]

---

[1] - انظر وصية الحسن لأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز في الحلية ٢/١٣٤-١٤٣ فهي وصية نفيسه

الفصل السادس

علاقة الانسان مع الأفكار

التفكير واجب على المسلم

للأفكار دور أساسي وهام في حياة الانسان يشمل كل مناشطها ، فكل فعل يقوم الانسان به ، لا بد وأن يمر بالذهن أو مرحلة الفكر أولا ، فالمشروع الذي يتم انجازه يبدأ فكرة في ذهن صاحبه ، والمبنى الذي ينجزه العمال والمهندسون يبدأ فكرة في ذهن المهندس الذي صمم البناء تنقل على الورق ثم يتجسد عل أرض الواقع ، وهكذا في كل فعل هادف يقوم به الانسان الراشد .

والتفكير ، الذي هو الفعل العقلي الذي يتم بواسطته الوصول الى النتائج أو الأفكار الصحيحة ، هو - كما أكده علماء المسلمين قديما وحديثا - فريضة على كل مسلم ، وأنه مطلوب من المسلم أن يفكر في أفعاله : كيف يفعلها وما العواقب أو النتائج المترتبة على فعلها ، ومطلوب منه أن يتفكر فيما حوله من موجودات وظواهر ، ويصل من تفكره الى النتائج اللازمة عن تأملها وتأمل خصائصها .

ولقد أبانت آيات عديدة في القرآن الكريم بأن التفكر هو سبيل من سبل الوصول الى المعرفة الحقيقية ، بل والى ادراك الحق المطلق الذي هو الله سبحانه وتعالى الذي وصف نفسه بهذا الوصف في قوله الكريم: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما

* كتبه د. عزمي طه السيد

يدعون من دونــــــه هـو البـاطل ﴾ ١ ، والوصـول الى المعرفـة الحقيقيـة والى الحـق المطلق يتم بجهد عقلي منظم منطلقا من بدايات أو مقدمات هي هذا الوجود المخلـوق لله سبحانه وتعالى ، فيتعرف الانسان علـى صفـات هـذه الموجـودات بقـدر طاقتـه ، وبتأمله لها يصل الى النتائج المشار اليها ، اذا كان تأملـه وفـق منهـج سـليم وخطـوات صحيحة .

من الموجودات التي طلب الله من الانسان أن يتفكر فيها ، نفسـه وأحوالـه ، ثـم السـموات والأرض ومـا بينهمـا مـن موجـودات شتى كـالهواء والمـاء والأرض والأشـجار ومـا يـدب علـى الأرض مـن كائنـات حيـة ...الخ ، قـال تعـالى : **﴿ أولم يتفكروا في أنفسه ، ما خلق الله السـموات والأرض ومـا بينهمـا الا بـالحق وأجـل مسمى ، وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾** ٢ ، وقد طلب القرآن الكريـم من المشركين أن يتفكروا في حال سيدنا محمد صلى الله عليـه وسـلم ومـا يعظهـم بـه ويهديهم اليه ، لأنهـم ان فعلـوا ذلـك علـى الوجـه الصحيـح للتفكـير ، تبـين لهـم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس مجنونا - كما أشاع الجهلاء والسفهاء منهم - وانما هو رسول من الله اليهم يهديهم الى طريـق الخـير والسـعادة ، قـال تعـالى : **﴿قـل انما أعظكم بواحدة ، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكـرون مـا بصاحبكـــم مـن جنة ، ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾** ٣

وقد طلـب الاسـلام مـن النـاس والمسـلمين ، بجـانب تفكرهـم في السـموات والأرض وما بينهما وفي أنفسهم ، أن يتفكروا أيضا في كتـاب الله ، الـذي هـو ذكـر حكيم ، والذي فيه خيرهم وسعادتهم اذا طبقوا ما فيه من أوامـر ونواهـي وموعظـة ،

---

١ - سورة الحج ٦٢

٢ - سورة الروم ٨

٣ - سورة سبأ ٤٦

قال تعالى في ذلـــك : ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ولعلهـم يتفكـرون ﴾ [1] ، وقال تعالى أيضا ، متنكرا عدم تفكر بعض الجاحدين وتدبرهم وتأملهم للقرآن الكريم وآياته وما فيها من آراء وأوامر ونواهي ومواعظ وتنظيم للحيـاة وهدايـــة للنـاس : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [2]

وهكـذا نـرى أنـه كمـا أن التفكـر في الوجـود ومـا فيـــه مـن مخلوقـــات واجـــب علـى الانســـان ، فكذلـك التفكـر والتدبـر في كتـاب الله الكريـم وآياتـه وفهمها واجب على الانسان ، اذ بذلك كله تكمل الهداية الصحيحة له .

فاذا كان التفكر واجبا على الانسان بعامة وعلى الانسان المسلم بخاصة اذ هو مأمور به - كما تقـدم آنفـا - فـان علينـا أن نتعـرف علـى التفكـير وأسـاليبه وطرقـه الصحيحة ، واذا كان التفكير هو الفعل العقلي الذي يوصلنا الى الأفكار الجديـدة الـتي لم تكن معلومة لدينا قبل عملية التفكير (حين نستحضر في ذهننـا أفكـارا معلومـة لنـا من قبل يسمى ذلك تذكر أو استرجاع) فاننا بحاجة الى معرفة الأفكار : ما هـي؟ ثـم نوضح بعد ذلك الثقافة الاسلامية العامة في مجال التعامل مع الأفكار .

المقصود بلفظ " أفكار "

سنبدأ بتوضيح المقصود بلفـظ " الأفكـار "، فنقـول : الأفكـار جمـع فكـرة ، والفكرة في أبسط صورها هـي قضيـة أو جملـة خبريـة (حسـب اصطـلاح اللغـة) أو المعلومة (حسبما هو شائع في علوم الاتصال الجماهيري والمعلوماتيـة) ، تتكـون مـن قسمين رئيسين هما : الموضوع الذي نتحدث عنه أو نخبر عنه ، والمخـبر بـه ، أي ما قلناه عن الموضوع ، فاذا كنا نتكلـم عـن السـماء في يـوم غـائم وقلنـا السـماء ملبـدة

---

[1] - سورة النحل ٤٤

[2] - سورة النساء ٨٢

بالغيوم ، فان هذه القول عبارة عن قضية أو جملة خبرية أو معلومة مفردة أو فكرة ، وهذه الفكـــــرة موضوعها هو : السماء ، وما أخبر به عنها من معلومات هو قولنا : ملبدة بالغيوم ، وهناك صلة بين الجزء الأول والجزء الثاني وهي أن الموضوع قد اتصف بالجزء الثاني أو صدق عليه هذا الوصف ؛ وقد تكون الفكرة في صورة أخرى الصلة فيها بين الموضوع وما اتصف به أو ما أخبر به عنه صلة انفصال أي عدم صدق أو نفي اتصاف الموضوع بالخبر أو الصفة الواردة عنه ، مثال هـذه الفكرة السالبة أن نقول: السماء ليست ملبدة بالغيوم .

وعليه فان الأفكار اما أن تكون **ايجابية** حين يصدق الخبر المخبر به على الموضوع، واما أن تكون **سلبية** حين لا يصدق الخبر المخبر به أو الوصف المقدم في الفكرة علـــى الموضوع .

ويمكن أن يكون لدينا أفكار مركبة من أكثر من فكرة بسيطة ، الموضوع فيها واحدا والمخبر به أكثر من خبر أو صفة ، فاذا قلنا : محمد رسول الله الصادق الأمين الذي أخرج مع قومه من مكة ، فهاجر الى المدينة حيث تمكن من نشر الاسلام في المدينة وما حولها ثم في مكة والجزيرة العربية بأكملها ...، مثل هذه الفكرة هي فكرة مركبة لأنه يمكن تقسيمها الى عدد من الأفكار لها جميعا موضوع واحد ، وهو في هذا المثال : محمد صلى الله عليه وسلم . ومن الأفكار المركبة ما يكون مركبا من أكثر من فكرة بسيطة ولها أكثر من موضوع ، ومن أمثلة ذلك القضايا الشرطية كقولنا : اذا طلعت الشمس ذهبنا في رحلة ، فهذه قضية مركبة من قضيتين بينهما صلة شرطية ، الأولى : الشمس طلعت ، والثانية نحن ذهبنا في رحلة ، وموضوع الأولى هو الشمس وموضوع الثانية هو : نحن . ويقال مثله في بعض قوانين العلوم الطبيعية ومثال ذلك اذا ارتفعت درجة حرارة الغاز المحصور في حيز ما زاد ضغطه ، أو قولهم : اذا

زادت سرعة الريح المار على سطح سائل ما زادت سرعة تبخر هذا السائل ... وهكذا .

وبقدر ما توجد موضوعات في هذا الكون يمكن أن تكون هناك أفكار ، فكل شئ موجود يمكن أن توجد أفكار يكون هو موضوعها ، سواء كان هذا الشئ عظيم القدر أو حقيره ، وما العلوم المختلفة في نهاية الأمر الا مجموعة من الأفكار حول موضوعات هذه العلوم .

اكتساب الأفكار

نسأل الآن : كيف يكتسب الانسان الأفكار المختلفة حول الموضوعات المختلفة ؟ نجد مفتاح الجواب لهذا السؤال ، أو الجواب بصورة مجملة وموجزة في كتاب الله الحكيم في قوله تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع الأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ [1] ، فالسمع والأبصار هي أهم الحواس وقد سماها القدماء : الحسان الشريفان ، وهما وسيلة كبرى وهامة من وسائل المعرفة لدى الانسان ، وهما يوصلانه الى اكتساب أفكار جديدة باستمرار ، والأفئدة وهي القوى التي يملكها الناس وبها يفهمون الأمور المختلفة ويعقلون المعاني ويستنبطون الأفكار الجديدة ، فالفؤاد هو القوة التي تميز الانسان عن العجماوات من الحيوان وعن النبات والجماد ، ويطلق البعض على هذه القوة اسم العقل ، والأجدر والأولى أن نسميها بالاسم الذي سماها به الله وهو " الفؤاد " ، أي القوة المدركة العاقلة لدى الانسان . فالانسان لديه وسائل يستطيع بها اكتساب المعرفة أو الأفكار منحها الله له ، وهي تستوجب من الانسان أن يشكر الله سبحانه وتعالى عليها.

---

[1] - سورة النحل ٧٨

يكتسب الانسان الأفكار اما بطريق الحواس أو بطريق الفؤاد (أو العقل) أو يتشارك الحواس والفؤاد معا .

فالأفكار التي تكتسب عن طريق الحواس مباشرة ، أي عن طريق اتصال الحاسة بالمحسوس تسمى : **أفكار حسية** ، ويحصل الانسان على هذه الأفكار الحسية دون بذل مجهود ذهني أو عقلي خاص ، فحين أنظر الى لوح الكتابة في واجهة الفصل المقابل لي ، أدرك على الفور أن لونه أسود ، فتحصل لدي فكرة وهي أن لون اللوح أسود ، وهي راجعة الى الادراك الحسي أو الحواس .

وهناك أفكار يشعر الانسان حين يتأملها وكأنه يعرفها منذ أمدطويل ، ويشعر أنها قضايا أو أفكار واضحة بذاتها وضوحا لا يمكن نكرانه ، فحين يعرض أمام ذهني قضية كهذه : الكل أكبر من الجزء ، أو : الشيئان المساويان لشيء ثالث متساويان ، أو : لا يكون الشيء الواحد موجودا وغير موجود في الوقت الواحد ... هذه القضايا حين يتأملها ذهن الانسان الراشد يصدق بها دون حاجة لمناقشة أو تعليل أو تقديم برهان أو القيام بتجربة ما، لوضوحها المشار اليه ، ونسمي هذه القضايا بـ : البديهيات أو القضايا الواضحة بذاتها ، أو **الأفكار البديهية أو الأفكار الواضحة بذاتها** .

هذا النوعان من الأفكار التي يكتسبها الانسان دون بذل جهد يذكر وبطريقة مباشرة ، أي دون الحاجة الى تقديم البراهين على صوابها ، تسمى معا : **الأفكار الأولية** ، لأنها تكتسب أولا ، لأننا نستطيع بواسطتها أن نستنتج أفكارا أخرى غيرها من خلال بذل جهد عقلي أو ذهني منظم .

وهناك أفكار نصل اليها بعد بذل جهد عقلي منظم ، نتأمل فيه بعض المعلومات الموجودة بين أيدينا ، والتي تسمى بالمقدمات ، ثم نحاول معرفة الصلات

القائمة بين هذه المعلومات مما يؤدي بنا الى استنتاج فكرة جديدة من هذه المعلومات لم تكن معروفة لنا قبل القيام بهذا الجهد العقلي المنظم .

وهناك نوع آخر من الأفكار يطلق عليه : **الأفكار الثانوية** ، وهي أفكار نصل اليها ببذل جهد ذهني منظم ، استنادا الى أفكار أولية ، وهذا النوع من الأفكار يحتاج في ادراك حقيقته من حيث الصواب والخطأ الى دليل أو برهان أو اجراء تجربة ما أو أكثر ، أو مراجعة خطوات الجهد الذهني الذي بذل في سبيل الوصول اليه .

والأفكار الثانوية وان كانت كلها تحتاج الى جهد ذهني حتى يصل الانسان اليها ويحصلها ، الا أنها تتفاوت في مراحل بعدها عن الأفكار الأولية التي بنيت عليها ، فبعضها قد يتوصل اليه بعملية ذهنية واحدة فتكون مبنية على الأفكار الأولية مباشرة وبعضها يبنى على أفكار ثانوية أخرى ويحتاج الوصول اليها أكثر من عملية ذهنية ، ويمكن تمثيل ذلك كالاتي :

أفكار أولية ، أفكار ثانوية ، أفكار ثانوية ، ... وهكذا اذا أخذنا أية فكرة ثانوية وحللناها الى أصولها أو المقدمات التي استنتجت منها ، وعدنا رجوعا الى المقدمات ومقدمات المقدمات ومقدمات مقدمات المقدمات ... فاننا سنصل أخيرا الى الأفكار الأولية حسية كان أم بديهية .

يمكن أن نقدم مثالا على مثل هذه الأفكار التي نصل اليها بجهد ذهني منظم ، فنقول: حين نشاهد دخانا يتصاعد من نافذة الغرفة المقابلة ، دون أن نكون قد دخلنا هذه الغرفة ، نستنتج بأن هناك نارا تشتعل في داخل الغرفة ، فهذه الفكرة : يوجد نارا بداخل الغرفة ، قد توصلنا اليها ببذل جهد ذهني منظم ، وليس عن طريق الادراك الحسي المباشر للنار ، وقد يأتي شخص ما فيشكك في هذه الفكرة ، أي في وجود نار في الغرفة ، ويطلب منا دليلا مقنعا على هذه النتيجة ، وهو محق في هذا لأنه لا يرى النار المشتعلة في الغرفة ، عندها يمكن أن نقول له : ألا ترى الدخان المتصاعد من نافذة

الغرفة ؟ فلا بد له من الاعتداء وهذه فكرة أو قضية أولية لا يستطيع أن ينكرها من كانت حواسه سليمة اذ هي فكرة حسية مباشرة ؛ ثم نقول له: ألسنا نعلم في ضوء خبراتنا الحسية الماضية أن وجود الدخان ملازم لوجود النار ، وأنه لا يوجد دخان بغير نار ؟ فيصعب عليه أن ينكر ذلك لأنه علم راجع الى ادراكات حسية تكررت مرات عديدة ، فنقول له متابعين : وهذا دخان متصاعد من الغرفة ، فلا بد أن يكون ناتجا عن نار موجودة فيها ...

نعلم أننا نصل الى هذه النتيجة في وقت قصير وبسرعة ، بعد أن نشاهد الدخان ، ولكننا مع ذلك نكون قد بذلنا جهدا عقليا منظما لم نبذله في حالة الأفكار المباشرة .

ونود أن نوضح المقصود بلفظ " منظم " الذي وصفنا به الجهد الذهني الذي يوصلنا الى أفكار جديدة لم تكن معلومة لنا قبل بذل هذا الجهد المنظم ، ان لفظ منظم هنا تعني أننا في هذا الجهد نعرف البدايات (المقدمات) التي انطلق منها هذا الجهد أو استند عليها ، ونعرف كيفية انتقالنا ، خطوة بعد خطوة ، من المقدمات حتى وصلنا الى النتيجة (أو النتائج) ، أي الى الأفكار الجديدة ، ونعرف كذلك غايتنا ومطلوبنا من هذا الجهد الذي بذلناه قبل البدء به ، فهذه أمور ثلاثة تفهم من لفظ " منظم "، ويدل عليها هذا اللفظ : معرفة المقدمات ، ومعرفة الخطوات (وتسمى المتوسطات) ، ومعرفة الغاية أو المطلوب .

وهكذا نستطيع القول بأننا نصل الى الأفكار الجديدة من خلال جهد عقلي منظم، وهذا الجهد العقلي يطلق عليه التفكير (بصورة عامة) أو التفكر ، فالتفكير (أو التفكر) : **هو عملية ذهنية منظمة نقوم بها للوصول الى أفكار جديدة (ثانوية) لم تكن معلومة لدينا قبل البدء بهذا الجهد .**

وهذه الأفكار الجديدة (أو النتائج) التي هي غايتنا من التفكير ، قد تكون ذات طابع عملي ، كأن تكون مشكلة واجهتنا في حياتنا الاجتماعية أو العملية أو المهنية ، أو تكون خطة نريد وضع خطواتها لنصل الى تحقيق أهداف معينة ... الخ. وقد تكون مشكلة نظرية أو عملية خالصة ، كالذي يقوم به العلماء والباحثون في علومهم ودراساتهم الأكاديمية النظرية .

ومع أن للتفكير أكثر من أسلوب وأكثر من طريقة (مثل : التحليل والتركيب والتجريد والتعميم والاستدلال (أي تقديم الدليل) بأنواعه المختلفة) ، الا أن وصفنا للتفكير بأنه جهد ذهني منظم ، يظل وصفا صادقا لجميع أنواع التفكير .

علاقة الانسان مع الأفكار

سنبدأ بقسمة الأفكار وفقا لموضوعاتها الكبرى الى الأقسام الآتية :

أ- أفكار موضوعاتها تنتمي الى عالم الغيب .

ب- أفكار موضوعاتها تنتمي الى عالم الشهادة أو الكون الطبيعي.

جـ- أفكار موضوعاتها تنتمي الى العالمين معا في نفس الوقت . والموضوع أو الموجود الذي ينطبق عليه هذا الوصف هو الانسان الذي له بدن (أو جسد) ينتمي الى عالم الشهادة ، وروح تنتمي الى عالم الغيب ، وهو مركب من هذين العنصرين الرئيسين .

د- أفكار موضوعاتها صور وعلاقات مجردة ، لا تشير الى شيء محدد في الكون الطبيعي ، وان كانت لا تعدم الصلة به ، وهي الأفكار التي نجدها في العلوم الصورية التي هي على وجه الحصر الرياضيات البحتة والمنطق بفرعهما .

هذا التقسيم يسهل علينا بيان مبادئ الثقافة الاسلامية في التعامل مع كل قسم من هذه الأقسام :

١- ففي تعاملنا مع الأفكار التي تنتمي موضوعاتها الى عالم الغيب ، كأن تكون أفكار عن الله سبحانه وتعالى وعن ذاته أو صفاته أو أفعاله أو عن الملائكة أو البعث والحساب أو الصراط أو خلق السموات والأرض أو خلق الانسان ... تعاملنا مع مثل هذه الأفكار هو أن نؤمن فقط بتلك الأفكار التي جاءتنا من عند الله سبحانه وتعالى بطريق الوحي الصادق الذي بلغته رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين ولم يصبه التحريف والتعديل والتغيير ، وهذا ، كما ذكرنا في موضع سابق ، ليس موجودا الا في الاسلام كتابا وسنة ، فهكذا كل ما ورد عن الغيب من أفكار في كتاب الله وسنة نبيه محمد عليه السلام ، نصدق به ونؤمن به ، ولا نحاول أن نطلب عليه الأدلة والبراهين ، لأننا لا نضمن حينئذ أن يأتي مجادل أو معاند ببراهين أقوى وأحكم من براهيننا ويرفض فيها موضوع الغيب وينكر وجودها . ويحسن أن نذكر هنا بأن تصديقنا وايماننا بما ورد من أفكار موضوعاتها من عالم الغيب ، في القرآن والسنة ، وانما هو فرع لايماننا بالله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة.

ولقد أثبت أحد الفلاسفة البارزين في القرن الثامن عشر وهو : أمانويل كانت (١٧٢٤م - ١٨٠٤م) ما أكده القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا في موضوعات الغيب، فقال بأن العقل حين يبحث في قضايا الميتافيزيقا (أي الموجودات الغيبية) فانه يقع في التناقض ، لأنه يقدم أدلة متعارضة ، بعض يثبت هذه الموضوعات وآخر ينفيها ، وخلص الى أن على الانسان أن يصدق ويؤمن بما ورد عن هذه الموضوعات من أفكار في الدين السماوي .

وهكذا ، اذا عرضت لنا أفكار تتعلق بالغيب ، فاننا نقبلها اذا كان مصدرها الكتاب أو السنة ، أو كانت مطابقة في معناها ودلالتها لما في الكتاب والسنة مطابقة تامة ، فتكون هي هي في المعنى لكنها مختلفة فقط في الألفاظ .

والحق الذي نراه هو أن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا عن الغيب بالقدر الذي نحتاجه في حياتنا ، وبالقدر الذي يمكننا ادراكه وفهمه والاستفادة منه ، وكل حديث أو كلام أو أفكار عن الغيب فوق ما ورد في الوحي الصادق فضول لا فائدة منه ، ولا ينبغي الالتفات اليه ، وانما رفضه واجتنابه ، لأننا لن نستطيع أن نعرف ان كان حقا أو باطلا ، وعليه ينبغي رفضه ، اذ لم نؤمر في الاسلام بشيء كهذا .

ومن مثل هذه الأفكار الغيبية ما يذكره بعض المتنسبين الى طرق التصوف في وصفهم للحضرة الالهية مما لا دليل عليه ولا برهان ولا ورد في الوحي الصادق ، فكل هذا لا فائدة منه وينبغي أن يلقى به المثقف المسلم وراء ظهره .

٢- أما في مجال التعامل مع الأفكار التي تنتمي موضوعاتها الى عالم الشهادة أو الكون الطبيعي ، فان هذه الأفكار ترتد في النهاية الى أفكار حسية حصل عليها الانسان بالادراك الحسي المباشر أو الى أفكار واضحة بذاتها (راجع ما قلناه عن هذه الأفكار فيما تقدم) ، والانسان بحاجة الى أن يعرف أكبر قدر ممكن عن الموجودات في هذا الكون الطبيعي الذي يعيش فيه ويتعامل معه ، وكلما كانت معرفته به وبموجوداته أكثر كانت قدرته على الاستفادة منه أكثر وكانت طرائقه في التعامل معه أسلم ، ومن هنا كانت حاجة الانسان الى أن يبذل جهدا منظما ليصل الى أفكار ومعرفة أكثر عن أجزاء الكون الطبيعي المختلفة ، وحاجته ، بطبيعة الحال ، هي الى الأفكار الصحيحة وليس الخاطئة أو الظنية (أي التي تحتمل الصواب والخطأ) .

والسبيل الموصول الى هذه الأفكار هو التفكر (أو التفكير) في موجودات الكون الطبيعي ، والتفكير يبدأ من النظر الحسي فيها ومشاهدتها وملاحظتها في أحوالها المختلفة ثباتا وتغيرا ، ثم استنتاج النتائج اللازمة عن هذه الملاحظات والمشاهدات ، ولقد كان الانسان قديما يعتمد على حواسه وحدها في الملاحظة ، ثم

طور شيئا فشيئا وسائل وأدوات تقوي حواسه على الادراك وتزيد من مجال ادراكها ، حتى وصلت هذه الالات والأدوات المساعدة للحواس الانسانية في عصرنا هذا الى درجة عالية من القدرة والكفاءة لم تكن تخطر على أذهان أحد من الناس من قبل ، فهناك المجاهر الألكترونية والمقربات الألكترونية (التلسكوبات) وغيرها الكثير .

وقد طور الانسان في العلوم الطبيعية ، التي تبحث في الموجودات الطبيعية ، مناهج للبحث توصل الباحث الى الأفكار الصحيحة في مجالها وهذه المناهج جاءت نتيجة للخبرة الانسانية المتراكمة عبر العصور ، فاتباع هذه المناهج التي أقرها أهل العلم في مجال الكون الطبيعي هو سبيل الانسان للوصول الى الأفكار الصحيحة في هذا المجال ، والمثقف المسلم يحتاج الى معرفة هذه المناهج وتطبيقها حتى يصل الى الأفكار الصحيحة .

وهذه المناهج تستخدم من ناحية ثانية معيارا للحكم على الأفكار التي تم الوصول اليها في هذا المجال ، فما كان منها قد تم الوصول اليه وفق منهج سليم ، وجرى اختبار صدقه في ضوء المعايير المنهجية في هذه العلوم الطبيعية الكونية ، يقبل على أنه صحيح ، وعلى العالم المسلم أن يستفيد من كل الأفكار الصحيحة في مجال الكون الطبيعي التي يتاح له معرفتها ، ذلك أن هذا الكون الطبيعي بسمائه وأرضه مسخر من الله للانسان ، ومن خلال هذا التسخير ، الذي لا يتم بدون الأفكار الصحيحة والعلم (الصحيح) ، يحقق الانسان الخلافة عن الله في الأرض .

يقول سبحانه وتعالى في أية جامعة :﴿ **ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض** ﴾ [1] ، ومن هذا يفهم أن كل شيء في السموات وفي الأرض ينبغي

[1] - سورة لقمان ٢٠

على الانسان أن يستفيد منه في حياته الدنيا اذ هو مسخر له ولتحقيق حياته في أكمل صورها ، تلك الصورة التي رسم معالمها خالقه سبحانه وتعالى .

والثقافة الاسلامية ، وهي تدعو الانسان الى أن يصل الى أكبر قدر ممكن من الأفكار عن الكون الطبيعي من أجل استخدام هذه الأفكار في تحقيق معنى " التسخير " الذي يرقي حياته ويكملها ، هذه الثقافة لفتت انتباه الانسان الى أمر هام ، وهو أنها ترى في معرفة الانسان للكون الطبيعي ، سبيلا وطريقا يقوي ايمان الفرد بـا لله ويجعله أكثر معرفة به سبحانه وتعالى ، اذ الكون فعله وخلقه ، ويجعله بعد ذلك أكثر خشية لله ، ذلك أن الذي يعرف الله أكثر يخشاه أكثر ، وسبيل التعرف على الله يكون من طريق التفكر في مخلوقات الله بدءا من تفكر الانسان في نفسه ثم في الكون الطبيعي : سمائه وأرضه ، وهذا المعنى يؤكده الله سبحانه وتعالى في قولـه الكريم : ﴿ **انما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ [1] وقد وردت هذه الآية بعد تذكير الله سبحانه وتعالى للانسان بعدد من الظواهر الكونية كالمطر واخراج الثمار من الأرض والدواب والأنعام والجبال ، فالعالم الذي يعرف حقيقة مثل هـذه الأمور الكونية أكثر تكون خشيته لله أكثر ، نتيجة لمعرفته الأكثر بأسرار وقوانين خلق الله، التي تجعل فكرته عن ا لله وقدرته أكثر .

- وهكذا يؤدي تحصيل الأفكار عن الكون الطبيعي والتعامل معها ، وفقا للاسلام والثقافة الاسلامية ، الى أمرين : تحقيق التسخير على أتم صورة ممكنة ، والتعرف على الله والتقرب اليه وخشيته بأكبر قدر ممكن ، ولهذا وذاك كان الاستفهام الاستنكاري في قول الله عز وجل :﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ [2]

---

[1] - سورة فاطر ٢٨

[2] - سورة الزمر ٩

٣- وأما في مجال التعامل مع الأفكار التي موضوعها هو الانسان وما يصدر عنه من أنواع السلوك في حياته الاجتماعية ، هذا الانسان المعقد في تكوينه ، والذي يشكل الغيب عنصرا أساسيا في تكوينه الذي هو عليه في هذه الحياة ، وعنصرا أساسيا في مرحلتي المبدأ والمعاد ، اذ وجوده قبل هذه الحياة ووجوده بعد مفارقتها غيب ، لا عجب أن نجد في تعاملنا مع الأفكار في هذا الجانب أننا نتعامل مع أفكار تشاكل موضوعها ، أي أفكار تضرب جذورها في الغيب - سواء قصدنا الى ذلك أم لم نقصد - وهي مع ذلك تعيش بيننا في عالم الشهادة .

ان الجانب المشاهد من الانسان ، وهو البدن ، عنصر هام في الانسان ، لكن أحدا من المفكرين لم يقل بأن البدن هو الانسان على الحقيقة ، وأنه يعبر عن جوهره (باستثناء بعض المفكرين الماديين) ، وانما قالوا بأن حقيقة الانسان تكمن في روحه أو نفسه أو عقله ، أي في ذلك الجزء الغيبي منه ، وما البدن الا آلة للروح أو النفس أو العقل يستخدمها للقيام بالأفعال التي يريدها هذا الجزء على الوجه الصحيح ، اذ هو من عالم الغيب ، ويجهل الكثير عن الجزء الذي ينتمي الى عالم الشهادة وأعني البدن ، فانه في المحصلة يجهل الكثير عن حقيقته كانسان وهذا الجهل يجعل من العسير عليه أن يضع أفكارا صحيحة كل الصحة تتعلق بالسلوك الأمثل الذي ينبغي على الانسان أن يسلكه في هذه الحياة في تعاملاته المختلفة مع جوانب الوجود وأجزائه المختلفة ، رغم العديد من الأفكار التي قدمها المفكرون على مر العصور وبذلوا في الوصول اليها جهودا كبيرة ، وهي أفكار تواجهنا في العلوم الانسانية المختلفة وبخاصة في الوقت الحاضر ، حيث تعددت هذه العلوم وأصبح كل علم يعالج جانبا من جوانب الانسان في سلوكه الاجتماعي في هذه الحياة .

والآن ، كيف نتعامل مع هذه الأفكار وفق الثقافة الاسلامية ؟ ان الاسلام الذي انزله الله هدى للناس ليرشدهم الى أهدافهم في هذه الحياة ، والى المنهج الذي

يوصلهم الى تحقيق أهدافهم ويحقق لهم الخير والسعادة في هذه الدار والدار التي في الآخرة ، يقدم لنا الجواب على هذا التساؤل فالاسلام حدد للانسان قواعد السلوك الذي ينبغي أن يقوم به في كل مجال من مجالات حياته : السياسي والاقتصادي والأخلاقي والتربوي ... الخ ، وهذه القواعد الكلية أو المبادئ العامة هي من جهة هادية للانسان في مجال بحثه عن أفكار تتعلق بالانسان وسلوكه بصورة أكثر تفصيلا ، وهي من جهة أخرى تشكل معيارا للافكار والنظريات المختلفة التي يطرحها المفكرون ، على اختلاف أديانهم ومواطنهم حول الانسان، فما كان من هذه الأفكار متفقا ومنسجما مع القواعد الكلية والمبادئ التي جاء بها الاسلام، والتي هي من عند الله خالق الانسان ، اعتبرت أفكارا صحيحة ونافعة ، وما خالف هذه القواعد والمبادئ وتعارض معها اعتبر أفكارا خاطئة .

مثال ذلك أننا لو صادفتنا آراء في علم التربية أو علم الاقتصاد أو علم السياسة ... الى آخر ما هنالك من علوم انسانية ، ووجدنا فيها أو في بعضها أفكارا مخالفة للقواعد الكلية والمبادئ العامة التي أوردها الاسلام بشأن الانسان وما ينبغي أن يكون عليه سلوكه ، فان الثقافة الاسلامية تقول لنا بأن هذه الأفكار خاطئة ، لأنها عارضت الأفكار الصحيحة التي أتتنا من عند الله ، رب الناس والعلمين وخالقهم ، أما اذا صادفتنا أفكار تنسجم مع هذه المبادئ العامة والقواعد الكلية وتدعمها أو تفصل مجملها ، فاننا نعتبرها أفكارا صحيحة علينا أن نأخذ بها ونستفيد منها بعد أن نبين حقيقة أنسجامها وعدم تعارضها مع هذه القواعد الكلية ، أو دعمها وتفصيلها .

ولو أردنا أن نضرب أمثلة لتدعيم هذا القول ، لقلنا مثلا : ان الاسلام أو (الثقافة الاسلامية) في مجال الأفكار الانسانية المتعلقة بنشاط الانسان الاقتصادي وضع أكثر من قاعدة عامة ، وأحد هذه القواعد تعبر عنه الآية الكريمة ، وهي قوله

تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ [1] ، فاذا وجدنا أفكارا اقتصادية تجعل الربا أساسا لها أو مقدمة تبنى عليها أفكارا أخرى ، أو تعتبر الربا أمرا مشروعا ومباحا لا حرمة فيه ولا خطر أو ضرر ....، اذا وجدنا أفكارا كهذه فاننا نعتبرها أفكارا خاطئة باطلة لتعارضها مع مبدأ عام مقرر في الثقافة الاسلامية وفي الاسلام .

ويمكن أن نضرب مثالا آخر في مجال الأفكار المتعلقة بالتربية ، فنقول: ان من مبادئ الاسلام العامة احترام الصغير للكبير بعامة والوالدين بخاصة ، وكذلك رحمة الكبير للصغير ، فاذا وجدنا نظرية تربوية أو أفكارا لا تراعي هذا المبدأ ، وتشجع على عدم احترام الصغار للكبار أو الوالدين أو الأساتذة ....، فاننا لا نتردد – في ضوء الاسلام والثقافة الاسلامية – في اعتبار هذه الأفكار باطلة خاطئة ، أما لو وجدنا على العكس من ذلك أفكارا تؤيد هذا المبدأ وتدعمه وتبين لنا الأساليب والوسائل التي يمكن أن يطبق هذا المبدأ من خلالها ، فاننا ، كما أشرنا آنفا ، نقبلها بعد أن نكون على وعي كامل بانسجامها التام وتوافقها مع هذا المبدأ العام الذي وضعه لنا رب الناس سبحانه وتعالى .

وهكذا تكون هذه المبادئ العامة والقواعد الكلية المشار اليها آنفا معيارا للحكم على الأفكار في هذا المجال. لكننا أشرنا الى دور آخر لهذه المبادئ والقواعد ، وهو هداية هذه العلوم الانسانية في بحوثها وجهودها في الوصول الى أفكار متعلقة بالانسان وسلوكه ، اذ يمكن لهذه المبادئ والقواعد أن توجه بحوث العلماء في هذه العلوم الوجهة التي لا تتعارض مع هذه المبادئ ، وانما تدعمها وتوضحها وتفصلها ، وهذا ما شعر به العديد من المشتغلين بالعلوم الانسانية من علماء المسلمين ، وقد عبر عن هذا الشعور بعبارة : " أسلمة العلوم الانسانية "، يقصدون بذلك أن نكن ن مشتقة

---

[1] - سورة البقرة ٢٧٥

من مبادئ الاسلام وغير متعارضة معه ، ونرجو الله أن تكلل جهود هؤلاء العلماء بالنجاح.

٤- وأخيرا ، في بيان الثقافة الاسلامية في التعامل مع الأفكار الصورية ، والتي أشرنا الى أنها تشكل مجموعة العلوم الصورية والتي هي الرياضيات البحتة والمنطق الصوري ، نرى أننا بحاجة أولا الى بيان حقيقة مثل هذه الأفكار الصورية ، فنقول: ان هذه الأفكار الصورية هي أفكار مجردة عن أية مادة من مواد الواقع ، بمعنى أنها لا تشير الى شيء محدد بعينه في الوجود الواقعي الفعلي ، فحين نقول مثلا : الجامعة حديثة ، فهذه فكرة بسيطة موضوعها : الجامعة ، وهي جامعة موجودة بالفعل في الواقع ، والخبر أو الوصف الذي أخبرنا به أو وصفنا به هذا الموضوع هو أنها : حديثة ، فهذه فكرة لها مادة قائمة في الواقع، وهذه المادة توضحها وتعبر عنها لفظة : جامعة ولفظة حديثة ، وهذه الفكرة لها صورة أو هيئة أو شكل، وصورتها يمكن توضيحها بقولنا : ان شيئا ما اتصف بصفة ما ، ويمكن التعبير عن هذه الصورة برموز كالتي تستخدم في علم الجبر ، وفي الرياضيات بعامة ، فتكون صورة هذه الفكرة كالآتي:

أ هي ب ، أو : أ اتصفت بصفة هي ب ، فالرمز أ يشير الى الموضوع ، والرمز ب يشير الى المخبر به أو الصفة .

هذه الصورة : أ هي ب ، يمكن أن تشترك فيها أفكار لا حصر لها تكون مادتها منتمية الى الواقع ، كأن نقول:

الحديقة جميلة ، الشمس طالعة ، الأرض مبتلة بالماء ، الامتحان صعب ... الخ ، هذه الأفكار كلها لها صورة واحدة مشتركة يعبر عنها بالصورة الرمزية : أ هي ب .

وهكذا يمكن أن يكون لدينا صورا عديدة لأفكار مادتها موجودة في الواقع لكننا جردنا هذه الأفكار من المادة وأبقينا الصورة فقط ، فنقول أنها أفكار مجردة أو

أفكارصورية، فاذا قلنا : أ فوق ب ، أو أ والد ب أو أ جزء من ب ...الخ ، كنا أمام أفكار صورية .

ويمكن أن نستنتج من الأفكار الصورية أفكارا صورية أخرى ، مثال ذلك أن نقول: أ = ب ، ب = جـ ، اذن أ = جـ .

والأفكار الصورية يمكن أن تقسم الى قسمين : أفكار صورية أولية ، وأفكار صورية ثانوية ، فالأفكار الصورية الأولية هي تلك الصور التي نفترضها افتراضا أو نسلم بها تسليما ، أي نعتبرها صادقة ، دون الرجوع الى الواقع ، كما هو الحال في مسلمات الرياضيات البحتة ، واما أن تكون تعريفات لمصطلحات أو رموز معينة ، نحدد نحن لها معنى خاصا بكل منها ونستخدمها بعد ذلك بنفس المعنى ، ففي الرياضيات هناك رموز مثل : = ، + ، < ، وغيرها كثير ، وكل رمز له معناه الخاص به ، وهناك الفاظ مثل : نقطة ، مستقيم ، زاوية ، مربع ، عامود ، لوغاريتم ... الخ ، وكل لفظ من هذه له معناه الخاص به.

وأما الأفكار الثانوية فهي التي نستنبطها عن طريق الاستنتاج العقلي الخالص من الأفكار الأولية ، أي من المسلمات والتعريفات.

ويجدر التنبيه الى أن الأفكار الصورية بعامة ، لا تتعرض للواقع وما فيه من موجودات بنفي أو باثبات ، اذ هي كما أوضحنا طبيعتها مجردة عن الوقاع ، وهي للسبب نفسه لا تتعرض للعقيدة الاسلامية أو غيرها من العقائد بنفي أو باثبات ، فهي محايدة بالنسبة للعقائد المختلفة ، بل وللواقع بصورة عامة .

ولسائل أن يسأل : ما دامت هذه الأفكار صورية مجردة عن مادة الواقع ، فما هي جدواها ومنفعتها والحال كذلك ؟ والجواب أن لهذه العلوم الصورية (الرياضيات والمنطق) منفعة كبيرة ، اذ هي معينة لكل العلوم الأخرى مثل الفيزياء والكيمياء وعلوم الهندسة والفلك وسائر العلوم ، حتى العلوم الانسانية تستفيد من

هذه العلوم الصورية ، وهو أمر يدركه اصحاب الاختصاص في كل علم ، ان هذه العلوم الصورية تفتح أمام العلماء في العلوم الأخرى آفاقا جديدة للبحث فتعين على تقدم العلم واستمرار هذا التقدم ،وهي كذلك تقدم صورا مضبوطة محكمة للتفكير والاستنتاج يمكن بالاحتكام اليها ضبط تفكيرنا وأدلتنا في كل المجالات العلمية .

والآن ، كيف نتعامل مع هذه الأفكار الصورية ؟ ان قبول هذه الأفكار الأولية فيها والتسليم بها يكون وفق شروط أبرزها قدرتها على توليد الأفكار الصورية الجديدة ، وهذه الأفكار الجديدة شرط قبولها أن تكون قد جرى استنباطها من المقدمات (أي من الأفكار الأولية) بطريقة صحيحة ، بحيث لا يكون بينها وبين تلك المقدمات تعارض أو تناقض .

واذا سألنا عن الثقافة الاسلامية في التعامل مع الأفكار الصورية فاننا نقول : ان هذه الأفكار أشبه بالآلات المساعدة ، فهي تساعد بما تقدمه من صور مجردة جميع العلوم المختلفة ، طبيعية وانسانية ، وحيث أن هذه العلوم مطلوبة للانسان ، والثقافة الاسلامية تحث على طلبها واقتنائها ، وتطلب من المسلم أن يكون له دور في تطويرها وتقدمها لانها تكشف لنا حقائق خلق الله ، الأمر الذي يؤدي الى معرفة أكثر بالله سبحانه وتعالى ، فبما أن هذه العلوم مطلوبة في الثقافة الاسلامية ، وهذه العلوم أشبه بالالات المساعدة لها ، وهي لازمة لها ، فاذن سيكون موقف الثقافة الاسلامية منها أنها ايضا من العلوم المطلوبة ، ذلك أن من القواعد العامة في ضوء الشريعة الاسلامية أن :ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب.

المعايير العامة لنقد الأفكار

أوضحنا فيما تقدم ، مبادئ الثقافة الاسلامية في التعامل مع أنواع الأفكار الأربعة بصورة موجزة ، ونرى أنه من المفيد أن نختم هذا الجزء من الكلام عن الثقافة

الاسلامية في مجال التعامل مع الأفكار بوضع معايير لنقد الأفكار بصورة عامة ، وهذه المعايير يمكن أن يلجأ اليها المثقف المسلم حين يتعامل مع الأفكار العديدة التي يصادفها ، سواء كانت هذه الأفكار منسوبة الى مفكرين مسلمين أو غير مسلمين، فتعينه هذه المعايير على الحكم على هذه الأفكار وتمييز الصواب والخطأ فيها ، وقد أجملنا هذه المعايير في ثلاثة :

أ- المعيار الأول هو معيار العقيدة الاسلامية : اننا كمسلمين نؤمن ونصدق بصواب عقيدتنا الاسلامية ، وما دام الأمر كذلك فان قوانين العقل والمنطق تقضي بأن تكون كل قضية مناقضة لأصل من اصول العقيدة أو معارضة له قضية كاذبة باطلة بالضرورة ، ذلك لأن قوانين المنطق تقول: القضيتان المتناقضتان أو المتضادتان لا تصدقان معا ، فاذا كانت احداهما صادقة كانت الأخرى كاذبة ضرورة . وعليه اذا واجهتنا فكرة (أو نظرية أو تصور تناقض أصلا من أصول عقيدتنا أو أكثر كأن تنكر مثلا وجود الله أو النبوات أو البعث والحياة الأخرى ... فاننا عندئذ لا نتردد في الحكم على هذه الفكرة (أو النظرية او التصور) بأنها باطلة ، وان لم نفعل ذلك نكون قد أوقعنا أنفسنا في التناقض ، وهو أن نقبل بصدق قضية ما وصدق نقيضها أو ضدها في الوقت نفسه .

ب- المعيار الثاني هو معيار العقل والمنطق ومناهج البحث : وهذا هو المعيار الذي تستخدمه الغالبية العظمى من المفكرين لنقد الأفكار ، ونقصد به أن تكون الآراء والأفكار التي يقدمها المفكر منسجمة ومتسقة مع قوانين العقل والمنطق فلا تناقضها أو تعارضها ، وأن يكون المفكر قد سار في الوصول الى نتائجه على منهج سليم في البحث متمشيا مع قوانين المنطق ومع منهج البحث الملائم لموضوع تفكيره ، كما أنه ينبغي أن يكون المفكر غير متناقض مع نفسه فلا يعرض أفكارا متناقضة حول الموضوع الواحد.

ان استخدام هذا المعيار استخداما أكمل يحتاج من الدارس الى التعرف على علم المنطق وعلى علم مناهج البحث في العلوم المختلفة بصورة عامة .

جـ- المعيار الثالث هو معيار المنفعة العامة : هذا المعيار مستمد من روح ديننا الاسلامي الحنيف الذي جاء ليحقق الخير والمنفعة للناس عامة ، وليس منفعة فئة قليلة معينة ، وقد كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يستعيذ في دعائه من العلم الذي لا ينفع . وهكذا اذا قابلنا فكرة (أو نظرية) ينتج عنها أو نتج عنها بالفعل نفع عام للمجتمع فاننا نستطيع الحكم على هذه الفكرة بأنها فكرة صائبة ، ولكن علينا أن نتأكد من تحقيق هذه الفكر للمنفعة ، وأن نبين وجهها ، فليس تقدير المنفعة مجرد رأي شخصي ليس له مسوغاته المقبولة في ضوء مبادئ الاسلام والثقافة الاسلامية.

وهنا قد يتساءل المرء : هل يمكن أن تكون هذه المعايير متناقضة ، بمعنى أن نجد فكرة تعارض العقيدة لكن لها منفعة عامة ؟ أو فكرة لها نفع عام لكنها تتعارض مع قوانين العقل والمنطق ؟ الجواب في رأينا هو أن هذه المعايير ليست متعارضة على الاطلاق ، وكل واحد منها يساند الآخر ويعضده ، وأنها يمكن النظر اليها على أنها ثلاثة مستويات أو طرق لنقد الأفكار . ان معيار العقيدة لا يتعارض أولا مع العقل والمنطق فكل ما ورد في العقيدة من قضايا أثبت العقل صوابها وأجازها ، ولم يثبت تعارض أية قضية من قضايا العقيدة مع قوانينه ، كما أن المنفعة العامة هي أحد أصول التشريع الاسلامي (بعد الكتاب والسنة والاجماع والقياس) ، وهي هدف من أهداف الدين ، فما جاء الدين الا لخير الناس ، وبالتالي فانها كمعيار لا تتعارض مع العقيدة الاسلامية . وكذلك فان معيار العقل والمنطق لا يتعارض مع معيار المنفعة العامة لأن المنفعة العامة أمر معقول لا يعارضه العقل وليس لديه مبدأ لرفضه .

ثبت المراجع

القرآن الكريم

١- ابراهيم ابراهيم قريب . مرويات غزوة حنين والطائف ، نشر الجامعة الاسلامية ، المجلس العلمي

٢- ابراهيم زيد الكيلاني . دراسات في الفكر العربي الاسلامي .

٣- ابراهيم بن موسى اللخمي المالكي (الشاطبي) . الموافقات في أصول الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م.

٤- ابن جماعة .تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام ، رئاسة المحاكم الشرعية / قطر ، ١٩٨٥م.

٥- أبوبكر الجزائري. منهاج المسلم ، دار الطباعة الحديثة ، ط٣، الدار البيضاء .

٦- أحمد بن ادريس القرافي المالكي . شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول . تحقيق: طه عبدالرؤوف ، دار الفكر ، القاهرة . .

٧- أحمد بن حنبل الشيباني . مسند الامام احمد بن حنبل .

٨- أحمد بن عبدالحليم (ابن تيمية) : ١- الحسبة في الاسلام ٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية

٩- أحمد العسال وآخرون . النظام الاقتصادي في الاسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٧م.

١٠- أحمد القلقشندي . مآثر الانافة في معالم الخلافة ، مطبعة حكومة ، الكويت ، ١٩٦٤م.

١١- أحمد نوفل وآخرون . في الثقافة الاسلامية .

١٢- اسماعيل بن عمر (ابن كثير) .١- البداية والنهاية ٢- تفسير القرآن العظيم ٣- السيرة النبوية

١٣- ال شاليه . الغارة على العالم الاسلامي ، ترجمة محب الدين الخطيب . منشورات العصر الحديث ، جدة ، ١٣٨٧هـ.

١٤- الكسيس كاريل . الانسان ذلك المجهول ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٩م.
١٥- أنور الجندي . شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامي ، المكتب الاسلامي، ١٩٨٧م.
١٦- د.نبيه عبدالرحمن عثمان . الانسان (الروح والعقل والنفس) ، سلسلة دعوة الحق .
١٧- تقي الدين النبهاني . النظام الاجتماعي في الاسلام ، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت ، ط٣، ١٩٩٠م.
١٨- جون كيمني . الفيلسوف والعلم . ترجمة : د.أمين الشريف ، القاهرة .
١٩- حافظ حكمي . معارج القبول ، توزيع ونشر دار الافتاء / الرياض .
٢٠- د. حسن الترابي . الايمان وأثره في حياة الانسان ، منشورات العصر الحديث، ط ١، ٢
٢١- حسين بن محمد ، الراغب الأصفهاني . المفردات في غريب القرآن / دار الصحوة ، القاهرة.
٢٢- سعيد حوى . الله (دراسة منهجية هادفة).
٢٣- سعيد سعد مرطان . مدخل للفكر الاقتصادي في الاسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م.
٢٤- سليم الهلالي . دراسات في العقيدة السلفية ، مطبعة النور النموذجية ، صويلح، عمان .
٢٥- د.سليمان الطماوي. نظام الحكم والادارة في الاسلام ،دراسة مقارنة .
٢٦- سليمان بن الأشعث السجستاني . سنن الامام أبو داود .
٢٧- سيد سابق . العقائد الاسلامية .
٢٨- سميح عاطف الزين . الثقافة والثقافة الاسلامية ، ط٤ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٩م.

٢٩- سيد قطب ١- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ٢- في ظلال القرآن
٣٠- د.صالح ذياب هندي . دراسات في الثقافة الاسلامية .
٣١- د.صبحي الصالح . النظم الاسلامية ، دار العلم للملايين ، ط٩، بيروت ، ١٩٩٢م.
٣٢- د. صلاح الدين دبوس . الخليفة ، توليته وعزله . موسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية .
٣٣- د.عائشة عبدالرحمن . الشخصية الاسلامية ، دار العلم للملايين ، ط٣، بيروت ، ١٩٧٧م.
٣٤- عبدالحليم الجندي. القرآن والمنهج العلمي المعاصر ، دار المعارف ، ١٩٨٤م.
٣٥- عبدالحميد متولي . مبادئ نظام الحكم في الاسلام ، منشأة المعارف ، ط٤، الاسكندرية ، ١٩٧٨م.
٣٦- عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني . ١- أجنحة المكر الثلاثة ٢- الثقافة الاسلامية ، كلية الدعوة وأصول الدين ، مكة المكرمة.
٣٧- عبدالرحمن بن علين بن الجوزي . ١ - الأذكياء، دار الأفاق الجديدة ، ط٤.
٢- زاد المسير في علم التفسير . المكتب الاسلامي .
٣٨- عبدالرحمن بن علي الشيباني . تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث .دار الكتاب العربي ،،بيروت .
٣٩- عبدالرحمن بن محمد ، ابن خلدون . المقدمة ، دار احياء التراث العربي .
٤٠- عبدالرحمن النحلاوي . أصول التربية الاسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩م.
٤١- عبدالرحيم عمران . تنظيم الأسرة في التراث الاسلامي ، صندوق الأمم المتحدة للسكان ، ١٩٩٤م

٤٢- عبدالستار فتح الله سعيد. الغـزو الفكـري والتيـارات المعاديـة للاسـلام ، دار الأنصار.
٤٣- عبدالصبور مرزوق . الغزو الفكري ، أهدافه ووسائله ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام.
٤٤- عبدالعزيز الخياط . المدخل الى الفقه الاسلامي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ١٩٩١م.
٤٥- د.عبدالغني عبود. الأسـرة المسلمة والأسـرة المعـاصرة ، دار الفكـر العربي ، ١٩٧٩م.
٤٦- د.عبدالقادر رمزي . ١- الدراسات الانسانية في ميزان الرؤيـة الانسانية
٢- النظرية الاسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية
٤٧- عبدالقادر عودة . الاسلام وأوضاعنا السياسية ، ط٢، ١٩٦٧م.
٤٨- د.عبدالكريم زيدان . ١- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية
٢- الوجيز في أصول الفقه ، مؤسسة الرسالة
٤٩- د.عبدالكريم عثمان . معالم الثقافة الاسلامية ، مؤسسة الأنوار للنشر ، ط-. الرياض ، ١٩٧٨م.
٥٠- عبدالله بن أحمد ، ابن قدامة . المغني ، دار الافتاء ، الرياض .
٥١- عبدالله التل . جذور البلاء ، المكتب الاسلامية ، ط٢، ١٩٨٧م.
٥٢- عبـدالله عبدالدائم . في سبيل ثقافة عربيـة ذاتيـة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٣م.
٥٣- د.عبدالله عزام . الاسلام ومستقبل البشرية ، ط٣، مكتبة المنار ، الزرقاء .
٥٤- عبدالله علوان . ١- تربية الأولاد في الاسلام ، دار السلام للطباعة
٢- الشباب المسلم في مواجهة التحديات ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٧م.

٥٥- عبدالله مختار يونس . الملكية في الشريعة الاسلامية ودورها في الاقتصاد الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٧م.

٥٦- عبدالملك بن هشام الحميري . السيرة النبوية ، مراجعة :د.محمد خليل هراس.

٥٧- د.عبدالمنعم النمر . الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء ، دار المعارف ، القاهرة .

٥٨- عبيدالله بن مسعود. التوضيح على التنقيح ، المطبعة الخيرية ، مصر .

٥٩- عزالدين الخطيب ورفاقه . نظرات في الثقافة الاسلامية ، دار الفرقان للنشر ، عمان

٦٠- عزمي طه السيد أحمد . ١- فلسفة الدين عند الفارابي

٢- مدخل جديد للثقافة الاسلامية

٦١- علاء الدين بن عبدالعزيز البخاري . كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام (البزدوي)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٤م.

٦٢- علي بن ابي بكر الهيثمي . موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، مكتبة المعارف ، الرياض .

٦٣- علي بن أحمد بن سعيد ، ابن حزم . الاحكام في أصول الاحكام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م.

٦٤- علي بن أبي العز الحنفي . شرح العقيدة الطحاوية ، المكتب الاسلامي ، ط٤، ١٣٩١هـ.

٦٥- علي بن محمد بن حبيب ، الماوردي . الأحكام السلطانية ، شركة ومكتبة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٦م.

٦٦- عماد الدين خليل . رؤية اسلامية في قضايا معاصرة ، وزارة الاوقاف ، الدوحة ، ١٩٩٥م.

٦٧- عماد شرف . حقائق عن التبشير ، المختار الاسلامي ، ١٣٩٥هـ.

٦٨- عمر عودة الخطيب . لمحات في الثقافة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، ط٧، ١٩٨١م.

٦٩- فاضل عبدالواحد. الانموذج في أصول الفقه ، وزارة التعليم العالي ، بغداد .

٧٠- القاسم بن سلام ، ابو عبيد . كتاب الأموال ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

٧١- د.كايد قرعوش . طرق انتهاء ولاية الحكام في الشريعة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧م.

٧٢- مالك بن نبي . مشكلة الثقافة

٧٣- محمد ابو زهرة . ١- الأحوال الشخصية ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٧م . ٢- المجتمع الاسلامي ٣- تنظيم الاسلام للمجتمع ، القاهرة

٧٤- محمد أحمد القرطبي . الجامع لاحكام القرآن ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت .

٧٥- محمد ادريس ، الشافعي . الأم .

٧٦- محمد بن اسماعيل البخاري . صحيح الامام البخاري .

٧٧- محمد بن اسماعيل الصنعاني . سبل السلام ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ط٤ ، القاهرة .

٧٨- محمد باقر الصدر . اقتصادنا ، دار التعارف للمطبوعات ، ط١٦، ١٩٨٢م.

٧٩- محمد البهي . التفكير الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .

٨٠- محمد شوقي الفنجري . ١- المذهب الاقتصادي في الاسلام ، دار عكاظ ، جدة، ١٩٨٩م. ٢- نحو اقتصاد اسلامي .

٨١- محمد ضياء الدين الريس . النظريات السياسية الاسلامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٣، ١٩٦٠م.

٨٢- محمد عبدالسلام وآخرون . دراسات في الثقافة الاسلامية

٨٣- محمد عبدالقادر ، ابو فارس . النظام السياسي في الاسلام ، الاتحاد الاسـلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت ، ١٩٨٤م.

٨٤- محمد عبدا لله دراز . دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، دار القلم ، الكويت ،١٩٨٤م.

٨٥- محمد عقلة . نظام الاسلام ، مكتبة الرسالة ، عمان .

٨٦- محمد علي الشوكاني . فتح القدير .

٨٧- محمد بن عمر الرازي . المحصول في علم اصول الفقه ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ،١٩٨٨م.

٨٨- محمد الغزالي . ١- الغزو الثقافي يمتـد في فراغنـا ٢- فقـه السـيرة النبويـة ٣- هذا ديننا ، ادارة احياء التراث الاسلامي .

٨٩- محمد فاروق . الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصـادي ، موسسـة الرسـالة ، ط٣، ١٩٨٥م.

٩٠- محمد قطب . منهج التربية الاسلامية ، دار القلم ، القاهرة

٩١- محمد المبارك وآخرون . الثقافة الاسلامية ، مطابع جامعة أم القرى .

٩٢- محمد بن محمد الغزالي . احياء علوم الدين ، المكتبة التجارية ، القاهرة .

٩٣- محمد بن مكرم ، ابن منظور . لسان العرب .

٩٤- محمد محمود الصواف . المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، دار الثقافة للطباعة ، ١٩٦٥م.

٩٥- محمد يوسف موسى . نظام الحكم في الاسلام ، دار المعرفة ، ط٢، القـاهرة ، ١٩٦٤م.

٩٦- محمد الهادي زيان . من أجل بناء الشخصية الاسلامية ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٩٧- مسعود بن عمر ، التفتازاني . شرح المقاصد .

٩٨- مسلم بن الحجاج القشيري . صحيح مسلم .

٩٩- مصطفى أحمد الزرقاء . المدخل الفقهي العام ، مطبعة جامعة دمشق ، ط٧، ١٩٦١م.

١٠٠- مصطفى الخالدي . التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة المصرية ، صيدا ، ١٩٧٠م.

١٠١- مصطفى عبدالواحد . المجتمع الاسلامي ، دار الجيل ، ط٢، بيروت ، ١٩٧٤م.

١٠٢- منير البيتاني . ١- النظام السياسي الاسلامي مقارنا بالدولة القانونية
٢- النظم الاسلامية .

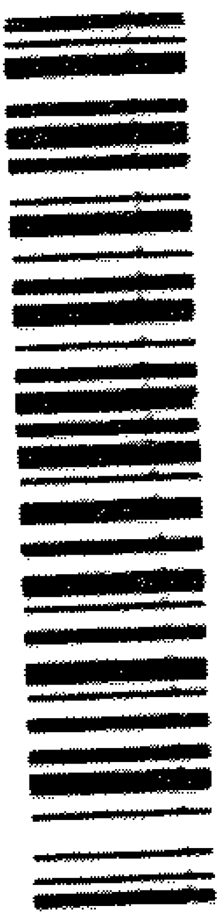
١٠٣- نصر بن محمد السمرقندي . تنبيه الغافلين في أحاديث سيد المرسلين ، دار الكتاب العربي ، ط٦، بيروت .

١٠٤- نعيم الرفاعي . الصحة النفسية ، ط٥، دمشق ، ١٩٨٦م.

١٠٥-. يوسف القرضاوي . ١- مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام
٢- الخصائص العامة للاسلام
٣- فقه ا لزكاة

الثقافة الإسلامية

مفهومها ، مصادرها ، خصائصها ، مجالاتها



دار المناهج
للنشر والتوزيع
تلفون ٦٥٠٦٢٤ فاكس ٦٥٠٦٢٤
ص.ب ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن